قصة الموسيقى الكلاسيكية الغربية

تأليف

محمد زكريا توفيق



0

مقدمة

هذه قصة الموسيقى الكلاسيكية الغربية من طقطق لسلام عليكو. بدأت علاقتي بالموسيقى الكلاسيكية الغربية منذ الخمسينات عندما كانت الإذاعة المصرية تهتم بتثقيف العامة ويشرف على البرامج الموسيقية والأغاني الأستاذ محمد حسن الشجاعي.

كان الأستاذ أحمد المصري الذي يعمل في الإذاعة حينذاك، يشرف على عدة برامج موسيقية ويقدم برنامجا لمدة نصف ساعة كل أسبوع عن الموسيقى الكلاسيكية الغربية. ثم تبعه الدكتور حسين فوزي في البرنامج الثاني، وكان يقدم خلاله دراسات موسيقية رائعة عن الموسيقي الكلاسيكية الغربية.

وعندما كنت أدرس بالولايات المتحدة في السبعينيات، كانت الموسيقى الكلاسيكية هي الموسيقى الوحيدة المتوافرة لي خلال الراديو. فتعودت عليها وبدأت أتذوقها وأحبها مما دفعني للبحث عن حكايتها وتاريخها.

الموسيقى بكل أنواعها لها أهمية كبيرة في حياة الإنسان وحياتي بصفة خاصة.
مالا نستطيع أن نعبر عنه بالفنون، من نحت وتصوير، نعبر عنه بالشعر والكلمات.
ومالا نستطيع أن نعبر عنه بالشعر والكلمات، نعبر عنه بالموسيقى والألحان.
الموسيقى ببساطة هي لغة تعبير عالمية تنقل الأحاسيس المرهفة بين الناس.
بل هي أكثر من ذلك.

عند أهل الشرق الأقصى، الهند والصين والدول المجاورة، لا فرق بين الموسيقى والدين. الموسيقى عند الهنود، لها علاقة بعلم الرياضيات والتنجيم وعلم النفس.
هذا أساس الموسيقى الغربية أيضا.

الموسيقى كانت في الزمن القديم، أحد فروع الفلسفة. فيثاغورث وأفلاطون وأرسطو، كانت لهم اسهامات جليلة في عالم الموسيقى.

قدماء المصريين كان اهتمامهم بالغ بالموسيقى. ابتكروا آلات موسيقية عديدة. ويكفي أن تعرف أن عدد الطبول عندهم بلغ 26 نوعا، غير آلات النفخ والآلات الوترية التي لا تحصى ولا تعد. والتي ذكر بعضها علماء الحملة الفرنسية في كتاب وصف مصر.

كانت الموسيقى تستخدم في المعابد للصلاة وفي الاحتفالات والمناسبات الاجتماعية. وكانت تدرس للأطفال في مدارسهم كمادة علمية لازمة لتقدم الإنسان ورقيه.

الموسيقى درسها الفلاسفة العرب أيضا، أمثال الكندي والفارابي، الذي ألف "كتاب الموسيقى الكبير" المتضمن الأسس والقواعد الموسيقية.

الموسيقى عند الفيلسوف كانط هي "لغة الانفعالات"، وعند هيجل "مجال تتجلى فيه أغوار النفس وملكة الفهم".

يقول شوبنهور عن الموسيقى: "ما العالم إلا موسيقى ونغم، وهي الأمل في تحرر الإنسان من اليأس". ويقول نيتشة: "العالم بدون موسيقى غلطة كبيرة لا تغتفر".

ويقال أن الرب عندما أمر موسى بسقاية قومه، سمع هاتفا يقول "يا موسى اسقي". فجاءت في أذنه كلمة "موسيقى". من هنا يأتي أصل الكلمة.

كان النبي داود يسبّح ربه بآلة الناي، ويتغنى من الزبور وضروب الدعاء، المعروفة بمزامير داود.

أورفيوس ابن أبولون، أمه إحدى الموزيات ربات الشعر والموسيقى في الأساطير اليونانية القديمة. كانت موسيقاه تسحر الحيوانات والنباتات والجماد. التحق بالسفينة "أرجو"، وقام بإنقاذها عندما وقعت في مآذق كثيرة.

معظم الأديان تقول إن أصل الخلق كلمة من الرب، "كن فيكون". في الأصل

كانت الكلمة. والكلمة صوت، أو نوع من الموسيقى.

النظريات الحديثة تقول إن كل أشكال الطاقة وعالم الذرة، يتكون من جزيئات هي أشبه بأوتار موسيقية متناهية في الصغر، على شكل حلقات مقفلة أو مفتوحة، في تذبذب وعزف مستمرين.

أي أن الكون كله عبارة عن أغنية موسيقية عظيمة، تساهم فيها الذرات وكل أشكال الطاقة التي نعرفها بأنغامها المختلفة.

الموسيقى تستخدم في العلاج النفساني. وتساعد على الفهم والتحصيل عندما يسترخي الجسد وتتغير حالة المخ من الحالة العادية "بيتا" إلى حالة الاسترخاء "الفا".

عندها يمكن للمخ أن يستوعب من المعلومات أضعاف قدرته العادية. أنواع معينة من الموسيقى هي التي تساعد على بلوغ الحالة "الفا". مثل موسيقى باخ وموزارت. وهي أيضا تسرع في نمو النباتات، وتساعد على زيادة الإنتاج الحيواني.

لذلك لا تتعجب عندما تعلم أن الجنين في بطن أمه، يتأثر بالموسيقى. الموسيقى قد تشكل مستقبل الإنسان، إذا كان أحد أفراد الأسرة موسيقيا.

هذا هو الحال بالنسبة لموزارت، فقد كان والده موسيقيا. بيتهوفن أيضا، كان والده مغنيا. أم كلثوم، كان والدها منشدا دينيا. ليلي مراد، كان والدها مطربا، هو زكي مراد. على الحجار، كان والده مطربا، هو إبراهيم الحجار.

جلس جدي بعد صلاة العصر، يستمع إلى الراديو، الفيليبس الذي يعمل بالبطارية السائلة، وهو يذيع أغنية "قالوا أحب القس سلامة وهو التقي الورع الصالح" للسيدة أم كلثوم. فوجدته يتمايل طربا.

عندما انتهت أغنية أم كلثوم، تبعتها أغنية "ياسمر ياجميل" للمطرب عبد العزيز محمود. فوجدته يتململ في مجلسه. بدأت علامات الضيق والقلق تظهر على

وجهه عند سماعه المقطع الذي يقول: "يابو المنديل أوية بأوية، دخت يا خويا سمي عليه".

وعند المقطع الذي يقول: "ساعة ما بشوف العود طارح أفضل سارح قول يجي جمعة"، هب واقفا ليقفل الراديو قائلا: "الراجل ده بيقول كلام فارغ".

لم أفهم معنى "العود طارح" إلا عندما كبرت. وأنا أختلف مع جدي في الحكم على هذه الأغنية الجميلة. الأغنية قمة في الجمال والتصوير الفني البديع، بالرغم من شعبية كلماتها. لكنه اختلاف تذوق الأجيال.

1

كيف بدأت الأوبرا الغربية

في بداية القرن الثامن، جاءت من الشرق فرق الغجر الموسيقية، لتتجول في كل أنحاء أوروبا. عندما وصلوا إلى إيطاليا، سمعهم القرويون في الريف. أعجبوا بفنهم وحفظوا الكثير من أنغامهم. ثم أضافوا إلى هذه الألحان، تراثهم الشعبي من أغاني الفلاحين والبحارة.



فرقة غجر حديثة من رومانيا

هناك سحر خاص في قصص وأغاني أهل البندقية، التي تُروى وتغنّى في زوارق الجندول، التي تنساب في ضوء القمر، على سطح المياه الزرقاء الهادئة، منذ القرون الوسطى. أغنية الجندول لعلي محمود طه، التي غناها الموسيقار محمد عبد الوهاب، تصف هذا المشهد الساحر، لكن في زماننا هذا.



زوارق الجندول بالبندقية

عندما نشاهد رسامي البندقية، من زمن "بلليني" إلى زمن "جيورجيوني" و"فيرونيزي"، سوف نكتشف أن الموسيقيين في لوحاتهم، كانت لهم مكانة مرموقة. ملابسهم كانت لامعة براقة، وكانوا يشبهون بالملائكة ذات الأجنحة أو بالقديسين.



الفرقة الموسيقية في عرس قانا الجليل الذي حضره المسيح، لوحة للرسام فيرونيزي

آلة العود، كانت هي الآلة المفضلة. كذلك الناي والقيثارة والجيتار.



آلة العود

بعض المدن، كانت بها شعراء موسيقيون، يؤجرون للعزف والغناء في الميادين العامة.
في المناسبات الدينية، كانت تتلى أجزاء من الإنجيل، أو تحكى بعض القصص الدينية.
أشهر هذه الميادين، هو مكان السوق بمدينة "بادوفا" الإيطالية.



مكان السوق بمدينة بادوفا الإيطالية

كان يأتي لهذه العروض، مهرجون وحمقى وباعة متجولون، يقومون بتلاوة أناشيد
معينة مصحوبة بأنغام شعبية تسمى "تسابيح".


الكاهن فيليبو نيري

لكن في القرن السادس عشر، قرر الكاهن "فيليبو نيري"، حث الفلاحين على الابتعاد عن مثل هذه الممارسات، وكذلك تجنب حضور المهرجانات الرياضية.

حاول نيري تعويض الفلاحين عن حرمانهم من إقامة هذه العروض الموسيقية، بإقامة عروض دينية أكثر جاذبية وجدية، لكنه فشل في محاولاته كلها. وأخيرا، توصل هو وأتباعه إلى الآتي:

يقف الكاهن نيري وأتباعه في مجموعة صغيرة أمام أبواب الكنائس، ليقومون بترتيل قصص الإنجيل، ويحضون المارة على الوقوف والانصات. يتخلل هذه التراتيل عدة تسابيح لتمجيد الرب.

فيما بعد، أصبحت هذه التراتيل والتسابيح تقام على مسارح في الخلاء أو داخل الكنائس، مصحوبة بالتمثيل في غرف مخصصة للصلاة، تسمى مصلى (Oratory). كهنة المصلى، بسبب ما يقومون به من إنشاد، أصبحوا يعرفون بالمنشدون، أوراتوريو (Oratorio).


منشدون، أوراتيريو، بمدينة نيويورك

"أوراتوريو" بالإيطالية، هو نوع من الموسيقى الغربية الدينية. يشبه الأوبرا. يتميز بالألحان التي تصاحب الإلقاء مع الكورس والأوركسترا. استمر هذا النوع من الموسيقى مدة من الزمان. أدى إلى ظهور نوع آخر من الموسيقى يعرف بالأوبرا.

كلمة أوبرا (Opera)، باللغة اللاتينية (Opus)، تعني "عمل". تطلق على الأعمال الموسيقية الغير مرتجلة، والتي يتطلب أداؤها إلى شئ من الاستعداد والتدريب. العمل الأوبرالي يبنى على قصة درامية، الأوبرا تمتاز أيضا بوجود ألحان موسيقية (Airs)، جوقات، مغنيون ومغنيات، كما تتطلب إخراج مسرحي.

لكل مدينة إيطالية عصرها الذهبي الذي تفخر به بسبب تميزها، مثلا لتفوقها في فن النحت والرسم، أو لتفردها بالأدب، أو لسبقها في فن الموسيقى. مدينة فلورنسا، كانت مشهورة بالغناء والقصة. فلورنسا، هي مدينة الزهور، ومهد النهضة الأوروبية. ومكان ميلاد فن الأوبرا الجادة.



فلورنسا، مدينة الزهور ومهد النهضة الأوروبية ومكان مولد الأوبرا

عندما كانت عائلة ميديشي تحكم مدينة فلورنسا، وعندما كان يتجمع في بلدها باقة من رجال القلم، كان النشاط الحزبي على أشده. في ذلك الوقت، كثرت القلاقل والمؤامرات وعدم الاستقرار. لذلك، وجد أهل فلورنسا متنفسا لعواطفهم وراحة في الخروج لمشاهدة عروض الأوبرا.

في نهاية القرن السادس عشر، كان يوجد في فلورنسا مجموعة مثقفين من شباب النبلاء يتزعمهم الكونت "جيوفاني دي باردي".



الكونت جيوفاني دي باردي

تمردوا على أسلوب العروض الأوبرالية التي كانت تعتمد على موضوعات دينية. وقاموا بإحياء موسيقى الإغريق القدماء. إذ كان الفن الإغريقي القديم، من نحت ورسم، هو الأروع بين الفنون العالمية، فلماذا لا تكون الموسيقى كذلك؟


جاليلي المؤلف الموسيقي ووالد العالم المشهور جاليليو

"جاليلي"، والد عالم الفلك الإيطالي المشهور "جاليليو"، كان مؤلف موسيقي وعازف عود. كان أيضا عضوا في جماعة المثقفين الشبان. وجد جاليلي بقايا مخطوطات موسيقية قديمة ترجع إلى عصر الإغريق.

قام جاليلي بترجمتها، وكون على أساسها أنشودة موسيقية، كنتاتا (Cantata). الكنتاتا نوع من الموسيقى الغربية ينشدها المنشدون مع الموسيقى، توضع لصوت واحد أو أصوات كثيرة، يصاحبها عزف آلات موسيقية. الأوراتوريو (المنشدون) يغنون الكنتاتا (النشيد).



أنشودة أو كنتاتا الكريسماس

آخرون قاموا بكتابة مسرحيات قصيرة تشمل جوقات (كورس)، ومغنيين، تصاحبهم آلات وترية (عود، كمان، قيثارة، إلخ). هذه المسرحيات كانت تعرض في الميادين العامة في كل أنحاء إيطاليا.

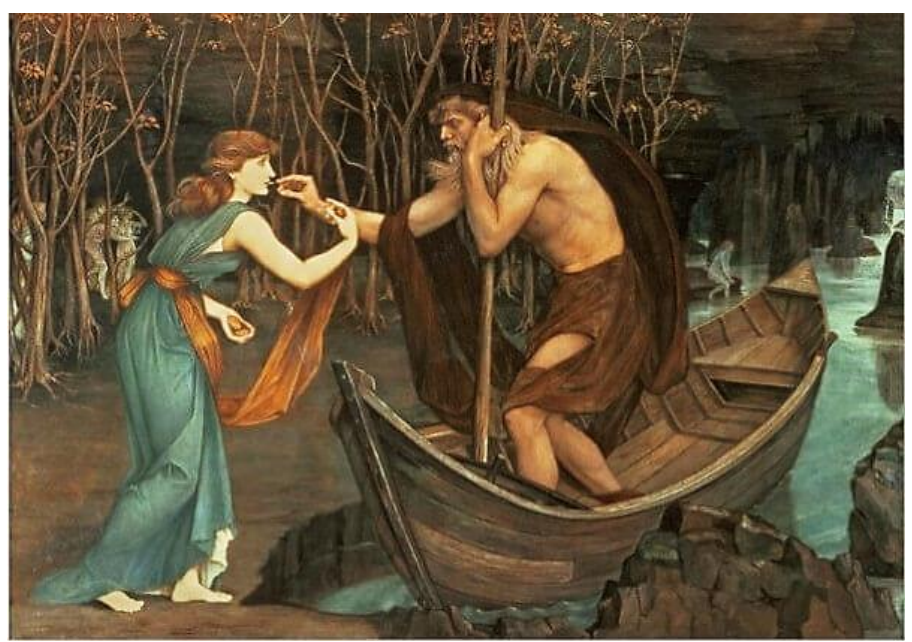

بيري أبو الأوبرا

"بيري"، أحد المثقفين الشبان، يعتبر أبو الأوبرا.

لأنه، بمساعدة "كاتشيني"، قام بتأليف أول أوبرا بالمفهوم الحديث. اسم هذه الأوبرا التاريخية "يوريديسي" (Eurydice). عرضت في قصر "بيتي" بفلورنسا، بمناسبة زواج هنري الرابع ملك فرنسا من ماري دي ميديشي.

Jacopo Peri (1561-1633) - Euridice

بيري نفسه قام بدور "أورفيوس" الذي ذهب إلى العالم الآخر، كما تقول الأسطورة الإغريقية، ليتضرع للآلهة لكي تعيد إليه زوجته "يوريديسي".



خارون المراكبي يعبر بأرواح الموتى نهر ستيكس إلى العالم الآخر نظير عملة معدنية

هناك في العالم الآخر يقابل أورفيوس "هاديس"، رب الموتى والعالم السفلي ، ويلح عليه أن يعيد إليه زوجته الحبيبة، ويغرينه بالعزف على قيثارته أجمل الألحان.



أورفيوس يذهب حتى إلى العالم الآخر لكي ينقذ زوجته وحبيبته يوريديسي

هنا يوافق هاديس بشرط، ألا ينظر أورفيوس إلى زوجته يوريديسي حتى يعبر بها نهر ستيكس. إذا نظر إليها قبل ذلك، انتهت فرصته في العودة بها إلى عالم الأحياء.

يوافق أورفيوس على هذا الشرط. ثم يسير إلى القارب وخلفه يوريديسي. بدأ القارب في العبور من ضفة الموت إلى ضفة الحياة. لكنه لم يسمع صوت زوجته خلفه. مما جعله ينسى النصيحة ويلتفت خلفه كي يتأكد من وجود يوريديسي.

على الفور وجد نفسه على ضفة الحياة، في حين عادت يوريديسي إلى ضفة الموت. وأصبح يفصل بينهما نهر ستيكس العظيم. فى اليوم التالي، تصيب المفاجأة يوريديسي، حين ترى زوجها بين الأموات. وتعلم أنه مات حزناً عليها حينما فشل في إعادتها للحياة. ثم تنتهي الأسطورة.

هذه أوبرا حديثة للموسيقار "جلوك"، بعنوان "أورفيوس ويوريديسي". استمع إلى غناء "ماريا كالاس"، في دور "أورفيوس" وهو ينعي حبيبته "يوريديسي".

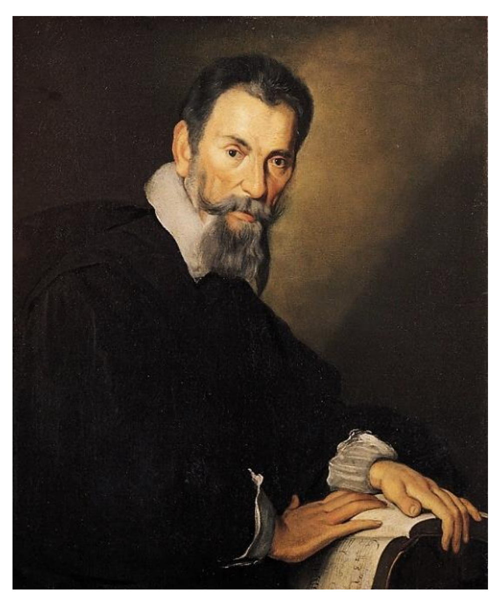
Maria Callas; Gluck: Orphee Et Eurydice - J'ai Perdu Mon Eurydice

المغنية، في أوبرا بيري، كانت الجميلة "يوتربي"، وكانت تكلل بالزهور بعد العرض. المشاهد والملابس فاخرة. الأوركسترا كان مختبئا، يتكون من جيتار كبير، عود، قيثارة صغيرة وأخرى كبيرة، ثلاث آلات ناي.

بعد ذلك، أصبحت من شروط الأوبرا، احتوائها على أنغام، مفردها "آريا" (Aria). متصلة بسرد إلقائي يحكي باقي القصة. في البداية، كان عدد المؤدين للأوبرا ستة أفراد، ثلاثة من كل كل جنس.

في البداية، الموسيقى المصاحبة للأوبرا كانت تشبه الموسيقى اليونانية القديمة. بمعنى أنها أنغام ميلودي فردية، وليست أصوات جماعية. كانت تعرض فقط أمام الأمراء والنبلاء، أما الفلاحين، فلم يكن يسمح لهم سوى سماع الأغاني الشعبية.

في عصر الموسيقار "مونتيفيردي"، المدير الموسيقي لكاتيدرائية القديس مارك في البندقية، سمح لأول مرة لعامة الشعب بالحضور للتمتع بعروض الأوبرا. "مونتيفيردي"، هو أول مؤلف موسيقي للأوبرا بالمعنى الحديث.



مونتيفيردي أول مؤلف موسيقي للأوبرا

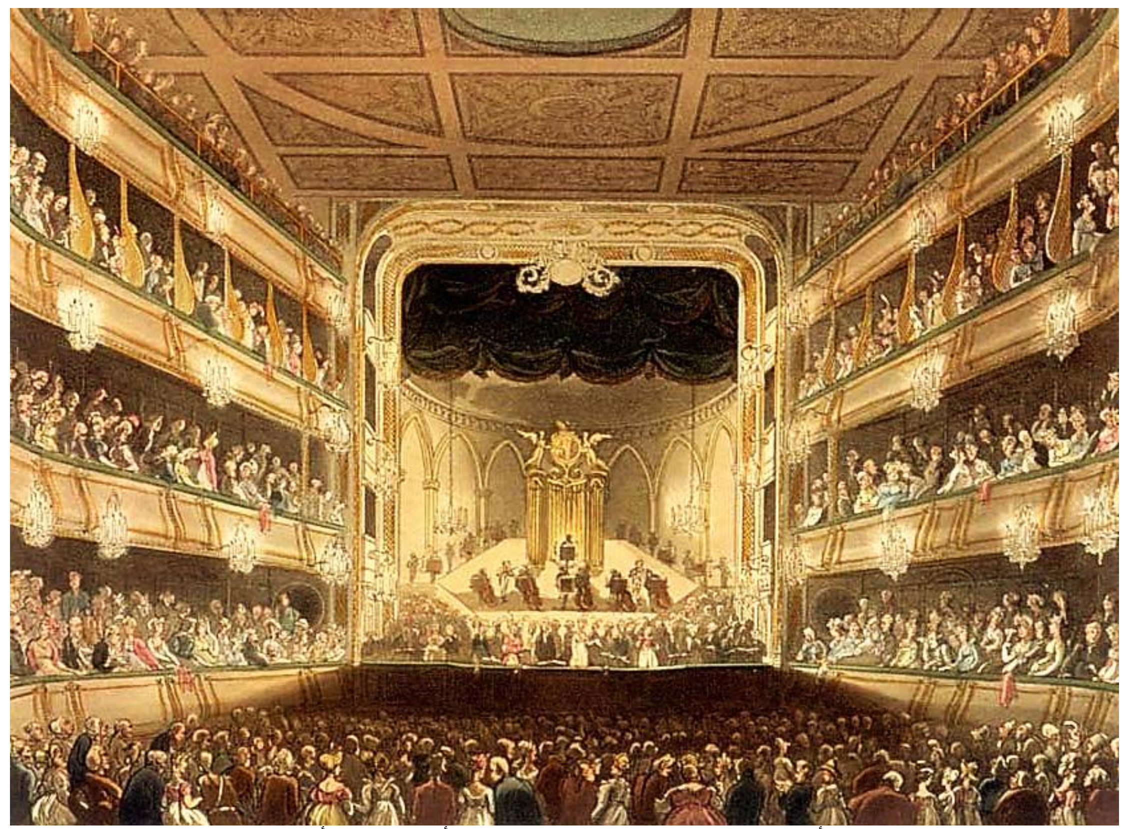
كان "مونتيفيردي" غزير الإنتاج. ألف موسيقى القداس (Requiem)، وغناء بدون موسيقى، مادريجال (Madrigal)، وموسيقى الأوبرا. كان يسمح لآلات معينة بمصاحبة أصوات بعينها، وأدخل تحسينات في ديكورات ومشاهد الأوبرا.

جزء من أوبرا أورفيوس، للموسيقار مونتيفيردي:

Monteverdi - L'Orfeo – Savall

أوبرا بعنوان "بيرينيس"، التي عرضت عام 1680م، كان بها جوقة (كورس)، مكونة من: 100 فتاة عذراء، 100 جندي. وأيضا 100 عازف، 2 أسد، 2 فهد.

عربة بيرينيشي في الأوبرا، كانت تجرها أربع خيول. تتبعها عربات مزينة بأقواس النصر، ومحملة بأسرى الحرب. وكان عرض الأوبرا يمتد إلى الساعة الثانية صباحا.


دار الأوبرا الملكية بحديقة كوفنت التي عرضت بها أوبرا بيرينيس أول مرة


لوللي

من مشاهير مؤلفي موسيقى الأوبرا، "لوللي".
الذي ارتفع من مجرد مساعد طباخ إلى أن أصبح أستاذا للأوبرا في فرنسا.

هو الذي طور الأوبرا وجعلها تنقسم إلى: موسيقى افتتاحية (Overture)، موسيقى بطيئة (Largo)، موسيقى متعجلة (Allegro)، ورقصة بطيئة (Minuet)، كما حسّن من السرد وأداء الكورس .

أوبرا إيزيس للموسيقار "لوللي".

J.B. LullyK Isis

من عظماء الأوبرا في القرن السابع عشر، "ألكساندرو سكارلاتي".



ألكساندرو سكارلاتي، أبو الأوبرا الإيطالية الحديثة

الذي كرس حياته لفن الأوبرا. ألف موسيقى لأكثر من 100 أوبرا، بالإضافة إلى العديد من موسيقى القداس (Masses)، والموشحات الدينية (Oratorios).

سوناتا رقم (L23) لسكارلاتي.

Horowitz - Scarlatti Sonata L23

أنغامه وألحانه الكورالية، غنية بالميلودي والعذوبة، أكثر من موسيقى المؤلفين الذين سبقوه. لذلك يسمى "أبو الأوبرا الإيطالية الحديثة".

يأتي بعد سكارلاتي، أمير الموسيقيين "بينيديتو مارشيللو".



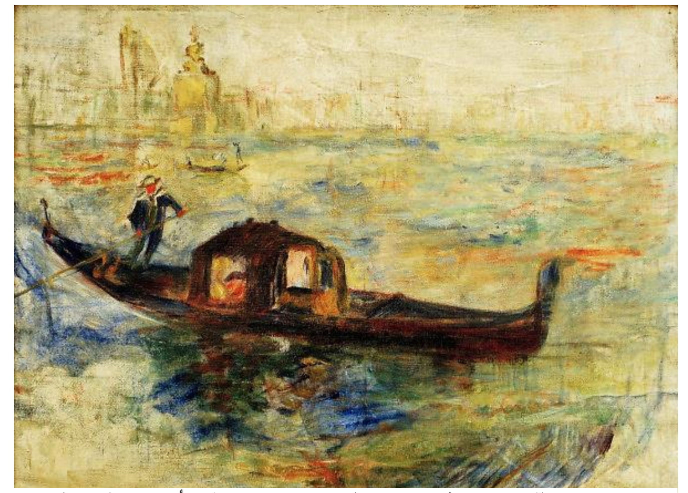
بينيديتو مارشيللو، أمير الموسيقيين

من عائلة نبلاء، لا يزال قصر العائلة موجودا بالبندقية. في صباه، كان متهورا وغير منظم. كان محظوظا عندما وجد وظيفة بمجلس المدينة. لكنه كان شاعرا، سريع البديهة، وناقدا متهكما. كان أيضا، مؤلفا موسيقيا بارعا. كان ملهما في فن الأوبرا وتأليف الموشحات الدينية، وكان أهل البندقية يتغنون بألحانه.

قبل وفاته بتسع سنوات، تعرض هذا النبيل البارع لحادثة كادت تودي بحياته. بعد الحادثة، زهد مارشيللو في كل شئ، وكرس ما تبقى من حياته لتأليف الموسيقى الدينية. هذه الأعمال، المليئة بالألحان العذبة، كفيلة وحدها بتخليد ذكراه. كان مارشيللو يسمى، بسبب عذوبة ألحانه، "تيتان وفيرونيزي الموسيقى".

Alessandro Marcello - Concerto for oboe and strings - 2nd movement - Adagio - in D minor.

في أحد الليالي، كان يطل مارشيللو من شرفة قصره على بحيرة. سمع صوتا عذبا يأتيه من جهة البحيرة. تبين أن الصوت الشجي، لغادة من بنات الريف، تجلس مع والدها في جندول يطفو على سطح البحيرة أسفل شرفته.


سمع مارشيللو وهو ينظر من شرفة قصره صوتا عذبا يأتيه من الجندول

لم يتمالك مارشيللو نفسه، فصاح مناديا على الفتاة، عارضا عليها تدريبها على الغناء. تطور التدريب إلى إعجاب، ثم حب وخطبة وزواج.

كان في البندقية قانون يمنع بنات الفلاحين من حمل اسم الزوج أثناء حياته، إذا كان هو من النبلاء. الأمر الذي لم يثن المحبين عن عزمهما على الزواج.

في القرن الثامن عشر، عرضت أوبرا "لاسيرفا بيدرونا". هي نوع خفيف من الأوبرا يسمى "أوبرا بوفيه"، للموسيقار جيوفاني باتيستا بيرجوليزي.



بيرجوليزي

أهمية هذه الأوبرا يرجع لتأثيرها الكبير على مثل هذا النوع من الأوبرا.

"لاسيرفا بيدرونا" ل "بيرجوليزي":

Pergolesi - La Serva Padrona

حياة بيرجوليزي، عبارة عن قصة حب قصيرة حزينة. لأنه لم يتخط سن السادسة والعشرين. طفل يتيم، قام بتربيته جده الإسكافي، الذي كان يحبه جدا. أدخل الجد حفيده أحد ملاجئ الدير للتعلم.

إلتحق الصبي بالفرقة الموسيقية بالدير التي ترتدي الملابس الحمراء والزرقاء. بالرغم من كونه صبي فقير، إلا أنه كان يحمل عقل وقلب موسيقار عظيم. درس آلة الكمان والبيانو، وكان دائم التأليف الموسيقي. أصبح فخر مدرسيه وبهجة سامعيه. ثم صار نفسه أستاذا في الموسيقى.

Pergolesi – Flute Concerto in G

2 violins in G major،Pergolesi – Concerto for flute

"دونا ماريا"، غادة ثرية. أحبت الموسيقار الفقير. لكن أخوها، المستمسك بالتقاليد، لم يوافق على هذا الزواج الغير متكافئ. ذهبت الحبيبة إلى الدير، لكي تدفن أحزانها هناك. ماتت حزنا وكمدا بعد سنة واحدة من إلتحاقها بالدير.



ماتت حبيبته حزنا بعد سنة واحدة من إلتحاقها بالدير

لم يتحمل بيرجوليزي الصدمة، ولم يجد عزاء له إلا بالإلتحاق هو الآخر بالدير. هناك وأثناء مرضه، ألف رائعته الموسيقية، "ستابات ماتير"، لصوتين نسائيين. قام ببيعها بما يعادل تسعة دولارات. الجزء الأخير، "أغنية البجعة"، كتبه قبل وفاته مباشرة.

Stabat Mater
strings and basso continuo، contralto،for soprano
by Giovanni Battista Pergolesi (1710-1736)

أوبرا "لا سيرفا بدرونا"، السابق الإشارة إليها، لا تقل أهمية عن عمله الآخير، "سبات ماتير". باقي أعماله. كلها تآليف موسيقية عظيمة تثبت أن بيرجوليزي قد تفوق على كل معاصريه.

بدأت موسيقى وعروض الأوبرا تنتشر في بلاد أوروبية كثيرة. قصص الأوبرا في القرنين السابع عشر والثامن عشر، كانت تعكس روح العصر الذي تؤلف فيه. المؤلفون كانوا يدعون إلى البلاط الألماني في ميونخ ودريسدين وبرلين وفيينا. ظهور المطابع ساعد في انتشار المعرفة الموسيقية.

الكنيسة كانت تعارض هذا النوع الجديد من الموسيقى. لكن مع كثرة المؤلفين الموسيقيين الجادين، بدأت الألحان الأوبرالية تحوز القبول، وتعرض مع الألحان والإنشاد الديني.

يرجع الفضل في ظهور فن الأوبرا الرائع هذا إلى الغجر الرحل، وعائلة ميديشي، وباقة رجال القلم في فلورنسا، و "بيري"، "سكارلاتي"، "مارشيللو"، "بيرجوليزي"، وأساتذة آخرين منذ 200 أو 300 سنة مضت.

2

كيروبيني

"مالا يدرك بالفن، يمكن شرحه بالشعر. ومالا يدرك بالشعر، يمكن إحساسه بالموسيقى." عنايات خان

اسمه الحقيقي "ماري ليوجي كارلو زينوبي سالفاتوري". لكن هذا اسم طويل يصعب تذكره، لذلك سوف نستخدم اللقب الذي منحه له أهل البندقية وهو" "كيروبيني". ربما لشكله الملائكي، أو لأن موسيقاه لها سحر ملائكي خاص.



كيروبيني

"أولجا كونديني" تغني "مرحبا ماريا" ل"كيروبيني"

Olga Kondina sings "Ave Maria"
by Luigi Cherubini
organ،Daniel Zaretzky

ابن سقيم لعازف بيانو فقير في مسرح بيرجوليزي، العاشر بين أخواته الإثنى عشر. الوحيد الذي عاش منهم. قام الأب بتعليمه بقدر استطاعته بالرغم من فقره. بدأ يعلم الموسيقى في السادسة من عمره.

كان يحب اللعب بآلة الكمان. في ليلة من الليالي، عندما كان في العاشرة من عمره، تغيب أحد العازفين. أخذ كيروبيني مكانه وأدى دوره بإتقان. عندما كان في الثالثة عشر، ألف موسيقى قداس (Mass)، عزفت في كنيسة فلورنسا.

قبل أن يصل إلى سن السادسة عشر، كان قد ألف الكثير من موسيقى القداس والألحان الدينية ومقطوعات موسيقية أخرى صغيرة.



سارتي

عندما سمع دوق توسكاني إحدى مقطوعاته الموسيقية، تيقن أن الصبي موهوب حقا، فأرسله إلى بولونيا لكي يدرس الموسيقى تحت إشراف سارتي، مؤلف الأوبرا الإيطالي.

كان عليه أن يعمل في غرفة كبيرة، يتدلى من سقفها مصباح، ضوؤه برتقالي اللون. يقوم بنسخ ودراسة أعمال الموسيقيين الكبار. ثم يقوم بكتابة ألحان أناشيد موسيقية،


باليسترينا

على نمط الموسيقار "جيوفاني باليسترينا"، لأن أستاذه "سارتي"، كان معجبا بموسيقى "باليسترينا".

قام أيضا، بمساعدة سارتي في حشو وملء أعماله الأوبرالية. أي أن سارتي، كان يترك له كتابة الأجزاء الصغيرة التي لا يهتم بسماعها مشاهدو الأوبرا.

أيام كيروبيني الدراسية هذه، كانت رسمية رتيبة كئيبة، أصابته بالملل والإحباط. لكنه، في سنواته الأخيرة، وجد أن أسلوب سارتي في تدريبه، كان رصينا. جعله أعظم من مزج الألحان (طباق)، في تاريخ الموسيقى الغربية.

عندما أنهى كيروبيني دراسته، بدأ في كتابة ألحان الأوبرا. كان يعمل بسرعة شديدة، لدرجة أنه في عام واحد، ألف أكثر من 200 أوبرا، لكن أغلبها من فصل واحد. كانت مفضلة لدى الإيطاليين الذين يحبون الألحان الميلودي الخفيفة البسيطة.

بعد أن تخطى كيروبيني سن الشباب، أصبحت حياته مرتبطة بفرنسا أكثر من إيطاليا. أمضى سنة واحدة في لندن، كموسيقي لبلاط الملك جورج الثالث. كان أمير ويلز مبتهجا بموسيقى كيروبيني للغاية.

لكنه، بعد زيارة باريس، وجد أنه يفضل الحياة في هذه المدينة الجميلة. بالإضافة إلى أن صديقه الموهوب الريفي "فيوتي"، قام بدعوته لكي يأتي ليعيش معه. وهي الدعوة التي قبلها كيروبيني بصدر رحب.

قام فيوتي بتقديم الموسيقار الإيطالي الجديد، كما كان يدعى، إلى البلاط وصالونات الطبقة الأرستوقراطية. التي فتحت أبوابها على مصراعيها له. قام بالعزف في أوركسترا أمام ملكة فرنسا "ماري أنطوانيت".



ماري أنطوانيت ملكة فرنسا

تحت تأثير الملكة ماري أنطوانيت، صرح الملك لويس السادس عشر لكيروبيني بإقامة دار أوبرا جديدة. كان هو المدير المسؤول عن الشؤون الموسيقية بها. من اختيار للمغنيين والكورس وقيادة للأركسترا.

الأوبرا الإيطالية، التي تكتب باللغة الإيطالية، كانت هي الموضة في ذلك الوقت. "فيوتي" كان يطلب من صديقه كيروبيني ويلح في عمل أوبرا باللغة الفرنسية.

في عام 1791م، استجاب كيروبيني وقام بإنتاج أوبرا "لودويسكا". وهي أوبرا كوميدية، ثرية بالموسيقى الهارمونية والعزف الأوركسترالي المبهر. مما أعطى الموسيقى المسرحية بعدا جديدا، أبهر الباريسيين.

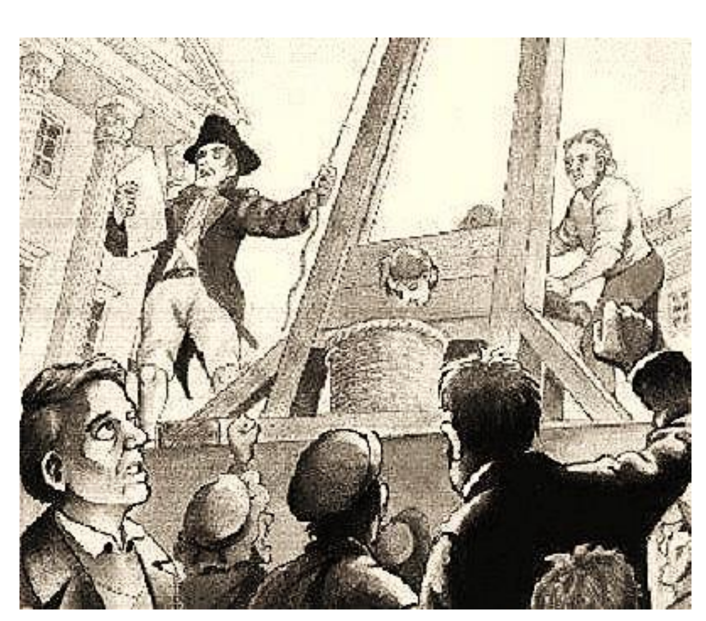
Cherubini - Lodoiska

قصة الأوبرا، التي تعكس طبيعة العصر، هي: "لودويسكا" الغادة الجميلة تقع في غرام الشاب "فلوريسكي". "لودويسكا" محجوزة، وشبه أسيرة في قلعة. يريد صاحب القلعة أن يجبرها على الزواج منه، بالرغم من كرهها الشديد له.

يتخفى الحبيب في هيئة أخو "لودويسكا"، ثم يذهب إلى القلعة طالبا إطلاق سراح أخته. لكن في لحظة حرجة غير مناسبة، تهاجم جحافل التتار القلعة، وتقوم بسبي الحبيبة "لودويسكا".

الأوبرا لاقت نجاحا كبيرا منذ البداية، بالرغم من أنها كانت تعرض في زمن صعب، كان يعرف بعهد الرعب، كانت تمر به الثورة الفرنسية.

لكن مع تزايد عدد الرؤوس المتطايرة بالمقصلة، بدأ الكثير من المغنيين في الهرب من فرنسا، ولا نستطيع لومهم في ذلك.


مع تزايد عدد الرؤوس المتطايرة بدأ المغنيون يهربون من فرنسا

عندما أعدم الملك لويس السادس عشر، وبعده الملكة ماري أنطوانيت، اختبأ كيروبيني في دير بالقرب من روين. في ذلك الوقت، كان متزوجا من زوجة رقيقة.

حاول مواصلة التأليف الموسيقى، لكن السنوات التالية، كانت مليئة بالقلق، مما جعل كل الأنشطة الترفيهية والعروض الموسيقية تؤجل إلى أن ينتهي عهد الرعب.

كانت شوارع باريس مكتظة بالغوغاء وأحداث الشغب. ذات مرة، وقع كيروبيني في يد جماعة "سانس كولوتيه"، التي كانت تروم أنحاء باريس، وهي تبحث عن موسيقى يقودها.

عندما رفض كيروبيني الاستجابه لطلباتها، سمع هتافا عاليا يردد "الملكي، الملكي". وهو هتاف، كان كفيلا بإرساله إلى المقصلة. لكن لحسن الحظ، في هذه اللحظة، هب لنجدته أحد أصدقائه. الذي أعطاه آلة كمان، ورجاه أن يعزف ويقود الجماعة.

ظل كيروبيني يعزف ويلحن للجماعة الغوغائية، وهو يجوب الشوارع، طوال اليوم. عندما توقفوا لعمل وليمة جماعية في ميدان عام، أجبر كيروبيني على الوقوف فوق برميل ومواصلة العزف بالكمان حتى تنتهي الولليمة.

في عام 1794م، إلتحق بفرقة موسيقى الحرس الوطني. بعد ذلك بسنة، أصبح مدير الكونسيرفتوار، في عام 1797م، صار يؤلف موسيقى للجمهورية الفرنسية.

في هذه الأيام، كان مجبرا على إضاعة وقته وموهبته في تأليف أغاني الثورة. وبسبب كونه إيطاليا، كان من الصعب تلحين الكلمات الفرنسية، إلا أنه تغلب على هذه المشكلة بنجاح.

في عام 1800م، كتب رائعته الموسيقية "السقا" أو "اليومان"، (Les Deux Journees). وهي أوبرا كوميدية، كتب قصتها "بيولي". تمتلء أحداثها بالإثارة والمفارقات العجيبة، التي تناسب ما كان يدور من أحداث تاريخية في ذلك الوقت.

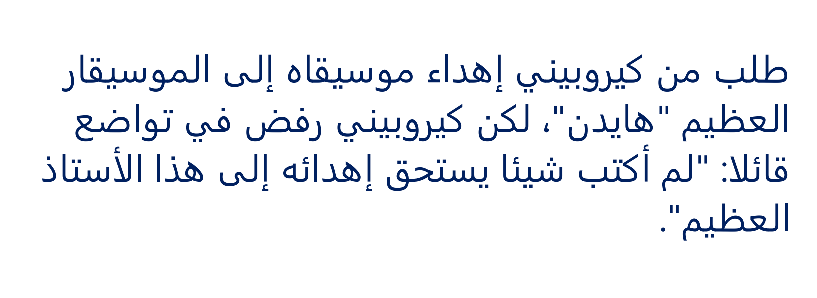
Cherubini – Les Deux Journess

تصف فصول الأوبرا الثلاثة، كيف كان قاضي التحقيق الفرنسي، أيام عهد الرعب، صديقا لسقا بسيط يحمل قرب الماء في عربته . الموسيقى كانت رائعة لدرجة أن الأوبرا استمر عرضها 200 يوما متتالية.



السقا

قصة الأوبرا كان لها تأثير هائل على مجموعة السقايين في ذلك الوقت، إلى درجة أنهم ذهبوا إلى منزل مؤلف القصة، الذي يدعي بأنها قصة حقيقية، لكي يشكروه ويقدموا له باقة من الزهور، ويعرضوا عليه استعدادهم لكي يمدوا منزله بالماء لمدة سنة كاملة مجانا.



طلب من كيروبيني إهداء موسيقاه إلى الموسيقار العظيم "هايدن"، لكن كيروبيني رفض في تواضع قائلا: "لم أكتب شيئا يستحق إهدائه إلى هذا الأستاذ العظيم".



هايدن

لكن خيبة الرجاء التي ألمت بكيروبيني، لم تأت إلا من "نابليون بونابرت". أول جرح لشعوره، جاء عندما كان يساعد في الاحتفال بالجنرال هوتشي، عندما كان نابليون لايزال ضابطا صغيرا.



نابليون بونابرت

قُدم كيروبيني إلى نابليون ودار بينهما هذا الحديث:

يقول نابليون، وهو يبدي إعجابه ب "بايزيللو" الموسيقي المفضل في بلاط ملك نابلس:
"أنا أحب موسيقى بايزيللو جدا. فهي ناعمة وهادئة. أما موسيقاك، فهي جيدة، لكن نغماتها المرافقة عالية."

أجاب كيروبيني:
"أفهم أنك تحب الموسيقى التي تساعدك على التفكير في شئون الدولة".

أدى تنافر الذوق بين نابليون وكيروبيني إلى استدعاء بايزيللي وتعيينه مديرا للموسيقى بمرتب كبير ومنحه مسكنا وعربة خاصة. لكن بايزيللي لم يكن سعيدا، وبعد سنوات قليلة، عاد إلى إيطاليا.

عندما عُرض على نابليون تعيين كيروبيني مكان بايزيللي، قال: "لا تذكروا لي اسم هذا الرجل. أنا أريد أستاذا يؤلف موسيقى لا ضوضاء." ثم أعطى الوظيفة إلى موسيقي آخر.
نابليون، القائد الشاب، ظل يترقى في المناصب إلى أن صار امبراطورا للبلاد. بالطبع، موسيقارنا، كيروبيني، عليه أن يواجه عدوا لا قبل له به، نظير تجاهله للامبراطور، وتحديه له، ومعاملته بأسلوب فظ.

وجد كيروبيني، الإيطالي، أنه أصبح معزولا في فرنسا. لذلك، قبل الدعوة لتأليف وقيادة أوبراتين في فيينا. أخذ معه إلى النمسا، زوجته الجميلة وابنته الطفلة.

قام كيروبيني بعزف موسيقاه أمام الامبراطور "فرانسيس الثاني" وأعضاء بلاطه المبجلين.



الامبراطور فرانسيس الثاني

هناك، عرض أوبرا "فانيسكا"، التي تشبه في قصتها وموسيقاها أوبرا "لودويسكا".

قوبلت الأوبرا "فانيسكا" بحفاوة بالغة، وأضحت مقدمتها الموسيقية معروفة منذ ذلك التاريخ.

1975)،Katia Ricciarelli - Da un dolore atroce oppressa - "Faniska" (Liberty



بيتهوفن

كلا من الموسيقار "هايدن"، والشاب "بيتهوفن"، كانا يحضران العرض الأول. بعد مشاهدة الأوبرا وسماع موسيقاها، أعلنا أن كيروبيني، هو أعظم موسيقي بين الموسيقيين الأحياء.

لكن عدو كيروبيني العنيد، يبدو أنه لايزال في أثره. النمسا وروسيا، أصبحا في تحالف واحد. هذا التحالف لم يعجب الامبراطور نابليون. فأراد أن يكسر هذا التحالف. تحرك بسرعة البرق، وقام بغزو النمسا.

عندما علم نابليون بوجود كيروبيني في النمسا، قام باستدعائه إلى قصره الصيفي الجديد الجميل، وقال له: "مادام كلانا هنا، دعنا نستمع سويا إلى بعض الموسيقى." فوجد كيروبيني نفسه مضطرا إلى إقامة حفل موسيقي، للترفيه عن امبراطور فرنسا وقاهر النمسا.

بعد ذلك بقليل، قرر العودة إلى باريس. أثناء الرحيل، قابل الموسيقار "هايدن"، الذي بادره بالقول: "اسمح لي أن أعتبر نفسي والدك في الموسيقى. وأنا سعيد بندائك يا ولدي".

سر أصدقاء كيروبيني بعودته إلى باريس. لكنه، ربما بسبب إهمال نابليون له وعدم تقديره لموسيقاه، فقد حماسه الموسيقي. فهو لم يُنتج في سنواته القليلة التالية الكثير من الأعمال الموسيقية.

ثم وجه اهتمامه إلى نوع من الفنون، يختلف تماما عن الفن الموسيقي. أخذ في زخرفة أوراق اللعب (الكوتشينة)، بالإسكتشات والأشكال الخيالية والمناظر الطبيعية.

لكنه مل زخرفة أوراق اللعب بعد عامين. ثم بدأ يحول انتباهه إلى الطبيعة. فأخذ يتجول بين الحقول بصحبة أصحاب القلم، وبدأ يدرس بدأب علم النبات.

في عام 1808م، جاءته دعوة من الأمير "دي تشيماي" لزيارته في قلعته في بلجيكا. بعد وصوله، واصل دراسة علم النبات. وأخذ يقضي الساعات، متجولا بين أشجار الحدائق ونباتات المزارع.

لكن يبدو أن الهواء الطلق، والبعد عن نفوذ نابليون، قد أعاد إليه حبه الأول، الموسيقى. مع اقتراب يوم الاحتفال بعيد القديسة سيسيليا، لماذا لا نسأل الموسيقار الكبير المقيم بالقلعة، ونلح عليه لكي يؤلف لنا موسيقى قداس (Mass) بهذه المناسبة.

ذهب وفد من الفلاحين إلى كيروبيني، لكي يعرضوا عليه الفكرة، ويرجوه قبولها. لكن الإجابة جاءت حازمة ب "لا"، فغادر الوفد حزينا. بعد ذلك بقليل، اكتشف كيروبيني عند عودته من البارك حيث كان يتريض، أن مكتبه مفروش بأوراق موسيقى فارغة، عليها عينات من الزهور. يقال أن أميرة القلعة هي التي وضعتها بنفسها.

جلس كيروبيني على المكتب وقام بكتابة موسيقى قداس بعنوان "كيري" (Mass in F). تبعه بقطة موسيقية دينية أخرى للاحتفال، بعنوان "جلوريا".

"جلوريا" ل "كيروبيني"

Messe en La de L. CHERUBINI - Gloria
Ensemble Vocal Resonance-Orchestre Symphonique de Bretagne
Cathédrale de Rennes - Novembre 2014

تجمع الفلاحين بكنيسة تشيماي لسماع موسيقى القداس، من تأليف كيروبيني، بكل سرور وسعادة. بالرغم من أن الآلات الموسيقية كانت:

1 باسون،



باسون

1 فلوت،



فلوت

2 بوق،



بوق

2 كلارينت.



كلارينت

إلا أن الموسيقى والعزف كانا رائعين. شيئا لم يحدث في تاريخ المدينة من قبل.

عندما عاد إلى باريس فيما بعد، أكمل كيروبيني القداس الذي أبهر أصدقاءه، الذين كانوا قلقين على حالته النفسية، وكانوا لا يجرؤون معها على ذكر الموسيقى أمامه. بات، هو نفسه، سعيدا بعودته للموسيقى. غير أنه كرس حياته منذ ذلك الوقت، تقريبا للموسيقى الدينية.

في عام 1815م، دعي كيروبيني إلى لندن لتأليف سيمفونية، ومقدمة موسيقية، وبعض مقطوعات صوتية. جعلته يُقابل للمرة الثانية بحفاوة بالغة. في هذه الأثناء، كتب عدة رسائل إلى زوجته في بلجيكا.

بعد معركة "ووترلو" وهزيمة جيش نابليون، فقد نابليون عرشه، وعادت عائلة البربون تحكم فرنسا. هنا، يبدو أن متاعب كيروبيني قد انتهت.

فقام بتأليف قداس جنائزي (Requiem)، بمناسبة سنوية وفاة لويس السادس عشر، ملك فرنسا، الذي أعدم بالمقصلة هو وزوجته ماري أنطوانيت أثناء الثورة الفرنسية.



لويس السادس عشر ملك فرنسا

عند عرض القداس في كنيسة "سانت دينيس"، اعترض البعض على الأصوات النسائية التي كانت مصاحبة للقداس. لكن القداس كان من العظمة والعذوبة والشجن، جعل النقاد الموسيقيين يعتبرونه الأروع في تاريخ الموسيقى الغربية الحديثة. كل القداس مبني على جملة رثاء واحدة: "إنك من التراب وإلى التراب تعود".

Cherubini - Requiem in C minor

Edme Gaulle and Pierre Petitot، 1830،Memorial to King Louis XVI and Queen Marie Antoinette
Schumann and Brahms.،The work was greatly admired by Beethoven

في عام 1824م، ألف أيضا قداسا لتتويج الملك "شارل العاشر"، ملك فرنسا.



شارل العاشر ملك فرنسا

أصبح الحكام والأمراء يتنافسون في تكريم كيروبيني. هو الأول بين الموسيقيين الذين حصلوا على وسام "الصليب الأحمر لجوقة الشرف" الفرنسي. حصل أيضا على هدايا من أمير "استرهازي" وملك بروسيا، وغيرهم.

في عام 1821م، أصبح مدير كونسيرفاتوار باريس. وضع كيروبيني كل جهوده في التدريس. بسبب جهوده، يعتبر مؤسس الكونسيرفاتوار. كان يوظف أفضل الأساتذه في كل فروع الموسيقى. وكان قاسيا على المدرسين والطلبة. كان يصر على مواصلة التدريب والعمل الدؤوب.

يذهب إلى مكتبه في تمام الساعة العاشرة صباحا. يجلس حتى الثانية بعد الظهر. يقابل كل من يبغي سؤاله. جاءه يوما فرنسي له صوت هائل. وسأله ماذا يفعل بصوته هذا. طلب منه كيروبيني الغناء لكي يختبر صوته.



عليك بالعمل منادي مزادات

عندما بدأ الرجل في الغناء، أوقفه كيروبيني على الفور قائلا: "عليك أن تعمل منادي مزادات".

كان "أوبير"، صديق كيروبيني، ينتظر ثروة كبيرة من إرث والده. لكنه فوجئ، عند وفاة الوالد، بأنه لم يترك ثروة تذكر. ذهب أوبير إلى كيروبيني يطلب النصيحة.

أخبره كيروبيني: "الأمر بسيط. أنت موسيقي. لديك بعض الأفكار. إذهب للعمل."
أجاب أوبير: "ليس هذا بالأمر السهل. فأنا لم أتعود على العمل، وليس من طبعي أن أعمل."

جاء الرد من كيروبيني سريعا: "حسنا. إذهب إذن، وألق بنفسك من النافذة". ذهب أوبير، لا إلى النافذة، ولكن للعمل، وأصبح مؤلف موسيقي.

بالرغم من صرامة كيروبيني، إلا أنه كان مهتما بتلاميذه، يعاملهم بكل الاحترام. مئات من مؤلفي الموسيقى تخرجوا تحت إشرافه.

كان مكبا على العلم، دائم الاطلاع. كان يقول، لو عشت ألف عام، لما توقف عن الدراسة. كان منظما مرتبا. كل أعماله كانت مدونة بالكامل في كتالوجات، حتى ما ألفه عندما كان سنه 13 سنة، قام بتدوينه.

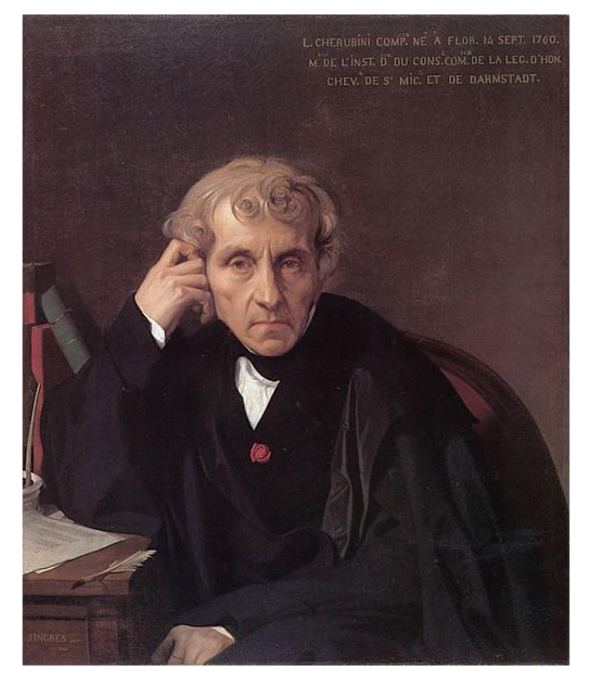
كان متواضعا. عندما وجد اسمه مكتوبا إلى جوار اسم "بيتهوفن"، وكان معجبا به أشد الإعجاب، قال: "سوف أظهر كطفل بجوار هذا الألماني العظيم".

بالنسبة لموسيقاه، كانت تآليفه في بداية حياته، تآليف أوبرالية. أثناء عرضها في فرنسا، داهمتها الثورة الفرنسية. معظمها طواه النسيان، فيما عدا بعض الأوبرات، منها أوبرا "لودويسكا"، أوبرا "اليومان"، أوبرا "فانيسكا" بمقدمتها الجميلة، وأوبرا "ميديا" التي تعتبر من روائع الأعمال الأوبرالية. لكن أكاليل الغار، كانت تمنح له بسبب موسيقاه الدينية.

لقد كان كيروبيني ثوريا ومحافظا في آن واحد. أدى دورا بارزا في ترسيخ قواعد الموسيقى الإبداعية (الرومانسية) في أوروبا. اقترن اسمه بإنجازاته في مجال التأليف الطباقي (Contrapuntal)، أي الانسجام (الهارموني).

قدره تلاميذه الفرنسيون، ومنهم أوبير. كما أعجب به كل من مندلسون، فيبر، شومان، برامز، فاجنر، وبيتهوفن. الألمان يقدرونه أكثر من أي شعب آخر.

كان يكره آلة الفلوت. وكان يقول، أسوأ من فلوت واحد، إثنان. ظل مديرا للكونسرفاتوار الفرنسي حتى وفاته.



بورتريه لكيروبيني، للرسام إنجريز

قام الفنان "إنجريز" برسم بورتريه له رائع. في المقابل، ألف كيروبيني قطعة موسيقية طباقية (Canon)، وأهداها للرسام "إنجريز".

صدم كيروبيني بوفاة زوج ابنته. ثم توفي بعد ذلك بفترة قصيرة عام 1842م، عن عمر 82 سنة. أقيمت له جنازة كبيرة في كنيسة "سانت روتش" بباريس. حضرها ما يزيد على 3000 شخص. كانت هناك فرقة موسيقية من 65 عازف.

عزفت الفرقة آخر قداس جنائزي قام كيروبيني بتأليفه، (Requiem in D). اشترك في حمل تابوته، صديقه "أوبير"، والرسام "إنجريز". أقامت باريس له تمثالا، وأطلقت اسمه على أحد شوارعها.

Luigi Cherubini - Symphony in D major - Piero Bellugi

3

سبونتيني

"العالم بدون موسيقى، خطيئة لا تغتفر"، نيتشه

هناك العديد من الموسيقيين الإيطاليين العباقرة، مشهوريين تتسم أنغامهم بالميلودي. لكن من الصعب وصف الكثير منهم بأنه مؤلف أوبرالي. سبونتيني (1774-1851م)، يعتبر خليفة ل"كيروبيني". لذلك سوف نعرض قصة حياته وموسيقاه هنا.



سبونتيني

حياة سبونتيني كانت على النقيض من حياة كيروبيني. كان سبونتيني موسيقي نابليون المفضل. ألحانه تتسم بروح الواقعية، بها شئ من العظمة تناسب الإمبراطور.

36 AMS "Marsch nach Motiven der Oper Die Vestalin von Gasparo ،AM II Spontini"

اسمه بالكامل: "لويجي جاسباردو باسيفيكو سبونتيني". ولد في ماجولاتي عام 1774م. عندما كان طفلا صغيرا، كان يُعد لكي يكون كاهنا مسيحيا. لكن بسبب شغفه بالموسيقى، لم ينجح في دراسة أي شئ آخر.

كان يحب الذهاب إلى الكنيسة، لمجرد سماع جوقة الموسيقى وصوت آلة الأورغن. كان غالبا، يتسلل إلى غرفة الأجراس لكي يستمع لرنينها. بعد أن تسبب لعمه ومدرسيه من الكهان في الكثير من المتاعب، فر هاربا. مما جعل أهله تمتثل لرغبته الملحة وحبه للموسيقى.

في سن السادسة عشر، التحق بالكونسيرفاتوار بمدينة نابولي. بعد الدراسة هناك لمدة سنتين، ذهب فجأة إلى روما لكي يساعد مؤلف موسيقي هناك في كتابة ألحان أوبرا.

في سن الواحد والعشرين، قام بتأليف ألحان أوبرا بمفرده، قوبلت بحفاوة بالغة، لدرجت أن العروض بدأت تنهال عليه، ترجوه لتقديم أعماله لدور عرض كثيرة.

لكن، قصة حبه لأميرة إيطالية، مع تزامن غزو نابليون لإيطاليا، سببت له الكثير من المتاعب. لذلك نجده يذهب إلى باريس، حيث ينتج هناك بعض الأعمل الموسيقية.

لم يكن معروفا في باريس، إلى أن قام بتأليف لحن موسيقي ميلودي عذب، "ميلتون". تبعه بتأليف اثنتين أو ثلاث أوبرات كوميدية، قوبلت بنجاح كبير.

tuba solo، Aria Milton،Gaspare Spontini

لكن ما جعل سبونتيني مشهورا، هو أوبرا الراهبة، "La Vestale"، عام 1807م.

مقدمة الأوبرا:

Spontini La Vestale overture

قصة الأوبرا، أعطيت ل"سبونتيني" بعد أن رفضها مؤلفون كثيرون. وهي قصة راهبة عذراء، مليئة بالدراما. ألحان الأوبرا، تُظهر مجد الامبراطورية الرومانية.



مشهد من أوبرا الراهبة لسبونتيني

الراهبة، في القصة، ترمز إلى النقاء المثالي. الموسيقى تصور صراعها المرير وتمزقها بين الحب والواجب. بها مارش جنائزي، يصاحب موكب العذارى والكهان والجماهير وهي تشيعها إلى مثواها الأخير. القصة غير عادية، استغرق سبونتيني في تأليف موسيقاها ثلاث سنوات.

أهدى سبونتيني ألحان الأوبرا إلى الامبراطورة "جوزيفين"، زوجة نابليون بونابرت، فقد كانت معجبة بألحانه، وقامت بتعيينه في وظيفة موسيقي البلاط. شهرة أوبرا "الراهبة"، بدأت تنتشر لكي تملأ الآفاق. عشق نابليون ألحانها، فوهب سبونتيني جائزة تقديرية، وتنبأ له بدوام النجاح.

أغنية من أوبرا "الراهبة"، أداء رائع ل"روزا بونسيلي"، أذيعت بالراديو عام 1936م.

، Spontini: La Vestale (Live radio broadcast، "Tu che invoco"،Rosa Ponselle 1936)

بعد أوبرا الراهبة، ألف سبونتيني ألحان أوبرا أخرى بعنوان "فيرناند كورتيز". عبارة عن صور موسيقية رائعة، للنزال بين الفرسان الأسبان والمتعصبين الأزتيك المكسيك في القرن السادس عشر. قصة الحب بين الفارس الأسباني وعذراء الأزتيك، مليئة بالدراما والعواطف.



الملابس في أوبرا فيرناند كورتيز

أوبرا "فيرناند كوتيز" ل "سبونتيني".

ou La conquête du Mexique (1809 / ،Gaspare Spontini - Fernand Cortez 1817)

في ذلك الوقت، تزوج سبونتيني. كان في ذلك الوقت مديرا للمسرح الإيطالي في باريس، بالإضافة إلى وظيفة موسيقي بلاط الملك لويس الثامن عشر. لكن شخصيته

لم تكن تلقى القبول من الجميع. لذلك، بالرغم من أعماله الموسيقية العظيمة، نجد دائما من يناصبه العداء.

لكنه بالرغم من ذلك، ظل يؤلف الألحان الموسيقية. في عام 1819م، ألف موسيقى أوبرا "أولومبيا". أخذت منه وقتا طويلا وصبرا جميلا، وتعتبر أفضل أعماله.

مقدمة أوبرا "أولومبيا" ل "سبونتيني".

Spontini Olimpia Overture

لكن لسوء الحظ، لم تعجب الجمهور، واعتبروا ألحانها، ضوضاء عالية النبرات، تُسمع نبراتها المنخفضة حتى الأصم. مما أغضب سبونتيني، وجعله يقبل دعوة لترك فرنسا.



فريدريك وليام الثالث

في عام 1814م، عندما دخل، "فريدريك وليام الثالث" ملك بروسيا (جزء من ألمانيا)، باريس على رأس الحلفاء. أعجب بموسيقى سبونتيني.

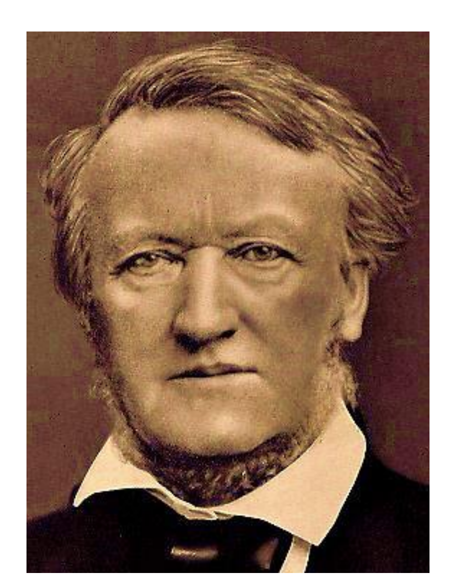
فقام باستدعائه إلى برلين، لكي يصبح موسيقي البلاط. بالرغم من أن سبونتيني، لا يتكلم أو يفهم اللغة الألمانية، إلا أنه قبل العرض.

عندما وصل إلى ألمانيا، بدأ يُعبّر عن نفسه بقوة. مما أغضب حساده، فأخذوا يتكتلون ضده. حاول الملك حمايته، لكن الشعور العام، الذي أخذ في التزايد، كان في غير صالحه. في عام 1841م، فصل من وظيفته.

عندما عاد إلى باريس، بعد غيبة طويلة، وجد أنه أصبح منسيا، لا يتذكره أحد. أخذ مكانه، موسيقيون آخرون. حقيقة، كان صدره مغطى بالنياشين الموسيقية، لكنه الآن فقد تأثيره على عالم الموسيقى. بالرغم من ذلك، دعي إلى مدينتي درسدن وكولونيا، لعرض مؤلفاته السابقة.

أخيرا، رغب في زيارة موطنه الأصلي، فعاد إلى إيطاليا. في عام 1850م، أمضى أيامه الأخيرة في "ماجولاتي". هناك، وجه اهتمامه إلى إنشاء المدارس. لم ينجب أطفالا. لذلك، ترك ثروته عند وفاته للفقراء، عام 1851م.

موسيقى سبونتيني تتسم بالتجديد والدراما والبطولة. بعد موته، كانت أوبرات، "الراهبة" و"كورتيز" و"أولومبيا"، تعرض على المسارح الألمانية. إلا أنها، بسبب اخراجها باهظ التكاليف، لم يعد لها نفس الشهرة السابقة.


فاجنر

الموسيقار "فاجنر"، كان يدين بالكثير ل"سبونتيني". كان يحي ذكراه في مناسبات عديدة، ويقول: "دعنا ننحني أمام قبر ملحن أوبرا "الراهبة" و "كورتيز" و"أولوبيا".

4

روسيني

"تردد الأوتار هو أصل كل شئ" - الفيزياء الحديثة

"كيروبيني"، كان ملحن الثورة الفرنسية. "سبونتيني"، كان ملحن عصر نابليون بونابرت. ولأن الناس ملت موسيقى وألحان الثورات والقلاقل، ظهر "روسيني".



روسيني

عندما تستمع إلى عذب موسيقاه، تنسى همومك ومتاعبك. وتنسى عهد الرعب والإمبريالية والحروب. لذلك يمكن وصفه بأنه طبيب الأرواح ومصلح النفوس.

ولد "جواكينو روسيني"، يوم 29 فبراير عام 1792م. ولأن السنة كبيسة، كان يقول، عندما بلغ الستين، أن عمره 15 سنة فقط. والده كان عازف بوق في المدينة، وكان في نفس الوقت صاحب محل جزارة (سلخانة) في مدينة "بيزارو".

والدته، صاحبة الصوت الجميل، كانت ابنة خباز. جواكينو نفسه، الوسيم المرح، كان في صباه كسولا متسكعا. حاول والده تدريبه العزف على آلة البوق، لكنه لم يكن يحب دراسة الموسيقى. في يوم من الأيام، قرر أن يصبح مؤلفا موسيقيا.

هنا استشاط الأب غضبا، وقال: "يمكنك أن تكون أعظم عازف بوق في البلاد. لكنك بالتأكيد، سوف تصبح أسوأ مؤلف موسيقي".

بعد ذلك، وأثناء القلاقل السياسية التي مرت بإيطاليا، تم القبض على الأب، وأودع السجن.

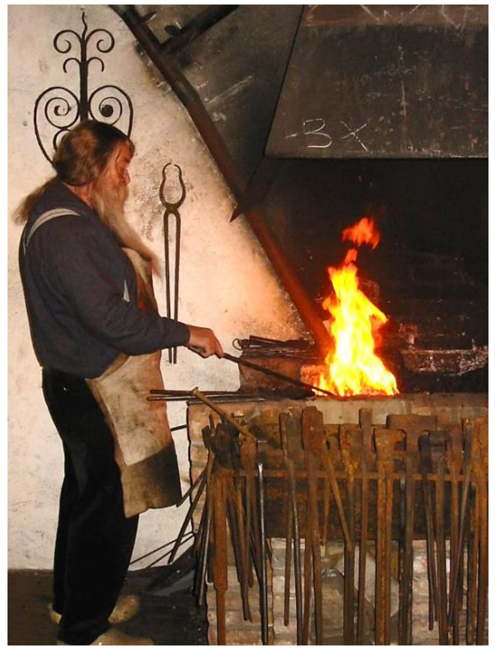


أودع الأب السجن

ماذا تفعل الأم ذات الصوت الرخيم؟ أخذت ابنها الصبي، والتحقت بدار أوبرا متنقلة للغناء. الصغير روسيني، كان له صوت جميل أيضا. وكان يشترك في الغناء إلى جوار والدته، نظير أجر متواضع، يضاف إلى أجر الأم.

عندما أطلق سراح الأب، التحق بالعمل كعازف بوق بأحد الفرق المتجولة. وترك الصبي روسيني في راعاية جزار صديقه في مدينة بولونيا، لكي يدرس العزف على القيثارة (الهارب) تحت إشراف أحد الموسيقيين.

مدرس الموسيقى لم يكن يستطيع العزف على القيثارة إلا باستخدام إصبعين فقط. وكان الصبي يقلده ويسخر منه. عندما علم الأب بذلك، قرر أن يغير طبيعة عمل الصبي.


تعلم روسيني من نفخ الكور التعامل مع الوحدة الزمنية

أرسل الأب ابنه إلى ورشة حدادة، يقوم هناك بنفخ الكور طول اليوم. بالرغم من مشقة هذا العمل، إلا أن روسيني كان يقول بأنه تعلم من مهنة نفخ الكور، كيف يتعامل مع الزمن والوحدة الزمنية.

كان روسيني محبا للموسيقى. وكان موهوبا بالفطرة. لو أنه قام بدراسة الموسيقى، لأضحى معجزة موسيقية. لكنه كان متقلبا كسولا. هدفه الأساسي هو المرح والتسلية. إلا أنه كان يجل الصداقة وحب الناس.

مع مرور الوقت، بدأ مدرسو الموسيقى يعرضون عليه تدريبه. هذا على آلة البيانو، وذاك يقدم له تدريبات صوتية، وآخر يبين له طريقة إلقاء الشعر. وكان الصبي روسيني، يختار من كل منهم ما يحلو له.

في سن الخامسة عشر، التحق بالكونسرفاتوار في بولونيا. لم يكن يهتم بالموسيقى الدينية والكنسية كثيرا. لذلك ترك الكونسرفاتوار حينما كان قادرا على تلحين أوبرا بمفرده.

بعد ذلك، أصبح مؤلف موسيقي متجول، يجوب أنحاء إيطاليا.

موسيقي مجول من القرن التاسع عشر

في بعض الأحيان، تجذبه المدن الكبيرة. في أحيان أخرى، تجذبه المدن الصغيرة. لكنه كان يجد نفسه في المدن الصغيرة، حيث تكون دور عرض الأوبرات المحلية، لها أهمية كبيرة عند المواطنين.

بما أننا نستعرض حياة روسيني، فيجب أن نعرف كيف تولد الأوبرا الجديدة. نبدأ أولا بالمتعهد، الذي يؤسس شركة. ثم يقوم باختيار الممثلين. يشتري القصة، غالبا تكون من شاعر مغمور بمبلغ زهيد جدا. بعد ذلك، يبحث عن ملحن يقوم بتلحين الأوبرا، واختيار المغنيين وتدريبهم.

لعدة سنوات، قام روسيني بتلحين الأوبرات الصغيرة. إذا طلب منه أن ينجز العمل في أربع أسابيع، يقضي أسبوعين منهم في اللهو والشرب والاستمتاع بالحياة.



يقضي نصف الوقت في اللهو والشرب

ثم يقوم بالعمل الجاد تحت ضغط الوقت في الأسبوعين الأخيرين. يساعده في ذلك، أنه يؤلف بسهولة وبسرعة شديدة.

الشيخ سيد درويش، الملحن العظيم، عندنا في مصر، كان يسلك تقريبا نفس السلوك.



سيد درويش

كان روسيني يؤلف في الصباح، ويقوم بالتدريب وعمل البروفات في المساء. كان يهتم بجعل الموسيقى تناسب الأصوات. وكان ناجحا في تدريب الأصوات على الغناء، حتى بالنسبة لمن لا يستطيع أن يميز بين نغمة وأخرى.

أول أوبراته التي قام بتلحينها، كانت كلها قصيرة وبسيطة التكوين، يشبه بعضها البعض. كان يقول، لو شاهدت واحدة، كأنك شاهدت الكل. بسبب سهولة الألحان، تجرأ أحد المغنيين وخرج عن اللحن، وبدأ يلحن من نفسه. لذلك قرر روسيني، منذ ذلك الوقت، أن يضع بصمته على الألحان ويوشيها بالأنغام، حتى لا يتكرر ذلك.

كان يحب الحياة البوهيمية. بمعنى أنه كان يعيش "يوما بيوم". يأخذ بمبدأ: "اصرف ما في الجيب، يأتيك ما في الغيب". يفضل قضاء الوقت السعيد مع أصدقائه، على أي شئ آخر. أينما يحل، يجد حفاوة من جمهوره. كان يرتجل أغاني الغزل، مما جعل العذارى من كل الطبقات، تهمن به.

عندما بلغ الواحدة والعشرين من العمر، ظهرت له أوبرا بعنوان "تانكريدي"، وهي أفضل أعماله في فترة الشباب. مغنية الأوبرا "باستا"، في ملابس فرسان الصليب الأحمر، بالخوذة والدرع، أعطت الأوبرا بعدا جديدا.



المسرح كان، كل ليلة، ممتلئا بالجمهور. ألحان الأوبرا تتردد في الشوارع والطرقات.
الأوبرا لاقت نجاحا كبيرا، لا في إيطاليا وحدها، ولكن في كل أنحاء أوروبا.

تانكريدي لروسيني.
Gioachino Rossini : Tancredi (complete opera)

مغنية الأوبرا الأولى، ال"بريما دونا"، لنزوة طارئة، رفضت أن تغني الجزء الخاص بها.
حدث هذا قبل أن يُرفع الستار بساعتين. أرسلت إلى روسيني ما يفيد بأنها تريد لحنا
آخر، وإلا.

هذا المشهد، يذكرنا بمشهد "زينات صدقي" في فيلم
عنبر، عندما رفضت المطربة حورية الغناء بملابس قديمة،
ولم يبق إلا دقائق على رفع الستار.

زينات صدقي في دور المطربة حورية

كان روسيني يجلس في مطعم، ينتظر طبقا من الأرز. جاءته الرسالة، فماذا يفعل؟ أثناء انتظار طبقه المفضل، كتب على قصاصة ورق لحنا آخر في خمسة دقائق، وأرسله إلى المغنية العنيدة. وأصبح اللحن يعرف بلحن الأرز.



روسيني قام بتلحين أغنية وهو في انظار طبق أرز

لحن الأرز من أوبرا تانكريدي، ل"روسيني".

Vesselina ،Gioachino Rossini - Tancredi - "Di tanti palpiti" (Ewa Podles Kasarova & Jennifer Larmore)

من أعمال روسيني الأولى أيضا، أوبرا بعنوان "إيطالية في الجزائر" عام 1813م، لروسيني.



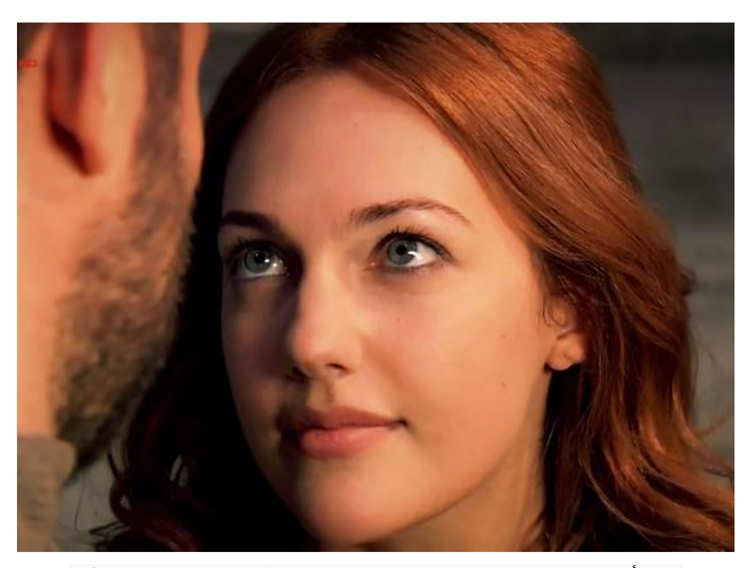
أوبرا "إيطالية في الجزائر" لروسيني

هي ضمن ثلاث أوبرات، لحنها في نفس العام، منها تانكريدي. تُبين كيف نقل روسيني الموسيقى الأوبرالية الايطالية من الكلاسيكية الخالصة الى الرومانسية، دون أن يؤثر ذلك في ذوق الجمهور.

أوبرا "إيطالية في الجزائر" كوميدية، في مناخ شرقي بحت. تصور ما يجري في قصور الحكام، من مؤامرات ومغامرات غرامية. يقال أن القصة منقولة عن قصة حقيقية حدثت لروكسلانا محظية السلطان سليمان القانوني العثماني.



السلطان سليمان القانوني



مريم أوزرلي في دور روكسلانا (هيام) في المسلسل التركي حريم السلطان

تدور أحداث أوبرا "إيطالية في الجزائر" على أرض الجزائر في بداية القرن التاسع عشر، أيام حكم الوالي التركي مصطفي، باي الجزائر. الوالي يأخذ مكان السلطان سليمان القانوني في الأوبرا.

يمل مصطفى، باي الجزائر، زوجته. فيطلب من القرصان "علي"، أن يأتيه بإمرأة إيطالية، تكون جميلة وصغيرة السن. في نفس الوقت، تصادف وصول سفينة إلى الشاطئ، بفعل عاصفة عاتية، على متنها الحسناء الإيطالية إيزابيلا.

إيزابيلا كانت تبحث عن خطيبها "ليندور"، الذي خطفه القراصنة من قبل. ولمحاسن الصدف، نجد أن الحبيب "ليندور" موجودا بنفسه في قصر الباي مصطفي كعبد من عبيده.

بعد أن تنظم إيزابيلا حفلا صاخبا، يسرف فيه الباي في الأكل والشرب. يهرب "ليندور" و"إيزابيلا" من القصر، ويبحرا بالسفية إلى بلادهم. بذلك يجبر الباي مصطفي على العودة إلى زوجته الطيبة "الفيرا"، وهو يحاول اقناع نفسه بأن النساء الإيطاليات، لا يصلحن للحب والزواج.

الأوبرا لاقت نجاحا كبيرا، وذاع سيطها في كل أنحاء أوروبا. وأصبحت أنغامها على كل لسان. خصوصا اللحن الثلاثي الرائع في الفصل الثاني، "بابا تاتشي".

Rossini: The Italian Girl in Algiers - Pappataci! (Carfizzi، Brownlee، Belcher)

أوبرا "إيطالية في الجزائر" لروسيني.

G. ROSSINI - Sinfonia dall'Italiana in Algeri

بعد ذلك بثلاث سنوات، أُنتجت أوبرا "حلاق اشبيلية". هي أوبرا مليئة بالتنوعات والألحان الساحرة. يمكن أن تستمتع بألحانها، حتى وإن كنت لا تعرف اللغة الإيطالية.

حلاق اشبيلية:



الأوبرا كوميدية من فصلين، المقدمة الموسيقية هادئة تتكون من لحنين. تحكي قصة حب بين الكونت الشاب "المافيفا" والغادة "روزينا". يرغبان في الزواج، إلا أن "بارتولو" الوصي على روزينا، يطمع في أموالها ويريد هو الزواج منها.



هنا يظهر الحلاق "فيجارو"، الذكي متعدد المواهب وصاحب الحيل، لكي يعمل على إفشال مخطط "بورتولو". تنتهي الأوبرا نهاية سعيدة بزواج المحبين وانتصار الحب.

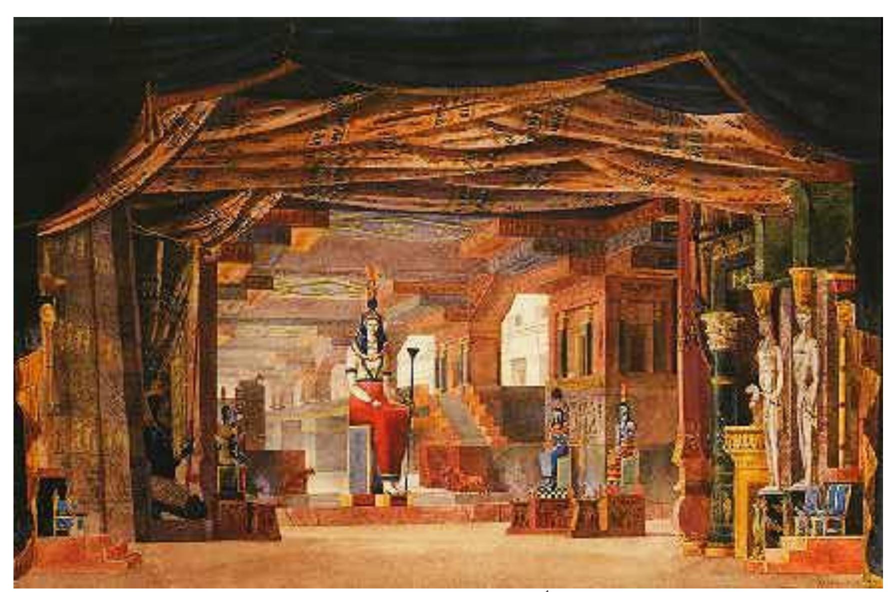
القصة كتبها "ستوبيني"، بينما كان روسيني يقوم بتلحينها، في 13 يوما. لم يكن أيا منهما يغادر المنزل أثناء كتابتها. تلا ذلك، التدريب عليها لمدة شهر، ثم عرضها في مدينة روما. في أول عرض، حدثت أشياء عجيبة:

قُطع وتر من آلة الجيتار ، بينما كان "جارسيا"، التينور، يغني. مغني آخر يصطدم بعتبة الباب فيسقط. قطة شاردة تجري هنا وهناك على المسرح. ضج الجمهور بالضحك والهمس. مما جعل روسيني، يترك المسرح غاضبا، ويعود إلى منزله مكسور الخاطر.

في الليلة التالية، تغيب عن المسرح متعللا بالمرض، وذهب إلى الفراش لينام مبكرا. لكن بعد عرض الأوبرا، تجمهرت الناس أمام منزله، وقاموا بتحيته بالتصفيق والهتاف.

بعد ذلك، أصبحت أوبرا حلاق اشبيلية، تعرض على كل مسارح أوروبا. ولم تفقد منذ ذلك الوقت حتى الآن، شيئا من بريقها وعذوبة ألحانها. مقدار المتعة والسرور اللذان أضفتهما هذه الأوبرا على كل عشاق الأوبرا في العالم، لا تقدر بثمن. بالرغم من ذلك، لم يحصل روسيني إلا على ألفين فرانك، ثمنا لها.

الأوبرا الدينية (أوراتوريو)، بعنوان "موسى في مصر"، لحنها روسيني عام 1818م. عند عرضها لأول مرة، بدا المشهد الخاص بعبور النبي موسى واليهود البحر الأحمر مضحكا للغاية. مما تسبب في فشل العرض كله.



مشهد من أوبرا "موسى في مصر" لروسيني

المشاهدون أخذوا في الضحك والهمس، وكان تأثير ذلك على روسيني كبيرا. فترك المسرح غاضبا إلى بيته. هنا ظهر مؤلف قصة الأوبرا، ذهب إلى روسيني في بيته، يقترح عليه تلحين صلاة يمكن غناؤها أثناء عبور البحر.

تقبل روسيني الفكرة، وهو في حالة اليأس هذه. نهض من فراشه، وقام بكتابة لحن صلاة (دعاء) بسرعة فائقة. في الليلة التالية، عرضت الأوبرا باللحن الجديد.

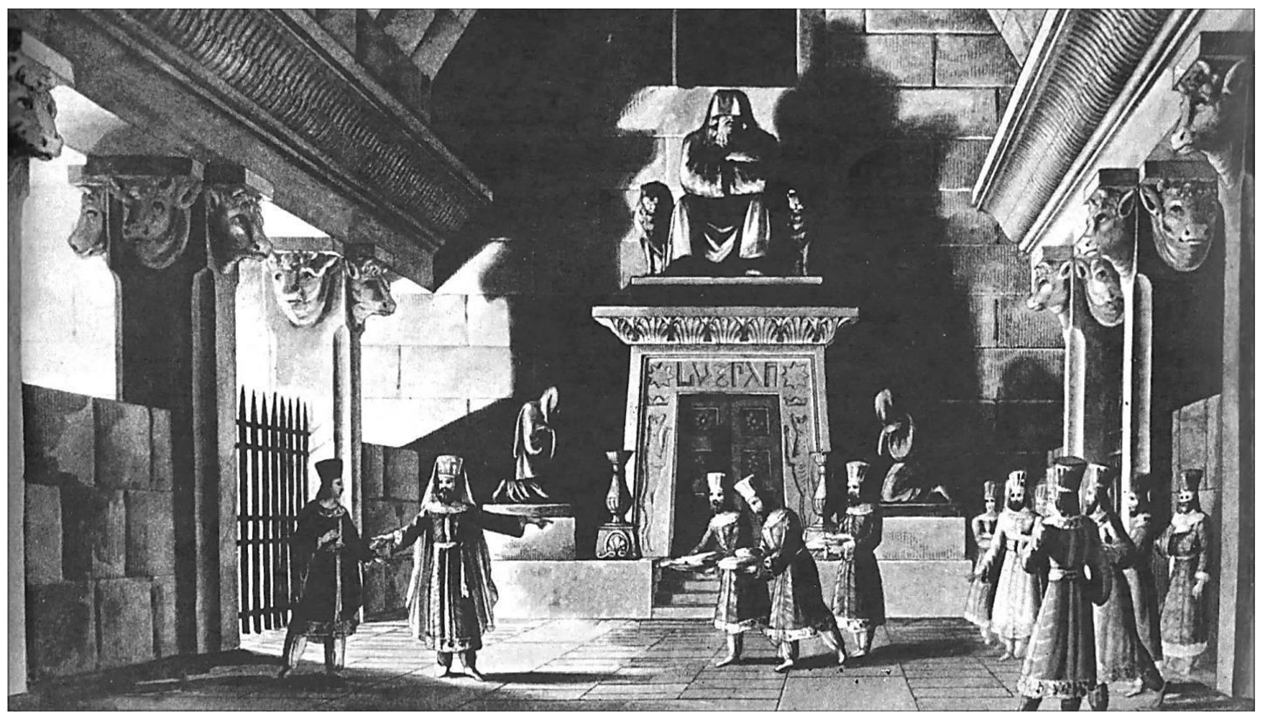
عند مشهد عبور البحر، وسماع لحن الصلاة، سجد المشاهدون على ركبهم وأخذوا يرددون اللحن مع الكورس. ثم عاصفة مدوية من التصفيق، أنست روسيني فشل الليلة السابقة. وأصبح لحن الصلاة، نموذجا يحتذي به كل مؤلفي الأوبرات اللاحقة.

لحن الصلاة لروسيني في أوبرا "موسى في مصر".

Mose e Faraone: prayer (Scala 2003)

في عام 1821م، تزوج روسيني في مدينة بولونيا من مغنية الأوبرا الأولى "كولبران". وقع في غرامها عندما كان يؤلف لحنا يناسب صوتها.

كانت كولبران إمرأة ذات سحر نادر. مغنيته الأولى لمدة سنتين أو ثلاثة. آخر مرة ظهرت فيها على المسرح، كان دور الملكة البابلية في أوبرا "سميراميس".



أوبرا سميراميس لروسيني

مقدمة أوبرا سميراميس لروسيني:

Gioachino Rossini - Semiramide (Overture)

أنتجت هذه الأوبرا بمناسبة احتفال في مدينة البندقية. ثم ثبت فيما بعد أنها تحفة موسيقية رائعة. لكن في بداية عرضها، قوبلت بفتور شديد، جعل روسيني يقرر عدم تأليف أوبرات لإيطاليا مستقبلا.

ذهب بعد ذلك إلى فيينا. في عام 1824م، قوبل بحفاوة في لندن. هنا قام بالغناء دويتو، مع الملك جورج الرابع. كان يحتسي الشاي في الأماكن المألوفة. ويعزف على آلة البيانو في الحفلات العامة بسرعة البرق. عندما غادر المدينة، كان يحمل معه ثروة تقدر بسبعة آلاف جنيه استرليني. ثروة كبيرة في وقتها.

أخيرا، استقر به المقام في مدينة باريس. إلتحق بجمعية الموسيقيين. كان يكن للموسيقار كيروبيني تقديرا خاصا. ذهب يوما لكي يزور كيروبيني في منزله، فلم يجده.

أثناء انتظاره، أخذ يعزف لحنا قديما لكيروبيني على البيانو. في هذه الأثناء، دخل كيروبيني وسأله كيف عرفت هذا اللحن. فأجاب روسيني بأنه سمع الناس تغنيه في الشوارع. سر كيروبيني من صديقة الذي يعرف كيف يجامل الأصدقاء.

في الواقع، كان روسيني مفضلا بين المؤلفين الموسيقيين. عين مديرا لدار الأوبرا الإيطالية. ظل يشغل هذا المنصب إلى أن طُرد شارلز العاشر ملك فرنسا، من الحكم عام 1830م.

كانت من عادته، إدخال ألحان من باكورة أعماله في مؤلفاته الأخيرة. معتقدا أن اللحن الجيد، لا يجب أن ينسى. عندما يحتاج إلى النقود، كان يعمل بسرعة تحت ضغط الحاجة. لحن الكثير من الأغاني الساحرة تحت ظروف مشابهة.

رجاه المعجبون بموسيقاه كي يأتي بشئ جديد. لذلك، ظهرت أوبرا "وليام تل" عام 1828م. هي من أروع أعماله، التي أبهرت العالم. لأنها كانت تختلف عن كل الأوبرات التي سبقتها.

"وليام تل" لروسيني:

Gioachino Rossini
Guillaume Tell (William Tell)
Live recording. Amsterdam، February 2013

أخذ روسيني شعر "شيللر"، وجلس مع اثنين من أصدقائه لكتابة قصة الأوبرا. القصة تصف ثورة السويسريين عام 1207م، التي أدت إلى استقلال البلاد.

تبين شجاعة الوطنيين بقيادة "وليام تل"، ونضالهم ضد الحاكم النمساوي "جيسلر". كما تظهر أيضا، الصراع بين الحب والوطنية، وكيف أجبر "جيسلر" وليام تل، على أن يرمي بسهمه التفاحة التي على رأس ولده. لكنه عندما أصاب التفاحة، طعن بسيفه قلب الحاكم الظالم.



وليام تل يصوب السهم اتجاه التفاحة على رأس ابنه

مقدمة الأوبرا الموسيقية رائعة. هي الدراما الوحيدة التي لحنها روسيني. لا توجد مقدمة موسيقية تعبر عن أحداث الأوبرا مثلها. البداية بطيئة هادئة تصور مكانا مسالما أعلى جبال الألب. بعد ذلك، تهب عاصفة شديدة من الغضب. مشبعة بالبرق والرعد والمطر.

ثم تسمع قطرات المطر وهي تتضاءل حتى تختفي وسط نداء الرعاة في المراعي وصليل الأجراس. يأتي بعد ذلك، نداء الحرب وصوت البوق، يناديان بالنضال ضد جند العدو. ثم تنتهي المقدمة بلحن انتصار رائع.

الأوبرا مطعمة بأغاني ميلودي. أغاني الصيادين، وأغاني الصيد، والدعوة لحمل السلاح، ونغمات الحب، والكورس والعاصفة. اللحن في المشهد الختامي، هو أغنية الحرية السويسرية.

موسيقى البوق والبوق الفرنسي، من الصعب تأليفها. لكن روسيني كان محبا للبوق (الهورن). يجب أن لا ننسى أن والده كان عازف بوق. وقد بدأ روسيني العزف على البوق وهو طفل.



البوق الفرنسي

عمر روسيني كان 37 سنة، عندما لحن "وليام تل". لماذا يتوقف عن التلحين وأمامه 40 سنة أخرى يعيشها. كان يقول، نجاح آخر لن يضيف لى شيئا جديدا. لكن فشكل واحد، قد يدمر كل شئ.

أنا لا أريد نجاح آخر، ولا أريد أن أعرّض نفسي لفشل محتمل. لدي ما يكفيني من المال، ويجب أن أستريح. لقد لحنت ما فيه الكفاية باللغة الإيطالية، ولا أرغب في أن ألحن بالفرنسية، ولا أستطيع التلحين بالألمانية. يقول النقاد، أنه ربما تكون قد انتابته حالة من الكآبة والاكتئاب بسبب موت والدته وزوجته الأولى.

النصف الثاني من حياة روسيني، ليس به إلا القليل الذي يستحق الذكر. العمل الموسيقي الديني الآخر، بجانب "موسى في مصر"، هو "ستابات ماتر"، وتعني حرفيا السيدة العذراء واقفة.

كتب روسيني "ستابات ماتر" بعد أوبرا "وليام تل" بثمان سنوات. تعتبر من أفضل ثلاث أعمال بهذا الاسم في العالم. مؤلفا العملين الآخرين هما، "باليسترينا" و "بيرجوليزي".

اللحن عادة ما يكون رقيقا حزينا، يكتب لصوتين. لكن روسيني "ستابات ماتر"، به دراما أكثر من مجرد موسيقى للعبادة. اللحن لاقى إعجابا عظيما. يقال أن العمل يشبه باقة من الزهور ، تتقرب بها إلى الله.

"ستابات ماتر" لروسيني:

Stabat Mater - Gioachino Rossini

مر روسيني بفترة، تعب فيها من الموسيقى. لم يكن يسمح لأحد بترديد أي لحن أمامه أو ذكر كلمة موسيقى.

ثم ترك باريس، وأخذ يسلي نفسه بأشياء أخرى. مثل صيد السمك وتربية الخنازير في بولونيا. لكنه عاد إلى باريس. هناك، بنى لنفسه منزلا، وفرشه بأفخر الأثاث.



هجر روسيني الموسيقى وأخذ يسلي نفسه بصيد السمك وتربية الخنازير

كان روسيني مستعدا دائما لإسداء النصح لمن يطلبه من الموسيقيين الشبان. وكان يبدي امتعاضه للأصوات الشاذة التي تشبه الصراخ، أو ممن لا يجيدون العزف، كأنهم يطلبون الثأر من آلاتهم الموسيقية.

كان معجبا بالموسيقار "هايدن"، وعاشقا لموسيقى موزار. يعتبره أعظم موسيقي في العالم. يدين بالكثير للشاعر الإيطالي "دانتي"، مؤلف الكوميديا الإلهية. في حياته، قام روسيني بتلحين 36 أوبرا.

أثناء مرضه الأخير، زاره أشهر خمس أطباء في أوروبا. عند وفاته، نصف سكان باريس اشتركوا في تشييع جنازته. عزفت موسيقاه الدينية، "ستابات ماتر"، بأداء المغنيتان المشهورتان في ذلك الوقت، "باتي" و"ألباني". ودفن في مقبرة "بيري لا تشيز" بباريس.

خصص روسيني مليون فرانك لإقامة دار للمسنين الموسيقيين الإيطاليين والفرنسيين. تعرف الآن باسم مؤسسة روسيني، افتتحت عام 1889م.

5

بيليني- دونيزيتي

"إذا كانت الموسيقى غذاء الحب، فواصل العزف." وليام شيكسبير

كانت أوبرا روسيني، نموذجا يحتذى به في كل إيطاليا. كثير من الملحنيين ينتمون إلى مدرسته. أعمالهم كانت تسمى "الأوبرا الغنائية". لأنه في ذلك الوقت، ظهرت مجموعة رائعة من المغنيين والمغنيات، يمزجون أصواتهم الجميلة بالألحان العذبة لملحني الأوبرا العظام، تجعلك تنسى قصة الأوبرا (ليبراتو)، وما بها من ضعف أو سذاجة.



بيليني

ملحني الأوبرا العظام هؤلاء، كانوا يظهرون، الواحد تلو الآخر. حياة كل منهم، قصة بديعة في حد ذاتها. تصور نضالهم ونجاحهم وأهواءهم ومنافسيهم وما كانوا ينالوه من حفاوة وتقدير ونياشين من الملوك والأمراء. اثنان من هؤلاء الملحنين، كانا تلميذين لروسيني، يغنيان في أوبراته. هما "بيليني" و"دونيزيتي".



دونيزيتي

"بيليني"، ألحانه خلابة، تمتاز بالبساطة، تسحر الألباب. ألحانه العاطفية تعكس مشاكل الحب والزواج، والحالة الحزينة التي كانت تمر بها بلاده في ذلك الوقت.

ولد بيليني في مدينة كاتانيا بجزيرة صقلية عام 1801م. طفل معجزة (prodigy)، لعائلة موسيقية كبيرة. كان يردد الألحان قبل أن يتكلم. بدأ يتعلم الموسيقى في سن الثانية، والعزف على آلة البيانو في سن الثالثة. أجاد العزف في سن الخامسة. في السادسة، ألف خمس قطع موسيقية.

في عام 1819م، إلتحق بالكونسيرفاتوار بمدينة نابولي، بمنحة من حكومة كاتانيا. في عام 1822م، كان يدرس موسيقى هايدن وموزارت. أول أوبراته "أديلسون إي سالفيني"، عرضت على مسرح معهد الكونسيرفاتوار أثناء دراسته.

يتميز بيليني بقدرة فائقة على تلحين الأغاني. جعلت ثلاثة من أوبراته تغزوا قلوب محبي الموسيقى الراقية في كل أنحاء العالم. الثلاث أوبرات هي: "لاسو نامبولا"، "نورما"، "إي بوريتاني".

ماريا كالاس في أداء رائع، تغني من أوبرا "لا سونامبولا" لبيليني.

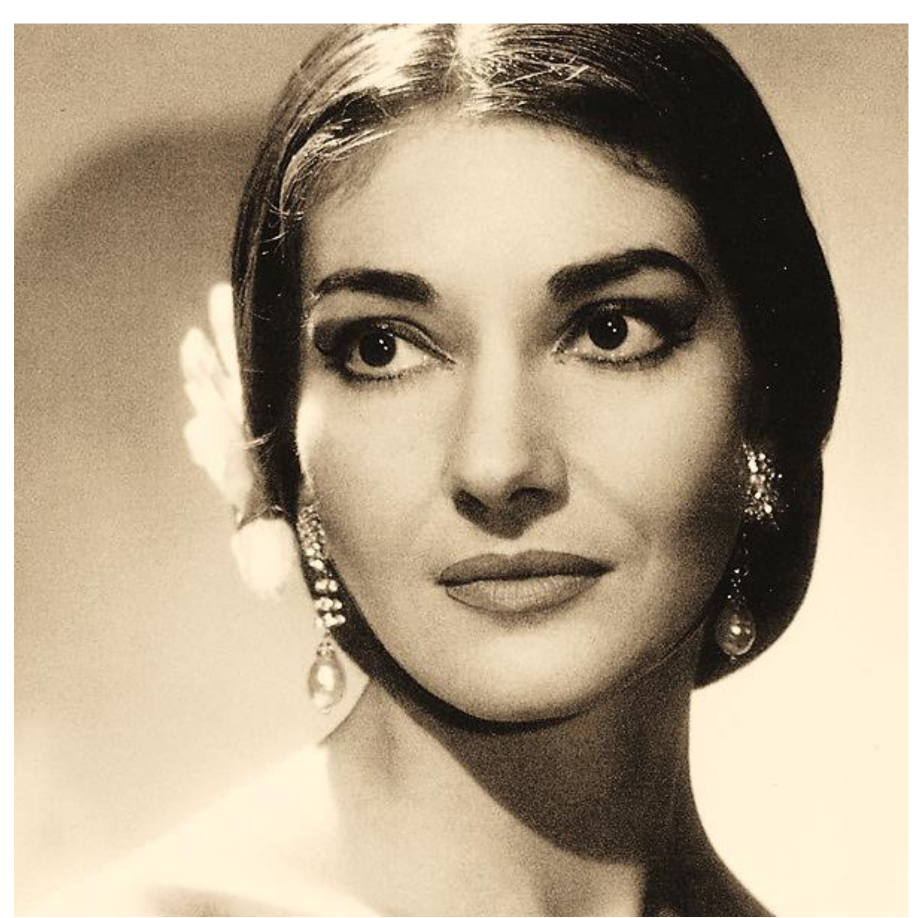
non credea mirarti" ‹Maria Callas La sonnambula "Oh! se una volta sola-Ah 1965'

ماريا كالاس تغني "كاستا ديفا" من أوبرا "نورما" لبيليني.

Maria Callas -Bellini- Norma - Casta Diva

"ماريا كالاس" و"جيوسيبي دي ستيفانو" من أوبرا "إي بوريتاني" لبيليني.

A te o cara - I Puritani‹Giuseppe di Stefano‹Maria Callas



ماريا كالاس

أوبرا "لا سونامبولا" لاقت إعجابا شديدا بسبب ألحانها الميلودي. أوبرا "نورما"، رائعة بيليني، هي في الواقع عمل موسيقار عبقري. عندما كان يلحن أغانيها، كانت المغنية "باستا" في ذهنه. عندما قامت بأداء ألحانها، لم تعد تدعى "باستا"، بل "نورما" الكاهنة العرافة في حكاية الأوبرا.

بيليني كان يقوم بعمل البروفات بنفسه. لا يعتبر أي جزء من الأوبرا قد اكتمل، قبل أن ينول رضاه، ويأتي كما تخيله تماما. المغني التينور "روبيني"، صديق روسيني، كانت له ملامح جامدة مثل الحجر، لا تتناسب مع صوته الجميل.

كان بيليني يعمل بروفة لأوبرا "إي بوريتاني"، ومعه عظماء الغناء في ذلك الوقت، "جريسي"، "روبيني"، "تامبوريني"، "لابلاتش". لم يُعجب بيليني بأداء "روبيني"، فصرخ فيه بغضب قائلا: "أنت لا تضع حياة أو حبا في الموسيقى. أبدِ بعض الشعور، ألا تعلم ما معنى الحب؟"

نزل التوبيخ على "روبيني" المغني نزول الصاعقة، فأعاد دوره بطريقة رائعة كلها حياة. عندما عرضت الأوبرا، هزت أركان باريس وجعلت الملحن "بيليني" ينال وسام "صليب فيلق الشرف" الفرنسي.

توفي بيليني عام 1833م، بالقرب من باريس، أثر إلتهاب حاد في الأمعاء. دفن في مقبرة "بير لاتشيز" بباريس، ثم نقل رفاته إلى كاتيدرائية كاتانيا عام 1876م. لم يتزوج، ويقال أن كانت له بعض العلاقات الغرامية مع نساء متزوجات.

في جنازته، عزفت، إلى جانب لحن القداس الجنائزي، بعض ألحانه الميلودي من آخر أعماله، أوبرا "إي بوريتاني".

"جايتانو دونيزيتي"، مؤلف أوبرا إيطالي، ولد في "بيرجامو"، "لوباردي"، عام 1797م. أصغر ثلاثة أولاد. من عائلة فقيرة غير موسيقية. والده كان يعمل في مكتب رهنيات. تعلم دونيزيتي على أيدي "سيمون ماير"، الموسيقي الألماني الذي كان يقود الفرقة الموسيقية بكنيسة "بيرجامو" عام 1802م.

لم يكن دونيزيتي يجيد الترتيل في صباه، لكنه كان أول التلاميذ الذين يحصلون على منحة كاملة لدراسة الموسيقى في "بيرجامو". تعلم هناك فن الفوجا
والطباق(كونترابنط)، وهي صيغ موسيقية مختلفة. هنا أيضا، بداية أسلوبه في التأليف الأوبرالي.

"دونيزيتي"، كان في البداية يتتبع خطى "روسيني". لكنه بعد ذلك، بدأ يتخذ أسلوبا خاصا به، خصوصا في أوبراته التراجيدية والكوميدية. في بعض الأحيان، كان يضيف مقطعا هنا أو لحنا عذبا هناك، لكن دون مساس بوحدة بناء الأوبرا. أشهر أعماله الجادة، "آن بولين"، "لوكريزيا بورجيا"، "لوسيا دي لاميرمور"، "لا فافوريتا".

قصة أوبرا "لوسيا دي لاميرمور" مأخوذة من رواية "عروس لاميرمور" للشاعر الاسكتلندي السير "والتر سكوت". مليئة بالمواقف العاطفية والألحان الميلودي.

ماريا كالاس تغني لحن من أوبرا "لوسيا دي لاميرمور" ل"دونيزيتي".

maria callas donizetti lucia di lammermoor scena della pazzia part2-2

أوبرا "لوكريزيا بورجيا"، عندما عرضت في كاتيدرائية بطرسبورج أمام القيصر، كان أحد مقاطعها يُطلب إعادته 20 مرة.

ماريا كالاس تغني مقطع من "لوكريزيا بورجيا" ل"دونيزيتي".

María Callas. Lucrecia Borgia. Tranquillo ei posa... Com´è bello. G. Donizetti.

مقطع من "لا فافوريتا"، غناء "جوليتا سيميناتو"، ل"دونيزيتي".

mezzo-،Donizetti - La Favorita 'Oh mio Fernando' avec Giulietta Simionato soprano

أوبرا "لا فافوريتا"، بشخصياتها الرائعة، تعتبر أفضل أعماله. لحّن "دونيزيتي" فصولها الأربعة فيما عدا أغنية واحدة، في مدة ثلاث ساعات. أوبرا "دون باسكال"، لحنها في ثمان ساعات.

الموسيقى في "دون باسكال"، بهيجة متألقة، والقصة مسلية. تصور ال"دون باسكال"، الأعزب العنيد الساذج، عندما كان يبحث عن الزواج السعيد، ووقوعه في الشرك المنصوب له.

المقدمة الموسيقية ل"دون باسكال". قائد الأركسترا العظيم توسكانيني سنة 1943م.

Donizetti Don Pasquale Ouverture - Toscanini NBC 1943



توسكانيني

كما لا يجب أن ننسى الأوبرا الكوميدية القصيرة "لإليزير دامور"، لأنها هي الأخرى مليئة بالألحان العذبة.

أداء رائع ل"لوشيانو بافاراتي" يغني لحن عذب من "لإليزير دامور" ل"دونيزيتي".

Luciano PAVAROTTI. Una furtiva lagrima. L' elisir d' amore. G .Donizetti.



لوشيانو بافاراتي

"أدينا"، أجمل وأغنى عذراء في القرية، تبدو مترددة ومتقلبة. حبيبها الخجول "نيمورينا"، لا يعرف كيف ينول رضاها. مشاهدته لزير النساء، الرقيب "بيلكور"، وهو يغازل حبيبته، جعلته في منتهى اليأس.

ثم نسمع صوت البوق، يعلن عن قدوم العربة الذهبية إلى ميدان القرية. يجلس داخل العربة على كرسي مذهب، محاطا بالأوراق والزجاجات، الدكتور الدجال "دولكاميرو"، بملابسه الفاخرة.

يخاطب الدكتور الدجال فضول الفلاحين الذين تجمعوا حوله. يخبرهم بأنه أحضر لهم العلاج الناجع الشافي المعافي لكل الأمراض. هذا الدواء لا يشفي كل الأمراض فقط، لكنه أيضا يعيد الشباب للكهول، يجفف الدموع، يذيب التجاعيد ويمحو الشيب. كما أنه يحتوي على مادة "إكسير الحب"، التي تمنح الشباب القوة لكسب قلوب العذارى العاصيات المتمنعات.

المسكين "نيمورينا"، يقترب بفضول شديد لمعرفة المزيد عن هذا الإكسير العجيب. يطمئنه الدكتور النصاب، ويخبره أنه دواء مجرب، مفعوله أكيد، ويبيعه زجاجة، مقابل كل ما تبقى لديه من نقود. يشرب "نيمورينا" الزجاجة، وينال رضاء وقلب المحبوبة "أدينا".

من الصعب معرفة أي الأوبرات، التي تصنف على أنها من المدرسة الروسينية أفضل من الباقي. لأن كل منها يحتوي على ألحان موسيقية عذبة، ترضى كل الأذواق.

في عام 1843م، ظهر عليه مرض الزهري وأصيب بمرض نفسي واكتئاب. ذهب للعلاج في باريس عام 1845م، وكان يقوم بزيارته الموسيقار "فيردي". لكنه عاد ثانية إلى بيجامو مسقط رأسه. كان يهيم على وجهه، أثناء هذيانه، يقول: "مات المسكين دونيزيتي". بعد عدة سنوات، توفي عام 1848م.

كتب "دونيزيتي" 63 أوبرا. كان يعمل بصفة مستمرة، قبل أن يفقد عقله. إلى جانب أعماله الأوبرالية، ألف أيضا موسيقى دينية ورباعيات وترية وبعض الأعمال للأوركسترا. أخوه الأكبر "جوزيبي دونيزيتي"، كان يعمل موسيقي في بلاط السلطان العثماني محمود الثاني(1808-1839م).

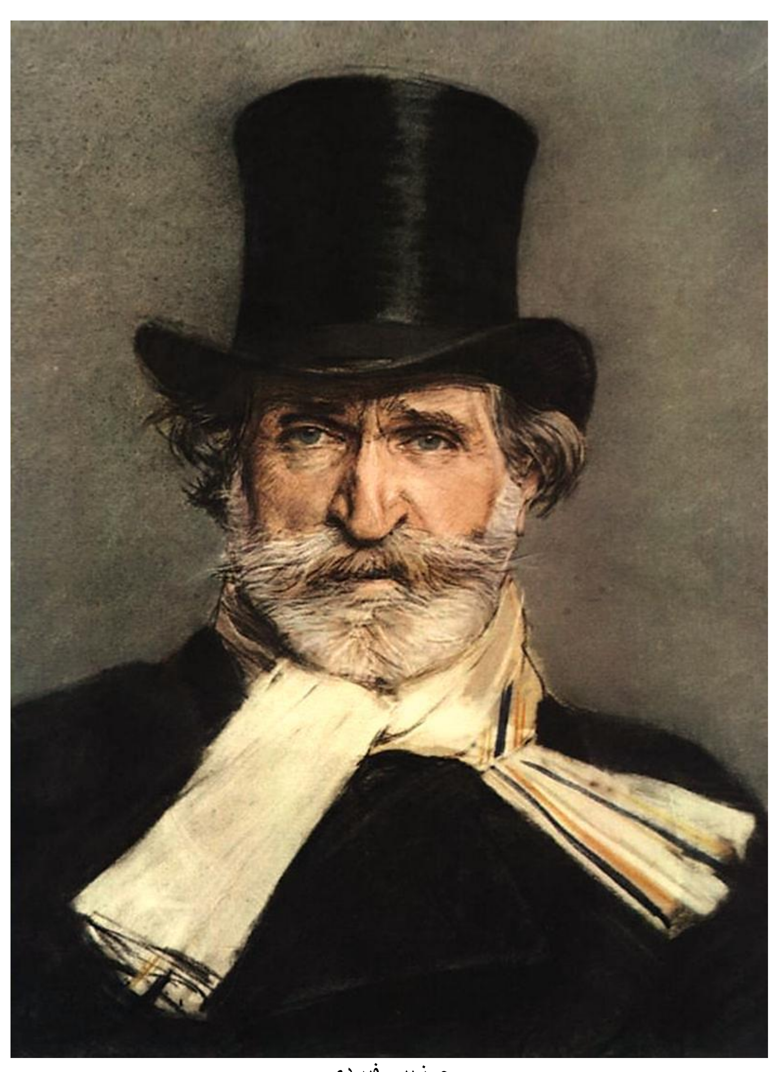
رباعية وترية رقم 17 لدونيزيتي.

Donizetti - Quartetto n. 17 - Quartetto d'archi della Fenice

6

فيردي

بعد عصر روسيني، مرت الأوبرا الإيطالية بمرحلة سكون وترقب، إلى أن جاء العظيم "جوزيبي فيردي". لكي يعيد بعثها ويلبسها ثوبا دراماتيكيا جديدا. ليحتل بذلك مكانا مرموقا في عالم الموسيقى الكلاسيكية.



جوزيبي فيردي



رونكالي بإيطاليا

بدأ "فيردي"، مثل الكثير غيره من الملحنين العظام، كطفل ريفي بسيط. يملك أبويه متجرا وحانة، في قرية "رونكالي" الفقيرة. هنا ولد "جوزيبي فيردي" عام 1813م.

يذكر فيردي، عندما كان طفلا صغيرا يلعب في شوارع القرية، أنه كان لا يستطيع مقاومة تتبع عازف الأورغن المتجول. يذهب من بيت لبيت، طالبا من القلوب الرحيمة، حسنة قليلة تمنع بلاوي كثير، أو رغيفا من الخبز، نظير فنه وألحانه.

يذكر أيضا، عازف الكمان بملابسه الرثة وشعره المنكوش، الذي يقف أمام باب الحانة يعزف وينشد الأناشيد كل يوم. هذا المنكوش، هو أول من تنبأ بمستقبل موسيقي باهر للصبي "جوزيبي"، عندما لاحظ اهتمامه بالموسيقى وحرصه على سماع الألحان.

"فيردي" الأب، ريفي مكافح غير متعلم، لكنه يحب الموسيقى. بالرغم من فقره وضيق ذات اليد، اشترى لولده بيانو أو أورغن صغير. بدأ الصبي في أخذ دروس موسيقية علي البيانو الصغير. "جوزيبي" في ذلك الوقت كان عمره سبع سنوات.

يومان كل أسبوع، يحمل فيهما "فيردي" الأب سلتين، يسير بهما إلى المدينة المجاورة "بوسيتو". يذهب إلى محل تجارة الجملة، لكي يشتري ما يحتاجه من سكر وبن وتبغ ولوازم التدخين وأشياء أخرى، يبيعها في متجره للزبائن. ثم يعود بالسلتين الممتلئتين إلى قريته. في أحيان كثيرة كان جوزيبي يرافق والده في هذه الرحلة المضنية.

"باريزي"، رئيس الجمعية الفيلهارمونية وعائلته، كانوا شغوفين بالموسيقى. جعلوا منزلهم في "بوسيتو"، مركزا للأنشطة الموسيقية المختلفة. هذا المنزل يعتبر الأفخم في المدينة.

في أي ساعة من النهار أو الليل، تسمع الأنغام تنساب من النوافذ والأبواب. عندما كان الطفل فيردي يمر أمام المنزل، كان يقف لكي يستمع لما تيسر من الموسيقى.

في أحد الليالي، وقف الصبي يستمع باهتمام بالغ لسوناتا "ضوء القمر" ل"بيتهوفن"، وهي تنساب من النافذة. "سيجنور باريزي"، صاحب المنزل الكبير، والذي كان يراقب الصبي منذ مدة، خرج من الباب وسأله: "لماذا تأتي باستمرار إلى هنا، وتقف مدة طويلة وأنت لا تفعل شيئا؟"

أجاب الصبي، وكان عمره في ذلك الوقت عشر سنوات: "أنا أعزف على البيانو أيضا. وأحب أن أستمع للموسيقى الراقية التي تعزف في هذا المنزل."

أداء رائع ل"هورويتز" وهو يعزف سوناتا "ضوء القمر" ل"بيتهوفن".

Horowitz plays Moonlight Sonata

هنا أمسك "باريزي" بيد "فيردي" وقاده إلى داخل المنزل. ثم قدمه إلى ابنته الصغيرة، التي كانت تعزف "ضوء القمر" على آلة البيانو. من هنا بدأت علاقة "فيري" بالموسيقى والحب.

أرسل باريزي، فيردي إلى مدرسة في "بوسيتو" لمدة سنتين. كانت المصاريف السنوية لا تتعدى 25 دولارا. بعد ذلك، قام باريزي بتوظيفه عنده ككاتب. ثم أبدى استعداده لمساعدته على تنمية حبه وشغفه بالموسيقى.

عازف الأورغن بالكاتيدرائية، بدأ يعطي فيردي دروسا بدون أجر. كان فردي يتقدم باستمرار في دروسه. ظل يعمل ويدرس إلى أن بلغ سن السابعة عشر.


آلة الأورغن

عندما شعر بأنه قد تعلم ما فيه الكفاية، كان عليه ترك "بوسيتو" والذهاب إلى مدينة ميلانو شمال إيطاليا. التي كانت في ذلك الوقت، أكبر مركز موسيقي في إيطاليا. لكنه كان خاوي الوفاض، لا يملك شروي نقير. جاءت المساعدة كالعادة من "باريزي"، ومنحة متواضعة من مجلس المدينة.

عندما وصل فيردي إلى ميلانو، أخذ معه مؤلفاته. قدمها إلى معهد الكونسيرفاتوار. طلبوا منه العزف على آلتي البيانو والأورغن. لكن الممتحنين لم يعجبهم شكل أو هيئة فيردي. كما أن سنه، 17 سنة، كان قد تعدى شرط السن بثلاث سنوات. لذلك، أعطيت المنحة الدراسية إلى تلميذ آخر.

أصيب فيردي بخيبة أمل، لكنه لم ييأس. بحث عن مدرس، واستمر معه لمدة سنتين. تعلم أثناءها مبادئ الهارمونية، الطباق (مزج الألحان)، والتأليف الموسيقي. كان يعيش على فرنك واحد في اليوم.

بعد ذلك، دعي فيردي إلى "بوسيتو"، لكي يشغل وظيفة قائد الجمعية الفيلهارمونية هناك. لذلك، كان عليه القيام بتأليف المارشات للفرقة العسكرية الخاصة بالمدينة.

في عام 1836م، تزوج من "مارجريتا"، ابنة رجل البر والإحسان وصاحب الفضل، "باريزي". باريزي نفسه، لم يعترض على زواج ابنته من فيردي صاحب الموهبة الموسيقية، بالرغم من فقره الذي لا يخفى على أحد.

جاء حشد كبير لحفل الزفاف، بسبب شهرة العائلة وأفضالها على المدينة. وجاء أيضا عازف الكمان، أبو شعر منكوش، الذي كان يقف أمام الحانة يعزف للزبائن، والذي تنبأ لفيردي بمستقبل باهر في عالم الموسيقى.

بعد فترة، قرر فيردي خوض غمار عالم الأوبرا. انتقل إلى ميلانو مع عائلته الصغيرة، المكونة من زوجته وطفلين صغيرين. باكورة أعماله، قوبلت بنجاح معقول. جعل المتعهد يطلب ثلاث أعمال أخرى.

لكن التأليف الموسيقي، عمل يحتاج إلى وقت كاف، لم يكن عمله يسمح به. لذلك كان عليه أن يترك عمله، بالرغم من حالته المالية الصعبة. فقد كان يجد صعوبة كبيرة في سداد القيمة الإيجارية لبيته المتواضع.

ليس هذا فقط، ولكن المصائب بدأت تنهال عليه كالسيل. في عام 1840م، توفيا طفلاه في غضون أيام قليلة. بعد شهر أو شهرين، توفت زوجته الحبيبة ولحقت بطفليها.

كيف يتسنى لإنسان، تَحمّل مثل هذه الكوارث المتلاحقة؟ كيف يستطيع المسكين فيردي، وهو في حالة الحزن هذه، أن يقوم بتلحين أوبرا فكاهية؟ لكنه يعلم أن لا مفر من الوفاء بإلتزاماته. فأخذ في كتابة الأوبرا.

فشلت الأوبرا، عند عرضها، فشلا ذريعا. قابلها الجمهور بالصراخ والهمس واللمز. مما جعله يعتقد أنه لن يستطيع كتابة لحن موسيقي آخر. بعد ذلك بسنة ونصف، كان يعيش في غرفة صغيرة في ضواحي ميلانو الفقيرة. في حالة من الضنك يرثى لها.

في هذه الأثناء، قابله المتعهد الذي يقوم بإنتاج الأوبرات . أخرج من جيبه نص غنائي (ليبرتو) لأوبرا بعنوان "نابوكو"، ورجاه أن يقوم بتلحينها.

عندما عاد فيردي إلى منزله، قام بقراءة القصة. وجدها قصة تاريخية عن "نبوخذ نصر الثاني"، أحد ملوك الدولة البابلية الحديثة، ابن الإله مردوخ، وصاحب الحدائق المعلقة.

وهو الذي قضى على مملكة يهوذا وسبى سكانها وهدم هيكل سليمان بها عام587 ق م.



نبوخذ نصر الثاني

بعد قراءة النص الغنائي للأوبرا، ألقاها فيردي على كومة أوراق قديمة. بعد ذلك بعدة شهور، وجدها بالصدفة. فأعاد قراءتها وهو يدندن ببعض الألحان، أعادت له شغفه وحبه للموسيقى. في خلال ثلاثة شهور، تم تلحينها بالكامل.

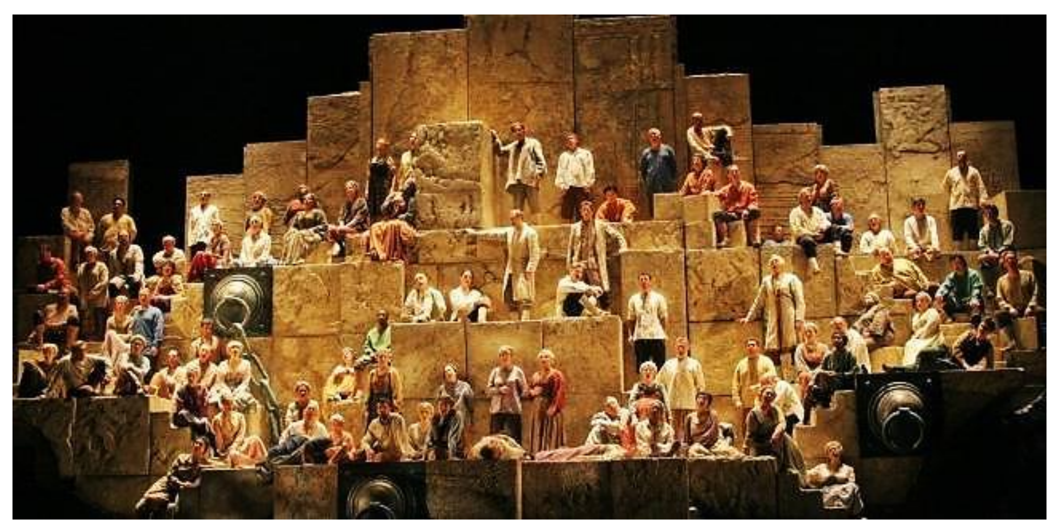
لحن جميل لكورس العبيد العبرانيين من أوبرا "نابوكو" لفيردي.

NABUCCO HEBREW SLAVES CHORUS (TRACK 2/2) "VA، PENSIERO"

VERDI VERDI YEAR BORN 200 YEARS AGO (1813)

الأوبرا مليئة بالألحان العذبة الميلودي. كان عمال المسرح يستمتعون بأنغامها أثناء عمل البروفات. كانوا يتوقفون عن العمل، ويجلسون علي السلالم أو السقالات، يستمعون. في نهاية البروفة، كانوا يضجون بالهتاف والتصفيق والدق بآلاتهم على الخشب، صائحين: "برافو برافو، عاش الماسترو".

انشرح فؤاد فيردي لأول مرة بعد حزن عميق. يعترف بأنه يُرجِع الفضل لهؤلاء النجارين والعمال البسطاء، الذين أمدوه بالثقة، وبشروه بنجاح مرتقب.



مشهد من أوبرا نابوكو لفيردي

بينما كانت أوبرا "نابوكو" تنال التصفيق الحاد عند عرضها كل مرة، بدأ فيردي يُعرف، وأصبح يشغل فكر المنتجين. روسيني في ذلك الوقت، كان قد توقف عن تلحين الأوبرات، إكتفى بما قدمه من أعمال.

بيليني لم يعش طويلا بسبب عدوى في الأمعاء، ومات في ريعان شبابه. المسكين "دونيزيتي" كان يصارع الجنون ويهيم على وجهه في الشوارع يصرخ ويقول "لقد مات المسكين دونيزيتي".

ظل فيردي لفترة، يلحن أوبرا جديدة كل عام. الأوبرات ال 16 الأوائل، كلها، فيما عدا أوبرا واحدة هي "إيرناني"، تمثل المدرسة الروسينية، التي تعتمد على أصوات المغنيين والألحان البراقة، لا على العمل الدرامي.

في عام 1850م، تزوج فيردي للمرة الثانية من "مدام ستريبوني"، التي كانت تُغنّي أوبراته. عاشا سويا سعداء. كانت زوجته تساعده في التلحين. بعد الزواج، لحن فيردي ثلاث أوبرات: "ريجوليتو"، "إل تروفاتور"، "لا ترافياتا".

لحن من أوبرا "ريجوليتو" بأداء يقترب من حد الإعجاز ل"جوان ساذرلاند". لن تجد مثل هذه الأصوات كثيرا في عالم الغناء.

Joan Sutherland; "Caro nome"; Rigoletto; Giuseppe Verdi

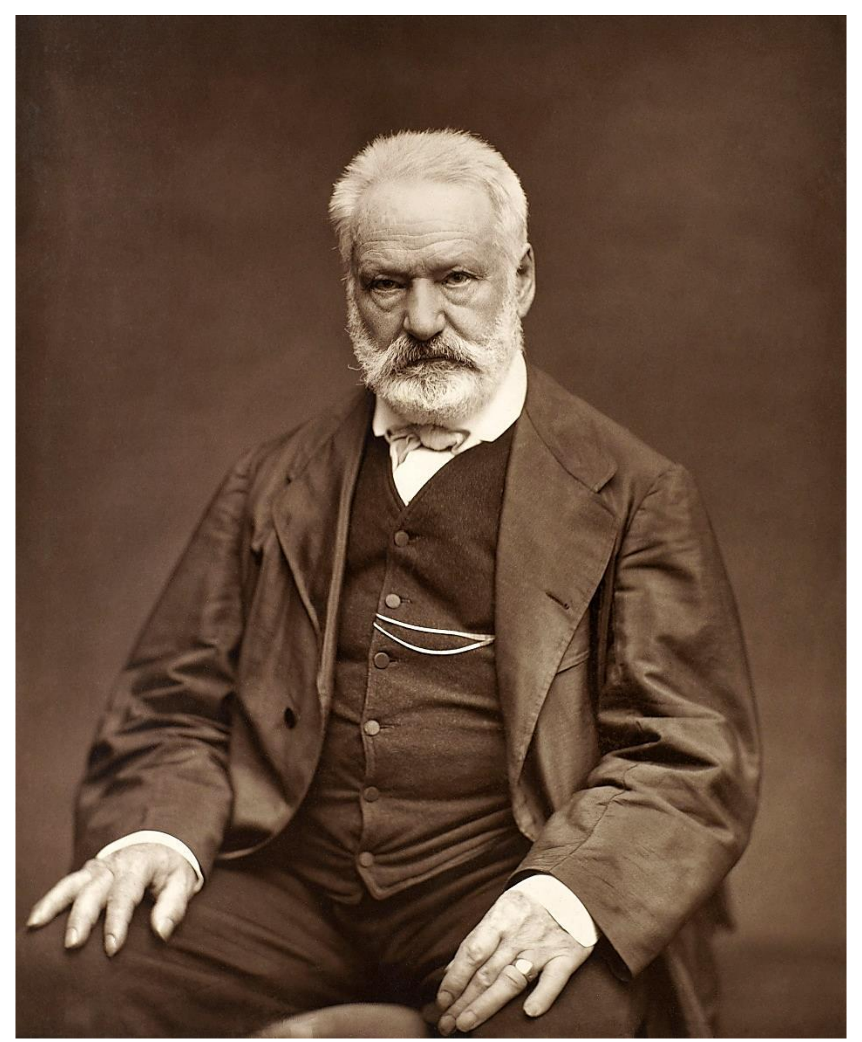
غناء الكورس من "ال تروفاتور" لفيردي.
Anvil Chorus performed in the Emmy Award winning series، Met Live in HD

أغنية من أوبرا "لا ترافياتا" لفيردي، غناء "ساذرلاند" و"بافاروتي".

Libiamo Brindisi from Traviata Joan Sutherland and Pavarotti

الأوبرات الثلاث هي الأخرى مليئات بالألحان العذبة والميلودي، لكن في نفس الوقت، تمتاز ببناء درامي قوي. من ثم، تختلف عن المدرسة الروسينية.

"ريجوليتو"، هي أوبرا من ثلاث فصول. بني النص الغنائي على أساس مسرحية بعنوان "الملك يمرح"، للأديب الفرنسي "فيكتور هيجو"، مؤلف رواية البؤساء.



فيكتور هيجو مؤلف رواية البؤساء

لأن المسرحية منعت بأمر الرقيب في فرنسا، لسخريتها من ملك فرنسا في ذلك الوقت (فرانسيس الأول)، كان فيردي حريصا على أداء بروفات ريجوليتو في سرية تامة، خوفا من الرقابة. لأن شمال إيطاليا، كان لا يزال تحت السيطرة الفرنسية.

أوبرا ريجوليتو تمتاز بتسلسل الأحداث. الموسيقى في الفصل الأخير قوية متدفقة. الألحان ساحرة خلابة. العمل يعتبر نقطة فاصلة في تاريخ موسيقى فيردي، تقسم أعماله إلى ما قبل ريجوليتو، وما بعدها.



مشهد من أوبرا ريجوليتو لفيردي

أوبرا "ال تروفاتور" جاءت بعد ريجوليتو بسنتين. تصور حكاية إسبانية من القرن الخامس عشر. امرأة من الغجر يتهمها أحد النبلاء بممارسة السحر والشعوذة، بسبب موت طفله الذي كان في رعايتها، فيحكم عليها بالموت حرقا.



مشهد من أوبرا التروفاتور لفيردي

لكي تنتقم ابنتها من النبيل الذي تسبب في وفاة أمها، قامت باختطاف أحد أطفاله، وقامت بتربيته. عندما بلغ سن الشباب، تنافس مع أخيه النبيل، وهو لا يدري أنه أخوه، على حب فتاة. عندما يقتل الأخ أخاه، تبوح الإبنة بالسر، وتموت بتجرع السم.

القصة تراجيديا معقدة ومتفرعة، لكن الموسيقى رائعة. قوبلت في روما، حينما عرضت لأول مرة، بحفاوة بالغة.

ثم ظهرت بعد ذلك أوبرا "لا ترافياتا" عن قصة غادة الكاميليا لألكساندر ديماس. ألحانها وأغانيها أكثر عذوبة من الألحان التي في أوبرا "ال تروفاتور". جزء من الفصل الأخير، به أجمل ألحان فيردي الأوبرالية على الإطلاق.

أوبرا "لا ترافياتا" في جزئين مع ترجمة عربية

أوبرا لاترافياتا - فيرديla Traviata - Verdi part1
أوبرا لاترافياتا - فيرديla Traviata - Verdi part2

قصص الأوبرات الثلاث السابقة، هي قصص تراجيديا وغيرة ومؤامرات وظلم وعنف ودماء، إلخ. تدل على أن الألحان الجميلة، ليست بالضرورة مقصورة على القصص السعيدة.

نجاح أعمال فيردي هذه، ساعدته على جمع ثروة طائلة، جعلته يعيش باقي عمره، في بحبوحة من العيش، تتناقض مع حياته السابقة.

بعد ذلك، لحن بعض الأوبرات والأعمال الناجحة، تلاها فترة صمت أوبرالي. كان فيردي فيها يستجمع قواه لكي يفاجئ العالم مرة ثانية.

في هذه الأثناء، كانت إيطاليا تمر بثورة استقلال عنيفة. كان فيردي يناصر الثوار ويتبرع بأمواله للثورة. كانت ألحانه أيضا، يرددها في طول البلاد وعرضها، جماعة ذوي القمصان الحمراء، أتباع بطل الوحدة والاستقلال الإيطالي "جوزيبي غاريبالدي".



جوزيبي غاريبالدي


فيكتور عمانويل الثاني

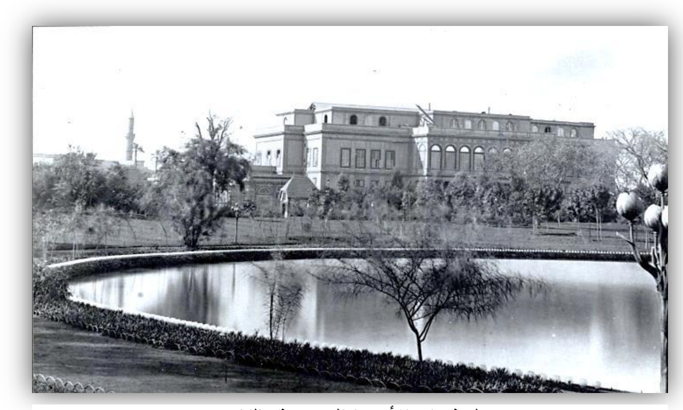
بعد الاستقلال والوحدة الإيطالية، أصبح "فيكتور عمانويل الثاني" ملك إيطاليا الحرة. شجع فيردي على الانخراط في السياسة.

أنتخب فيردي مرة أو مرتين عضوا بالبرلمان. لكنه استقال، بحجة أن الموسيقى لا تترك له وقتا لممارسة السياسة. ثم انتهت فترة صمت فيردي الأوبرالية عام 1871م، عندما ظهرت أوبرا "عايدة".


واجهة الأوبرا الخديوية بالقاهرة

بمناسبة افتتاح قناة السويس، أمر الخديوي اسماعيل ببناء دار أوبرا بالقاهرة فاخرة على النمط الأوروبي، دار الأوبرا الخديوية.

قام المهندسان "بيترو أفوسكاني" و "روتسي" بتصميم المبنى على نمط دار أوبرا "لاسكالا" بميلانو، لكي يسع 850 مقعدا.



خلفية دار الأوبرا الخديوية بالقاهرة

هي أول دار أوبرا في أفريقيا والشرق الأوسط. كانت تحفة فنية، قام الرسامون والمصورون بتجميلها برسوم وصور لكبار الفنانين والموسيقيين والشعراء. فضلا عن كونها تراث تاريخي لا يقدر بثمن.

افتتحت عام 1869م، وتم حرقها بالكامل عام 1971م. بني مكانها جراج سيارات متعدد الطوابق قبيح المنظر. دار الأوبرا الجديدة في أرض الجزيرة، بنيت بمنحة من الحكومة اليابانية عام 1988م.



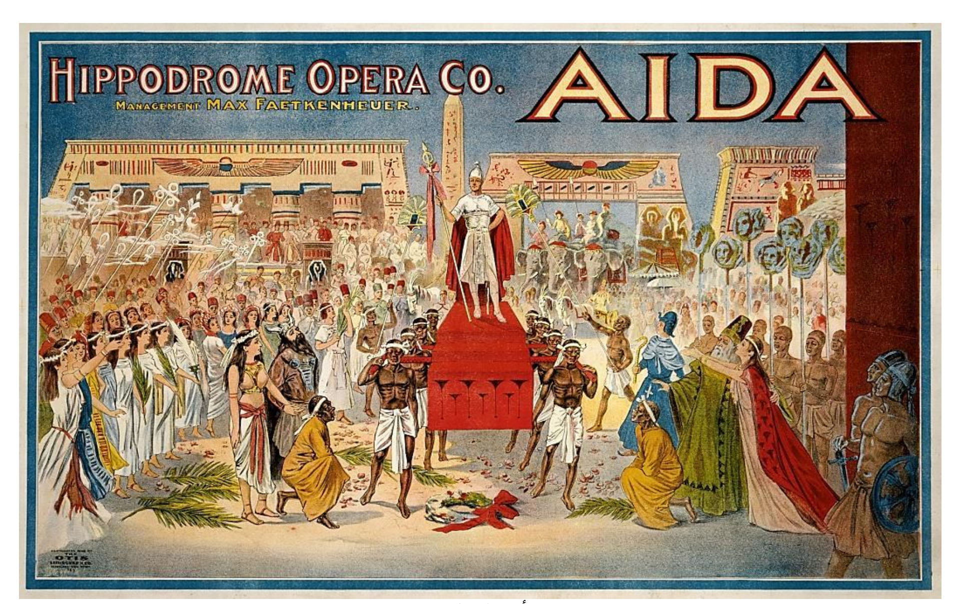
ديكورات أوبرا عايدة

نص الأوبرا الغنائي (ليبرتو)، كتبه "مارييت" باشا عام 1870م، عالم المصريات، ومدير ومؤسس المتحف المصري في القاهرة، الموجود الآن بميدان التحرير. بناء على بردية اكتشفها عالم الآثار الفرنسي "أوجست ماريتا" في وادي النيل.



مارييت باشا

بعد ترجمة النص الغنائي إلى اللغة الإيطالية، سلمت الأوبرا إلى فيردي لكي يقوم بتلحينها مقابل 150 ألف فرنك ذهب. الملابس والديكورات بكلفة 250 ألف فرنك أخرى.



أوبرا عايدة

بسبب تأخر وصول الملابس والديكورات من باريس، لدواعي الحرب الفرنسية-البروسية، لم يكن في إمكان فرقة الأوبرا العالمية، التي حضرت خصيصا لهذا الغرض، من عرض أوبرا عايدة يوم افتتاح القناة. فقامت بعرض أوبرا "ريجوليتو" لفيري عوضا عنها.

في عام 1871م، تم عرض أوبرا عايدة على مسرح الأوبرا الخديوية بالقاهرة. لم يتمكن فيردي من حضور العرض، لأنه كان يخشى ركوب البحر.

ثم عرضت في أوروبا أول مرة على مسرح "لاسكالا" في إيطاليا عام 1872م.



دار الأوبرا لاسكالا بمدينة ميلانو بإيطاليا

تدور أحداث القصة أيام الفراعنة العظام في العاصمة منف، أثناء الثورة الإثيوبية. عندما كانت تنتشر ديانة إيزيس وأوزوريس. راداميس القائد المختار من الآلهة، ذهب بجيشه لإخماد الثورة، وعاد منتصرا.

أثاء هذه الأحداث، وقع في غرام "عايدة" الأميرة الإثيوبية. هي الآن أسيرة، صارت وصيفة لأميرة مصرية متعالية. ولسوء الحظ، الأميرة المصرية هي الأخرى تحب القائد الشاب راداميس.


(ترجمه اللعبة المسماة باسم)
عايده
وهي قطعة تياترية من نوع الالعاب المعروفة باسم الاوبيره
(أي التصوير لحادثة تاريخية شهيرة) تشتمل على مناظر معجبه
ومراقص مستغربه يتخللها اغاني موسيقية مطربه
متوزعة على ثلاثة فصول وسبعة مناظر
تأليف المعلم غيزلنسوني وتوقيع الاوسته ويردى
مصنفة
بامر سعادة خديو مصر
لقصد تصويرها في تياترو الاوبيره
بمصر القاهره
وقد حصل اللعب بها بالفعل في الملعب المذكور في موسم سنة [illegible]
تعريب
العبد الفقير ابي السعود أفندي
محرر صحيفة وادي النيل

(ترجمة اللعبة المسماة باسم)

عايده

وهي قطعة تياترية من نوع الالعاب المعروفة باسم الاوبيره
(أي التصوير لحادثة تاريخية شهيرة) تشتمل على مناظر معجبة
ومراقص مستغربة يتخللها اغاني مويسيقية مطربة
متوزعة على ثلاثة فصول وسبعة مناظر
تأليف المعلم غيرلنسوني وتوقيع الاوسته ويردي
مصنفة

بأمر سعادة خديو مصر

لقصد تصويرها في تياترو الاوبيره
بمصر القاهرة
وقد حصل اللعب بها بالفعل في الملعب المذكور في موسم سنة 71-72

تعريب

العبد الفقير أبي السعود أفندي
محرر صحيفة وادي النيل

بدلا من الزواج من الأميرة المصرية، حاول راداميس الهرب مع حبيبته عايدة. تنكشف الخطة، ويحكم عليه بالإعدام عندما تثبت خيانته لوطنه، ويموت في النهاية هو وحبيبته عايدة.

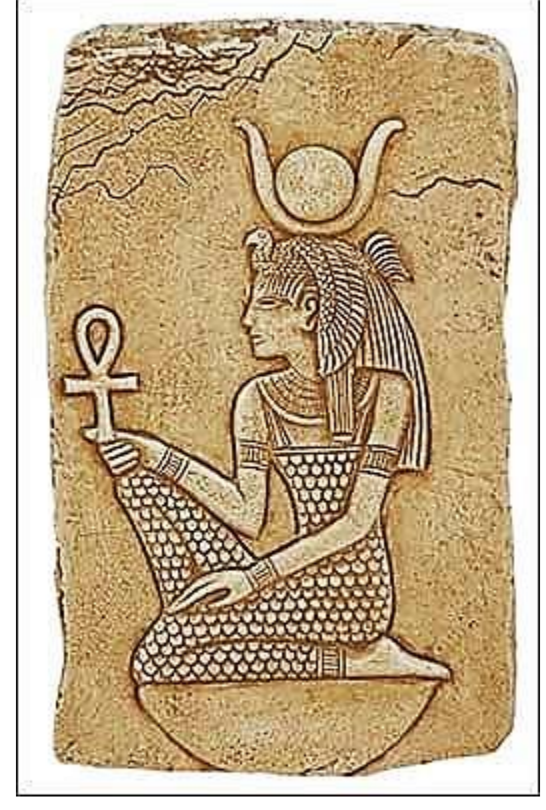
الأوبرا رائعة، بها مناظر خلابة تبهر الأنظار. تأخذنا إلى عالم الفراعنة، حيث السماء الصافية، والشمس الساطعة، والمعابد والأهرامات وطريق الكباش، وشاطئي النيل المقدس، وقاعة العدالة الرسمية.

يظهر جلالة الفرعون نفسه بملابسه البراقة الملونة والمطعمة بالجواهر، وكذلك كبير الكهنة وصفوف الكهان بملابسهم البيضاء، محلقون رؤوسهم، وفرق الجيش ومواكب النصر. نسمع الموسيقى المقدسة، ونشاهد الصبايا يعزفن الألحان على القيثارات والطبول، بينما الجواري يقمن بالرقص ونثر الزهور.



مشهد من أوبرا عايدة

وضعت الموسيقى لهذا المشهد الرومانسي العظيم، حلم الحب والمجد، مع صبغة شرقية. مزجت فيها الموسيقى القديمة بالحديثة.


الإلهة إيزيس

التراتيل وأنغام القيثارات ودقات الطبول وصليل الشخاليل، وصيحات الحرب والترانيم للإلهة إيزيس، وأغاني الحب والمجد والانتقام والرثاء واليأس. كل ذلك موجود في ألحان العمل الجبار، أوبرا عايدة.

موكب النصر من أوبرا عايدة لفيردي.
(HD) Opera - Verdi - Aida - Triumphal March - Lund International Choral Festival 2010 - Sweden

ألحان من موسيقى عايدة لفيردي، مع مناظر للنيل والأثار وبعض المشاهد من أفلام سينمائية، تبين عظمة مصر وتاريخها القديم.

Verdi's AIDA - Nile Scene - Dance of the Priestesses - Cleopatra - Ancient Egypt

إلى عشاق الموسيقى الراقية في أسمى درجاتها، أهدي هذا التسجيل النادر لأوبرا عايدة. هنا "أرتورو تسكانيني" يتجلى في قيادة الأركسترا، العزف إعجاز والغناء أصوات ملائكية لا تتكرر كثيرا.

الأوبرا في 4 فصول، التسجيل قديم من عام 1949م، لكن الصوت جيد. الغناء أكثر من رائع ل"هيرفا نيللي" و"ريتشارد توكر". كل ما تحتاجه، هو ترك الهموم، وليلة هادئة مع فنجان قهوة.

أوبرا عايدة كاملة تسجيل 1949م، بقيادة توسكانيني.

AIDA - GIUSEPPE VERDI - 1949

Conductor - Arturo Toscanini
Orchestra - NBC Symphony Orchestra
Chorus - Robert Shaw Chorale

أخيرا وصلت الملابس والديكورات. الأماكن كانت تحجز لشهور مقدما. شاهد العرض الأول، الحكام والأمراء والنبلاء وعلية القوم وكبار الأعيان، من كل أنحاء البلاد.

المشاهد الرائعة والألحان والأغاني العذبة الميلودي، أظهرت للمصريين عظمة جدودهم القدماء وجلال حضارتهم القديمة. الخديوي اسماعيل، كان مبتهجا بالعرض فخورا به. منح فيردي إلى جانب أجره، لقبا وأهداه صولجانا من العاج مرصعا بفصوص الياقوت تكتب كلمة "عايدة"، بينما اسمه "فيردي"، يظهر مرصعا بالأحجار الكريمة وسط إكليل الغار.

بعد موت روسيني، أراد الموسيقيون تكريم ذكراه. طُلب من 13 منهم الاشتراك في تأليف لحن قداس جماعي، يقوم كل منهم بتأليف جزء. على أن يعزف القداس في ذكرى روسيني مرة كل مئة عام. جاءت كل الألحان في غير المستوى المطلوب، فصرف النظر عن هذه الفكرة.

لكن الجزء الخاص بفيردي، هو الوحيد الذي نال الإعجاب. بعد موت الموسيقار "مازيني"، طلب من فيردي كتابة لحن جنائزي لهذه المناسبة.

عزف فيردي جزء القداس الذي ألفه سابقا لإحياء ذكري روسيني. وقد جاء رائعا مثل قداس روسيني نفسه، "ستابات ماتر"، مليئ بالعذوبة والجلال.

مرة ثانية، يمر فيردي بفترة صمت أوبرالي. ولا نسمع عن تلحينه لعمل جديد إلى أن يصل إلى سن 74 سنة، ويفاجئنا بأوبرا "عطيل". هي أوبرا تراجيدية مبنية على أحداث مسرحية شيكسبير بنفس الاسم. روسيني له أيضا أوبرا بعنوان "عطيل"، لكن عمل فيردي ألصق إلى الأصل من عمل روسيني.



مشهد من أوبرا عطيل لفيردي

"ديدمونة" و"إياجو" يأتيا إلى الصدارة من البداية إلى النهاية. لا ندري على أي لحن نركز، لحن الحب، أم لحن الكورس، أم أنغام المهرجانات، أم أغنية ديدمونة وهي تبتهل، بمصاحبة أنغام الهورن والباسون، التي بلغت شهرتها الآفاق.



ريني فيلمنج

ديدمونة بصوت "ريني فليمنج" في ابتهال للسيدة العذراء، من أوبرا عطيل لفيردي.
Renee Fleming "Ave Maria" Otello

اكتظت دار أوبرا "لا سكالا" بمدينة ميلانو بالجمهور. اسم فيردي تردد أكثر من 20 مرة أثناء العرض. في الختام، اندفع الجمهور إلى عربة فيردي. حملوه في الشوارع إلى الفندق وهم يهتفون "عاش فيردي".

فيردي الآن في الثمانين من العمر. قضى عمره يلحن الأوبرات التراجيدية. فلماذا لا يفاجئنا بأوبرا كوميدية؟ من ثم، جاءت أوبرا "فالستاف".

أوبرا "فالستاف" مليئة بالألحان المرحة البراقة. جعلت الجمهور يغرق في الضحك والسعادة. مرة أخرى عاد فيردي إلى بيته محمولا على الأعناق. لم يستطع الملك "هوبرت" حضور العرض الأول، فأرسل رسالة تهنئة إلى فيردي بهذه المناسبة، مليئة بالحب والتقدير.

لحن من "فالستاف" لفيردي غناء رائع ل"أنّا موفو".
Anna Moffo in Verdi's Falstaff (vaimusic.com)

عندما عرضت في باريس، قوبل فيردي بحفاوة بالغة. كان يقول: "هذه آخر أعمالي. لحنتها لمتعتي الشخصية، لكن "بويتو" مؤلف النص الغنائي، أخرجها للجمهور".

أوبرات فيردي الثلاث: "عايدة"، "عطيل"، "فالستاف"، تمثل نقلة كبيرة من الناحية الفنة بالنسبة لفيردي. أثرى فيها، مثل فاجنر، دور الكورس، وجعل العمل الأوركسترالي غنيا بالهارمونية. في الواقع، الأوبرات الثلاث المذكورة، تمثل عبقرية دراماتيكية لا مثيل لها في التلحين الأوبرالي.

لم يكن فيردي بوهيمي مثل روسيني. كان يسكن في ميلانو وجنوة، لكن يقضي معظم وقته في بيته الريفي في ضواحي "بوسيتو"، حيث يتلقى الإلهام غالبا من الوحي، وفي بعض الأحيان، من موسيقى الكون، أو صدى ألحان الفلاحين.

رجل منظم، يستيقظ مبكرا. يعتني بحديقته وزهوره، ويستمتع برياضة المشي في المساء. الألقاب والنياشين تمنح له بغير حساب. لا من إيطاليا وحدها، ولكن أيضا من فرنسا والنمسا، ومن خديوي مصر، الذي أراد أن تكون مصر قطعة من أوروبا. في شكل أشرطة ونجوم تكفي لتغطية صدره بالكامل.

رفض لقب "ماركيز بوسيتو" من الملك "هومبرت"، وفضل أن يبقى فيردي. كان يتبرع بمئات آلاف الدولارات للفقراء. تبرع لبناء مستشفي في "فيلينوفا"، افتتح عام 1888م. وأقام بالقرب من ميلانو، دارا للمسنين والمحتاجين من الموسيقيين.

في عام 1901م، توفي فيردي ودفن في ميلانو.

قبل أن نغادر الأوبرا الإيطالية وننتقل إلى الفرنسية، يجب أن لا ننسى "جاكومو بوتشيني". فهو من تنبأ بأن يخلفه العظيم "فيردي"، عندما تيقن من موهبته الموسيقية العظيمة.



جاكومو بوتشيني



أشهر أعمال بوتشيني، أوبرا "مدام بترفلاي"، وأوبرا "البوهيمي".

لحن "أزيز الكورس"، من أوبرا "مدام بترفلاي" لبوتشيني مع مناظر رائعة لفصل الشتاء.
Winter Dreams [music: Giacomo Puccini - Humming chorus / Madama Butterfly]

رجاء مقارنة لحن الكورس السابق، بلحن "المانترا الهندي" ل"رافي شانكار"، عمر اللحن أكثر من ألفي عام.
INDIA-Shanti Mantra/ Ravi shankar

ماريا كالاس تغني من أوبرا "مدام بترفلاي" لبوتشيني أغنية "يوم سعيد".
maria callas one fine day (madam butterfly)

أوبرا "البوهيمي"، التي ظل يستمتع العالم بألحانها العذبة إلى الآن، هي قصة أربعة بوهيميين يعيشون مع بعض في الحي اللاتيني بباريس.



مشهد من أوبرا البوهيمي

تذكرنا بفيلم لحن حبي لفريد الأطرش وصباح، عندما كان يعيش فريد حياة بوهيمية في البدروم مع اسماعيل يس وعبد السلام النابولسي. "توسكا" لبوتشيني، تعتبر أكثر الأوبرات الإيطالية واقعية.



فيلم لحن حبي لفريد الأطرش وصباح

أغنية "كواندو من فو" من أوبرا "البوهيمي" لبوتشيني، أداء رائع ل"أنا نتريبكو".
Anna Netrebko - Quando m'en vo (La Bohème)

تسجيل نادر لمغني الأوبرا الأسطوري "إنريكو كروسو"، لحن من أوبرا "توسكا" ل"بوتشيني".
Enrico Caruso - Tosca Recondita armonia 1904

7

لوللي - رامو

في فرنسا، كما كان الحال في إيطاليا من قبل، الأعمال المسرحية بدأت في الكنائس. لتجسيد شخصيات القصص الدينية وجعلها حقيقة ماثلة أمام المشاهد. كان الكهان هم من يقومون بالتمثيل. عندما صار العرض خارج أبواب الكنيسة، استقل المسرح.

لكن الموضوعات الدينية ظلت تقدم على المسارح لمدة طويلة. "أتان بلعام" كان يضيف البهجة والفكاهة على العرض. ثم بدأت القصص التاريخية والأساطير تتسلل إلى خشبة المسرح. شخصيات الملوك والأمراء واللوردات بحللهم الفاخرة البراقة، أصبحت بادية للعيان في غالبية العروض.

عروض الباليه الرائعة بدأت تظهر. لأن الفرنسيين كانوا بطبيعتهم يحبون الرقص والتمثيل. في القرن السادس عشر. بينما كانت فرنسا تتمزق بسبب الصراع بين السياسة والدين، كانت حانات الرقص لا يتوقف نشاطها.



عروض الباليه بدأت تظهر في فرنسا

فرق الباليه أصبحت تُطلب من إيطاليا، أشهرها "باليه دي لا روين". التي أحيت حفل زفاف الملكة كاترين دي ميديشي على هنري الثاني ملك فرنسا. الملكة نفسها اشتركت في العرض.



الملكة كاترين دي ميديشي

الأوركسترا كانت تختبئ بعيدا عن أعين الجمهور في مخبأ مغلف بديكورات على شكل السحاب، بها فتحات تسمح للموسيقى بالانسياب إلى الخارج. كل شخصية مختلفة، كانت تصاحبها آلة موسيقية تناسبها. استمر العرض من الساعة العاشرة مساء حتى الرابعة صباحا.

بعد ذلك، أحضر الكاردينال "مازارين" إلى بلاط الملك لويس الرابع عشر من إيطاليا، الكثير من المغنيين والموسيقيين والممثلين. قاموا بتقديم عروضا موسيقية تتخللها الكوميديا والإنشاد والغناء والرقص. كان الكاردينال شغوفا بالموسيقى الإيطالية، لذلك كان يغدق علي الفنانين بثراء واسع.

أول أوبرا فرنسية، "الباستورال"، ظهرت عام 1628م. كتبها الشاعر "برين" والأديب "كامبرت". نجحت نجاحا باهرا، إلى درجة جعلت الملك الفرنسي يسمح بإنشاء أكاديميات أوبرالية في طول البلاد وعرضها.

في باريس، تحول أحد ملاعب التنس إلى دار للأوبرا. لأول مرة، كان الدخول بأجر. هنا عرضت أحد أعمال برين وكامبرت، "بومونا"، لمدة ثمانية شهور متواصلة. في الواقع، برين وكامبرت جمعا ثروات طائلة من أعمالهما هذه، إلا أنهما تشاجرا في نهاية الأمر، وفقدا الرخصة وفضت الشركة بينهما.

بعد ذلك يأتي "لوللي"، أبو الأوبرا الفرنسية، المولود في إيطاليا، والمتجنس بالجنسية الفرنسية. يعد من الموسيقيين الفرنسيين، وكان أميزهم.



لوللي

ولد "جيوفاني باتستا دي لوللي" في البندوقية عام 1632م. كان طفلا رائعا، لكنه مشاغب. لا يحب شيئا سوى الموسيقى. لم يستطع والداه تشكيله كما يريدان. لحسن الحظ، هذا الطفل المتمرد لفت نظر أحد الرهبان الفرانسيسكان، فأخذ على عاتقه تعليمه العزف على الكمان والجيتار.

في سن الثالثة عشر، حدث ما تسبب في تشكيل مستقبله كلية. تقول القصة أن

"لوللي" كان يجلس يوما بجانب الطريق، بينما كان يمر السيد "جيوزي". تذكر وعدا قطعه على نفسه ل دوقة "مونتبينسير" في باريس، لكي يحضر لها صبيا جميل الطلعة من إيطاليا. ظن أن هذا الصبي يفي بالغرض المطلوب.

لكن دوقة "مونتبينسير"، التي بنت شهرتها التاريخية على شدتها وحزمها. والتي إذا قالت فعلت، وإن وعدت أوفت، خاب أملها عندما رأت الصبي "لوللي"، فصرخت قائلة:

"إيه القرف ده؟ لقد طلبت منك أن تُحضر لي صبيا بهيّ الطلعة يفتح النفس. هذا لا يصلح وصيفا لي بالمرّة. أرسلوه إلى المطبخ لكي يساعد في تخريط البصل وتقشير البطاطس وغسل الصحون."

أطاع الصبي الأمر صاغرا، وانسحب بهدوء إلى المطبخ لكي يستلم عمله الجديد. لكن، كان صدره يجيش بالغضب المكبوت لهذه الإهانة التي لم يغفرها أو ينساها أبدا. في نفس الوقت، حسّن أمره مع باقي الخدم فأحبوه. استطاع الحصول على آلة كمان قديمة، وأخذ يسليهم بالعزف والرقص معهم والغناء لهم.

هكذا نجد صديقنا الصغير "لوللي"، تارة بين الأواني والأطباق يدندن ويعزف على كمانه القديم، وتارة أخرى يساعد الطباخين في تحضير الوجبات. لكن هذا الأمر لم يدم طويلا.

حل ضيف على جناب الدوقة. سمع لوللي وهو يعزف لحنا على الكمان، فأخبر الدوقة. في الحال، أمرت بنقله إلى جوقتها الموسيقية. الآن مع الآلات الجيدة والوسط الموسيقي الذي يعشقه، كان أداء "لوللي" يتحسن طول الوقت. وكان يُطلب منه العزف والغناء لأفراد البلاط.

عندما بلغ السابعة عشر، مرت به أزمة أخرى. في أحد الأيام، ضُبط صديقا له يغني وسط حشد من المستمعين أغنية من تلحينه، تتهكم كلماتها على الدوقة سيدته. كان قد لحنها انتقاما لنفسه. لكنه طرد بسبب ذلك من الخدمة في الحال.

صار لوللي خاوي الوفاض، لا يملك شروي نقير، فماذا يفعل؟ ترك باريس وذهب إلى "فيرساي". يرجو وظيفة في بلاط لويس الرابع عشر. تبسم له الحظ، عندما قُبل وتم توظيفه.



لويس الرابع عشر

أصبح الآن عضوا في الأوركسترا الملكي. بدأ دراسة أصول التأليف الموسيقي. تعلم أيضا العزف والتأليف لآلتي الأورغن والهارب. الملك لويس الرابع عشر، المحب للفنون والموسيقى، كان سعيدا بمهارة الشاب "لوللي". شكل له فرقة موسيقية خاصة به اسمها "فرقة الكمان الملكية الصغيرة". كانت ألحانها هي الأفضل في كل البلاد.

"لوللي" موسيقي بالفطرة. عروضه المسرحية التي يتخللها الباليه مسلية للغاية، بالإضافة إلى أنه كان يجيد الرقص. أنشئ مسرحا بحديقة فيرساي. في خلفية المسرح، ترتص الأشجار الجميلة والزهور البديعة. الملك و"لوللي" كانا غالبا ما يشتركان في عروض الباليه.

جلبة الرقص الملكي الدائري ل"لوللي".
Lully - Fanfare pour le Carrousel Royal

في النهاية، أصبح الملك مهوسا ب"لوللي"، إلى درجة أنه لم يعد يستمع إلى شئ آخر

غير موسيقى لوللي. لم يكن يبخل عليه بأي شئ يطلبه.

مشهد من فيلم الملك يرقص، موسيقى مولي.
"Le Roi danse" - Idylle Sur La Paix (Air pour Madame la Dauphine)

"موليير"، الشاعر والمؤلف المسرحي الفرنسي، كان أيضا من أشد المعجين ب"لوللي". كان "لوللي" يلحن ويعرض مسرحياته الكوميدية، ويشترك بنفسه في أداء بعض أجزائها.



موليير

عندما بلغ "لوللي" سن التاسعة والعشرين، تزوج من امرأة مدبرة. ساعدت في المحافظة على ثروته التي بدأت تتنامى.

أصبح "لوللي" الآن مهتما بالأوبرا الإيطالية، التي كانت تأتي مع الفرق إلى فرنسا عبر جبال الإلب، لكي تعرض في مسرح البلاط الملكي. أخيرا، قرر أن يلحن أوبرا فرنسية

خاصة به. كان يفعل ذلك بطريقة فريدة مبتكرة.

الشاعر "كوينولت" كتب نص الأوبرا الغنائي (ليبريتو). حفظ "لوللي" النص، وظل يردده مرارا وتكرارا، إلى أن باتت الألحان والميلودي تطن في رأسه من نفسها. ثم بدأ يعزف هذه الألحان على آلة الهارب. بعد ذلك، يجلس لكي يكتبها على الورق.

مثل بيرين وكامبيرت، أنشأ مسرحا في مكان ملعب تنس. أطلق عليه اسم الأكاديمية الملكية للموسيقى". عرض في ليلة الافتتاح أوبرا "دي لامور إي دي باخوس".

المقدمة الموسيقية لأوبرا "دي باخوس" ل"لوللي".
httpJean Baptiste Lully : Le Triomphe de l'Amour (Ouverture) - Musica Antiqua Köln

مشهد رقص من الأوبرا.
Lully - Les fêtes d'Amour et de Bacchus

أوبرات "لوللي"، التي غالبا ما تكون موضوعاتها حكايات من الأساطير اليونانية والرومانية القديمة، جاءت كلها رائعة. هو نفسه، كان مديرا بارعا. صبور وحليم مع كل الذين يعملون تحت إمرته.

لا يهمل شيئا، مهما بلغ من التفاهة، حتى لوكان تعبير وجه غير مناسب. بالنسبة للغناء الثنائي (الدويتو)، الأصوات لا يجب أن تسمع سويا، ولكن واحدا بعد الآخر بفارق زمني بسيط.

كل كلمة يجب أن تقال بوضوح. الممثلون يجب أن يشعروا بالعزة والكرامة. كل منهم عليه أن يؤدي دوره على أكمل وجه، شئ لم يكن معروفا في فرنسا من قبل.

كانت أوبرات "لوللي" مفضلة، وتحظى بالقبول لدى جلالته. سمح له، باعتباره موسيقار البلاط، أن يرث رخصة بيرين وكامبيرت، في عرض الأوبرات. لكنه بالرغم من كل الحماية والعطف الذي منحه له الملك، كان يغار من أي عرض مسرحي آخر يقوم في البلاد.

بسبب صعوبة الاتصالات بين المدن في ذلك الوقت، كانت المعارض لها أهمية بالغة.

عندما كانت تقام، كان يقام معها مسرحا مؤقتا يعرض عروضا جذابة. لكننا نجد "لوللي" الغيور، يسارع في إصدار أمرا يقيد بمقتضاه عروض هذه المسارح، ويقصر عدد الفرقة الموسيقية في كل منها على أربعة أشخاص.

فيقوم أصحاب المسارح، بإشراك الجمهور في الغناء عوضا عن الكورس، مما ألهب حماس الجماهير وزاد من إقبالها على تلك المسارح. بالطبع جاء هذا على عكس ما يبغيه "لوللي"، لذلك لم يجد بدا من إلغاء هذا القيد الظالم.

لحّن "لوللي" أيضا ألحانا دينية وأخرى عفوية. أغنية الراعي في أوبرا "أرميد"، أغنية عذبة جميلة.

المقدمة الموسيقية ولحن أحد الرقصات من أوبرا "أرميد" ل"لوللي".
Jean Baptist Lully "Overture & Suite de dances" Armide

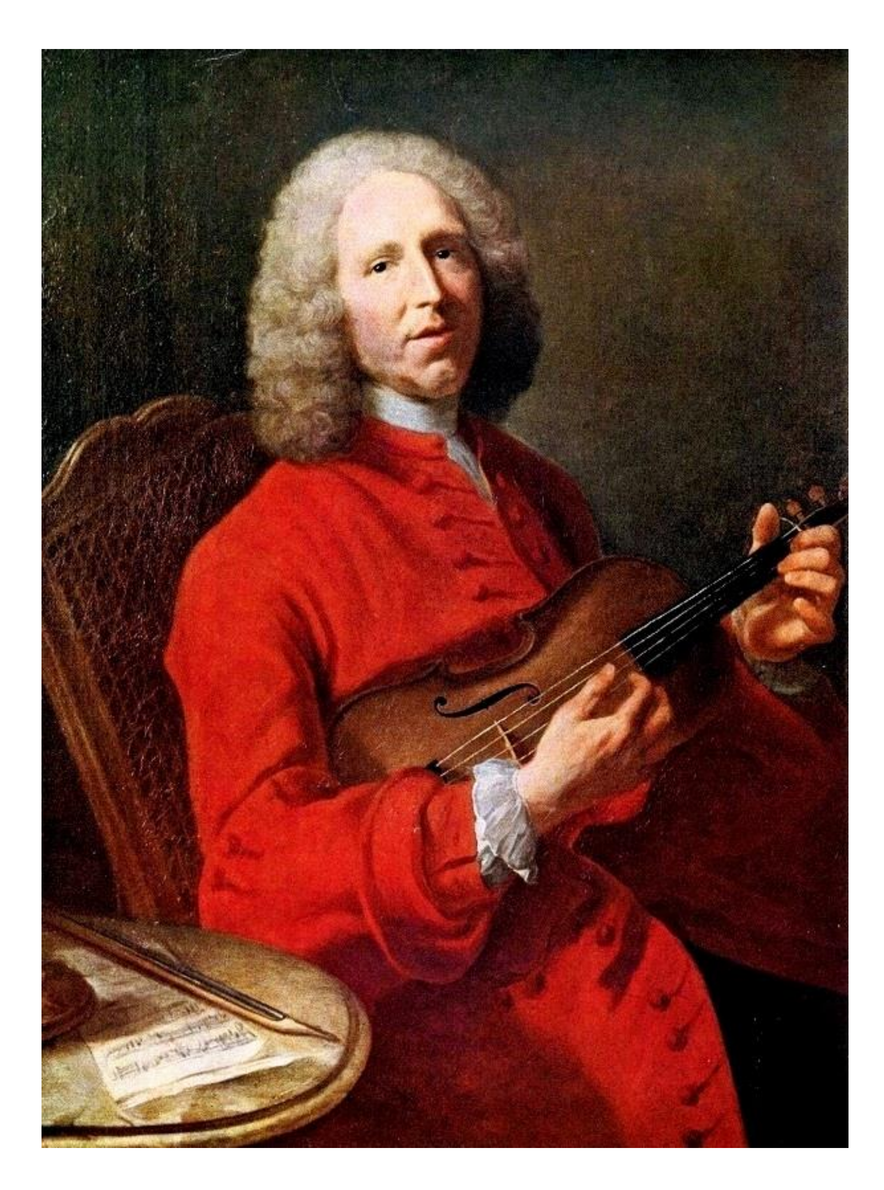
عندما كان "لوللي" على فراش المرض، أحضروا له كاهنا يأخذ اعترافاته. لكن الكاهن رفض أخذ اعترافاته قبل أن يأمر بحرق النوته الموسيقية الخاصة بألحان "أرميد".

في اليوم التالي، زاره الأمير "كونتي". عندما علم بقصة حرق النوته الموسيقية لأوبرا "أرميد"، غضب الأمير ولامه قائلا: "ما كان يجب عليك يا لوللي أن تحرق عملا رائعا مثل هذا". أجاب لوللي: "لقد كنت متوقعا ذلك. لهذا، عملت نسخة أخرى. هاهي في درج مكتبي".

أثناء التدريب على المسرح، جرحت ساق لوللي. التهبت فيما بعد، وأدت في النهاية إلى وفاته عام 1687م. ترك لزوجته وأطفاله ثروة هائلة، وظلت أعماله تعرض على المسارح لأكثر من مئة عام.

"لوللي"، هو أبو الأوبرا الفرنسية. بعد موته، لم يعد لويس الرابع عشر مهتما بالموسيقى. لم يظهر من يخلف لوللي على عرش الأوبرا. نعم ظهر بعض الملحنين الأوبراليين، لكن لم يكونوا بنفس الجودة المطلوبه.

يستمر الحال هكذا، إلى أن يظهر "رامو" في النصف الأول من القرن الثامن عشر.



جان فيليب رامو

"رامو" كان أكثر عبقرية من "لوللي". قام بإدخال تحسينات جوهرية على تكوين الأوركسترا. كان يعزف على الأورغن في أحد كنائس باريس لسنوات عديدة. سيدة مجتمع، وعازفة هارب، كانت أحد تلاميذه.

أثناء حكم الملك لويس الثالث عشر، ظهرت مؤلفات هارمونية كثيرة. رامو، الذي كان يفكر بأسلوب علمي، لم يضع هذه الفرصة، وأخذ على عاتقه دراسة هذه المؤلفات بجدية بالغة.

مقطع من أوبرا "كاستور و بولوس" لرامو.
Rameau: Castor et Pollux (De Nederlandse Opera)

عرض باليه جميل مع موسيقى "رامو"، من "لي إنديز جالانتي".
Rameau - Les Indes galantes - Les Sauvages (3)

أوبرات "رامبو" جاءت خلال سنواته الأخيرة. كان يُكرّم أكثر من لوللي. عندما كان يدخل المسرح، كان الجمهور يهب واقفا لتحيته. في منتصف القرن الثامن عشر، جاء فريق أوبرا إيطالي لكي يعرض أوبرا "سيرفا بادرونا" ل"بيرجوليزي" في باريس. كانت الأوبرا الإيطالية تعرض بين فصول الأوبرا الفرنسية "أتيس" ل"لوللي".

سرعان ما بدأ الباريسيون يسألون أنفسهم، أيهما أفضل، الأوبرا الإيطالية أم الأوبرا الفرنسية؟ رامو وقف إلى جوار الأوبرا الفرنسية، بالرغم من أنه لم يخف إعجابه بالإيطالية. الملك لويس الخامس عشر كان يفضل الأوبرا الفرنسية وكذلك مدام بمبادور. الملكة كانت تفضل الإيطالية.

8

الأوبرا الفرنسية العظيمة

كانت مدينة باريس، في نهاية القرن الثامن عشر، مركزا عالميا، يحج إليه الملحنون، لكي يقومون بعمل الأوبرات العظيمة (Grand Opera). لذلك تعتبر باريس مهد هذا النوع من الأوبرات.

الأوبرا العظيمة تتكون في الغالب من أربع أو خمس فصول. تتسم بعدد ضخم من الممثلين والمغنيين والعازفين. ديكوراتها رائعة براقة، تبنى على قصة درامية أو تاريخية كبيرة.

كما أن الأوبرا العظيمة يندر بها الحوار بدون موسيقى. تشمل الألحان العذبة التي يغنيها فرد أو اثنين أو ثلاثة أو الكورس. بالإضافة إلى الباليه وحركة جماعات بشرية كبيرة.

الأوبرا الهزلية، هي نوع آخر من الأوبرات. يمتزج فيها الغناء بالحوار المسرحي. غالبا ما يكون موضوعها خفيفا مرحا. الأوبريت نوع من الأوبرات الهزلية. أوبريت العشرة الطيبة، هي أوبرا هزلية رائعة لسيد درويش.

أوبريت العشرة الطيبة كاملة، رائعة سيد درويش، عندما كانت مصر تنتج الفن الرفيع، أول عرض عام 1920م. غناء كارم محمود، شهرزاد، أحلام.



المسرحية الغنائية: العشرة الطيبة

اتحاد الإذاعة والتليفزيون المصري

"جلوك"، ألماني الجنسية، هو أبو الأوبرا العظيمة، التي ظهرت عندما ملّ الناس أوبرا "لوللي" الهزلية. الأوبرا العظيمةتعتني أكثر بالناحية الإنسانية لشخصياتها، وتعطي اهتماما خاصا وكثافة زائدة للموسيقى.



كريستوف فيليبالد جلوك

تتكون الأوبرا من سبعة عناصر، هي: الشعر والموسيقى والغناء والباليه والديكور والفنون التشكيلية والتمثيل. تمتزج جميعها لتقدم قصة درامية للمشاهد. الأوبرا تعرض عملا فنيا، هو الأرقى بين أنواع الفنون كلها وأكثرها متعة.

الأوبرا لا يجب أن تسمع كموسيقى خلفية ونحن مشغولون بعمل آخر. الأوبرا يجب أن

تشاهد حية على المسرح. حتى يمكن الاستمتاع بالتمثيل والديكورات والأنوار والأضواء ونقاء الصوت المذاع من أجهزة عالية المستوى، وكذلك الوسط والاستعداد النفسي للمشاهد، إلخ. سماع موسيقى الأوبرا لا يغني عن مشاهدتها حية.

بالطبع تذوق الأوبرا يحتاج إلى تدريب طويل. مثل قراءة شيكسبير أو أعمال الفلاسفة الكبار أو الشعر. لكن لمن يبغي الثقافة الرفيعة والمتعة الروحانية، لابد من المحاولة. فلا يأس مع الحياة، ولا حياة مع اليأس. النتيجة مضمونة ومؤكدة. وهي مستو آخر من المتعة، وسمو ورقة غير مسبوقة للشعور والتذوق.

"أورفيوس" ينعي زوجته الحبيبة "يوريديسي" من أوبرا ل"جلوك" غناء جانيت بيكر.
Janet Baker sings "Che farò senza Euridice" from Gluck's 'Orfeo ed Euridice'

رقص الأرواح المباركة من أوبرا "أورفيوس" و"يوريديسي" ل "جلوك".
،From Pina Bausch's production of Orpheus and Eurydice at the Palais Garnier 2008

الأوبرا الفخمة جاءت إلى فرنسا عن طريق استيراد أعمال ملحنين أجانب. أمثال "جلوك"، "شيروبيني"، "سبونتيني"، روسيني، "مييربير".

شيروبيني، تأثر ب"جلوك" في البداية. لكنه تخطاه فيما بعد. كان له تأثير كبير كمدير لمعهد الموسيقى بباريس، كان شيروبيني هو صوت الثورة الفرنسية.

سبونتيني، مزج في موسيقاه عظمة الامبراطورية الفرنسية. روسيني، بيّن روح التمرد والثورة على الظلم في أوبرا "وليام تل". مييربير، صاحب الميلودي الرومانسية، حاول جاهدا الوصول ب"الأوبرا العظيمة" إلى حد الكمال.

مقدمة أوبرا "ستروينسيه" ل"مييربير".
Giacomo Meyerbeer - Struensée - Ouverture


ميهول

هناك أيضا ملحنو الأوبرا الفرنسيين. منهم "ميهول"، صاحب الأصل المتواضع، والمستوى الموسيقي الرفيع.

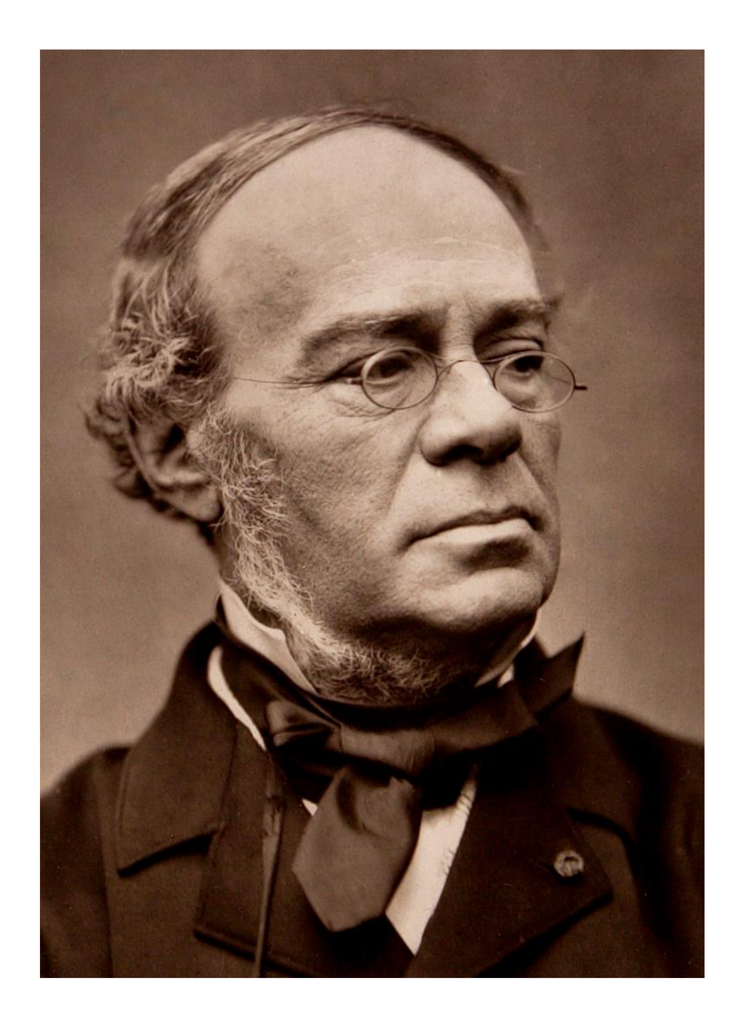
مقدمة أوبرا "الصيد" ل"ميهول".
Ouverture: La Chasse du Jeune Henri - Etienne Méhul

في إحدى الليالي، تسلل "ميهول" خلسة إلى دار الأوبرا. بعد أن اكتشف أمره، تدخل الموسيقار العظيم "جلوك" ومنعه من الطرد. منذ ذلك الحين، وقع "ميهول" في حب "جلوك" وكل أعماله الموسيقية. بعد ذلك، أشرف "جلوك" بنفسه على دراسته للموسيقى.

أفضل أعمال "ميهول" هي أوبرا "يوسف في مصر". أهمية "ميهول" (1763-1817م)، تأتي من كونه ظهر في فرنسا خلال الفترة الرومانسية التي أعقبت الثورة الفرنسية.

أوبرا "يوسف في مصر" ل"ميهول.
Étienne Nicolas Méhul - La légende de Joseph en Égypte (1807)

"هاليفي"، تلميذ وصديق شيروبيني المفضل، ملحن أوبرالي بارع. أفضل أعماله أوبرا "اليهودية" عام 1835م، عن قصة حب بين مسيحي وفتاة يهودية. هي أول أوبرا غظيمة تعتني بالديكورات الفاخرة، التي تضيف إلى فخامتها فخامة. قيل أنه قد أنفق في تحضيرها مبلغ 150 ألف فرنك فرنسي.

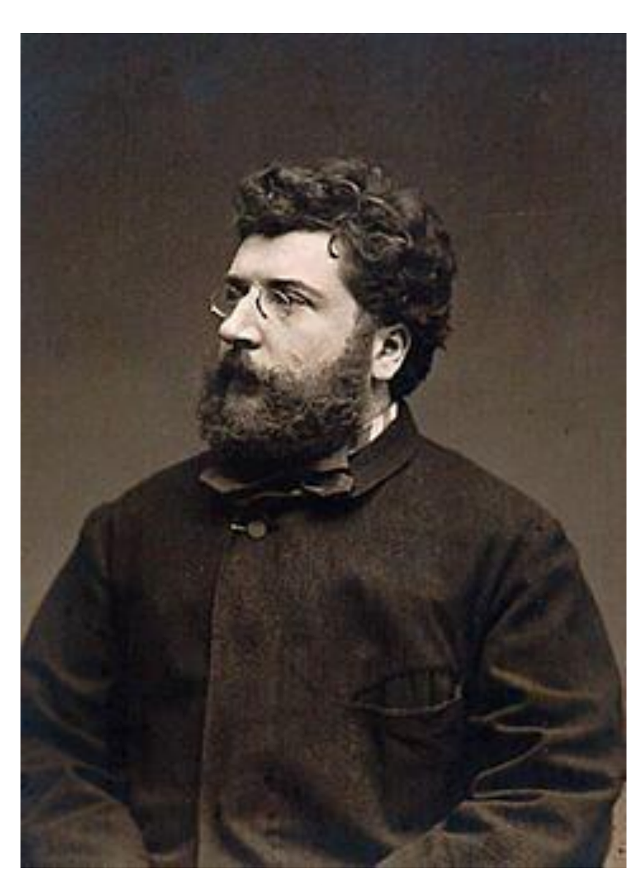


هاليفي

مقدمة ل أوبرا "اليهودية" ل"هاليفي".
Trailer opera La Juive - Fromental Halévy

أوبرا "اليهودية" كاملة ل"هاليفي".
"La juive" - Halévy Shicoff Stoyanova Wiena 2003

تلميذ "هاليفي" وزوج ابنته، هو الموسيقار العظيم "بيزيه".



بيزيه

بعد بداية متواضعة وإنتاج أعمال غير هامة، ظهرت أوبرا "كارمن" مع نجاح كامل. لكن الموهوب بيزيه يموت في ريعان شبابه بعد عرض "كارمن" أول مرة بثلاثة شهور.



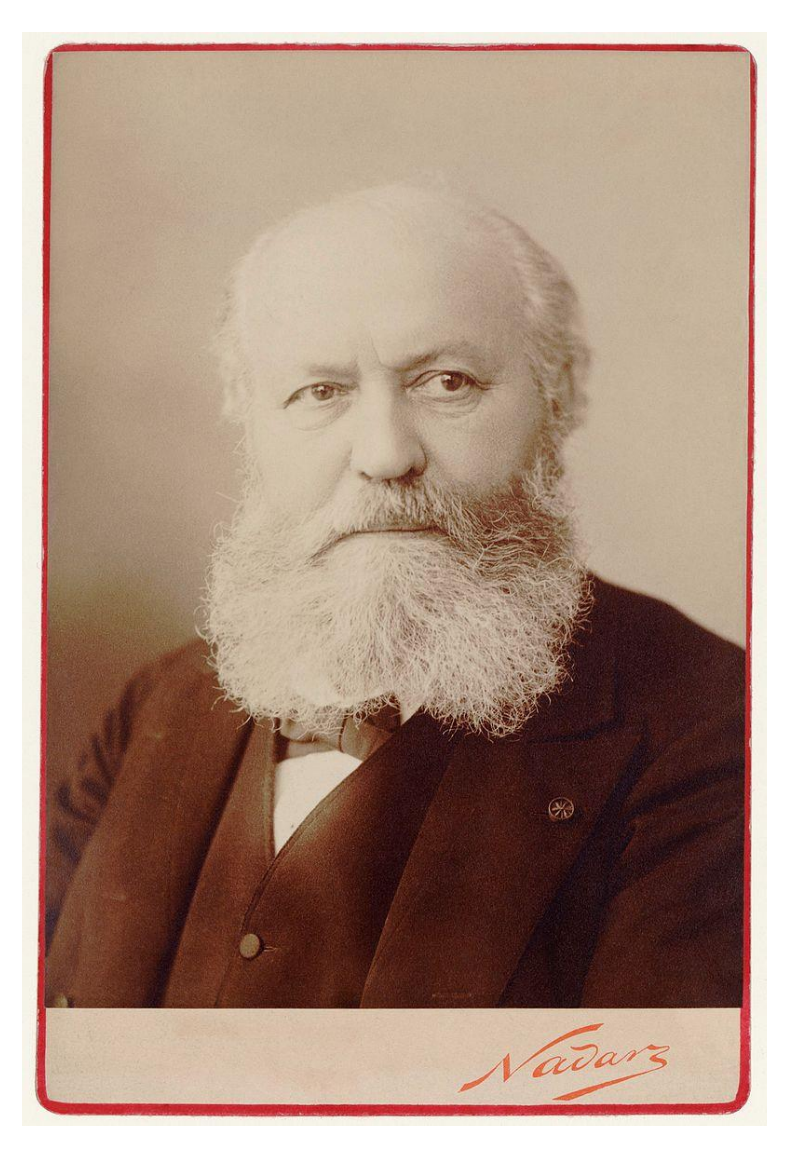
مشهد من أوبرا كارمن

لحن مشهور من أوبرا كارمن لبيزيه.
Carmen: "L'amour est un oiseau rebelle" (Elina Garanca)

أوبرا "كارمن" ل"بيزيه" كاملة مع ترجمة إنجليزية.

Ricciarelli 1980 (multisubs)، Raimondi، Berganza،Carmen - Domingo

نأتي الآن إلى "تشارلز جونو"، أشهر ملحني الأوبرا الفرنسيين. مشهور بموسيقى الكنائس وتلحين الأغاني والأوبرات. كان تلميذا نجيبا في معهد الكونسرفاتوار بباريس. حصل على جائزة "بريكس دي روم"، التي خولت له منحة دراسية لمدة ثلاث سنوات في روما.



جونو

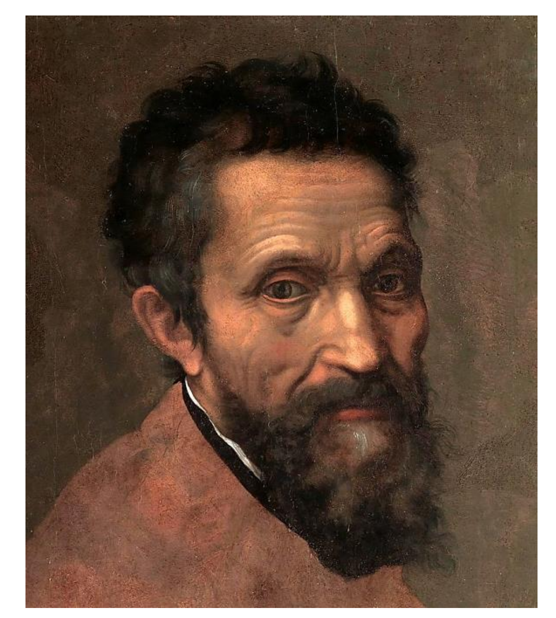
هنا في روما، كون الصداقات مع أصحاب النفوذ الذين توسموا فيه النبوغ، وقام بدراسة أعمال ملحني الأوبرا الإيطاليين الكبار. كان يذهب لمشاهدة الأوبرات، وخصوصا أوبرات "بيلليني" و"دونيزيتي" التي كان يستمتع بها جدا.

ذهب يوما لحضور قداس الأحد في كنيسة "سيستين"، أثناء سماعه لموسيقى القداس، لاحظ وجود وحدة فنية بين الموسيقى وبين لوحات الرسم على الجدران. لقد وجد هناك علاقة بين



باليسترينا

موسيقى "باليسترينا"



مايكل أنجلو

ورسم "مايكل أنجلو".

عندما كان يقيم "جونو" في روما، قام بعدة رحلات طويلة في كل البلاد. عندما كان يلحن، كان يستخدم كل ما سمعه وشاهده في تأليف موسيقاه. في أوبرا "فاوست"، في أحد المشاهد، نسمع أمواج البحر وهي ترتضم بالصخور على الشاطئ. ثم تأتي صيحة من طائر وحيد فريد.

كرجل عاشق للموسيقى والفن، أحب "جونو" الحياة في إيطاليا. وكان حزينا عندما شاهد قبة كاتيدرائية القديس بطرس، وهي تتضاءل في الحجم، عندما كان يبتعد عنها، مغادرا هذه المدينة الخالدة.

بعد ذلك، سافر شمالا عبر ألمانيا. ألف بعض الأعمال الناجحة. في فيينا، استمتع بمشاهد أوبرا "الناي السحري" ل"موزارت". قابل "مندلسون"، الذي كرمه وأشاد بأعماله. "جونو" كان دائما مفتونا بأعمال "موزارت" و"مندلسون" و"شومان" الموسيقية.

موسيقى الفيلم الرائع عن حياة وموسيقى العبقري موزارت، "أماديس موزارت".
Amadeus (Full Soundtrack)

أوبرا "الناي السحري" كاملة مع ترجمة إنجليزية، ل"موزارت".
Die Zauberflöte 1971(English subt.)، Stein، Ustinov، Gedda، Mathis ،
Deutekom، Workman



موزارت

مارش الزفاف ل"مندلسون".
Mendelssohn: Wedding March / Abbado · Berliner Philharmoniker



مندلسون

"هورويتز" يعزف على البيانو قطعة لشومان بعنوان "مناظر من الطفولة".
Scenes from Childhood | ، "Kinderszenen" No. 7،httpsSchumann - Träumerei
Vladimir Horowitz_



شومان

عندما عاد "جونو" إلى باريس، عمل كعازف أورغون في كنيسة "فورين ميشنز". أثناء الحرب الفرانكو-بروسية، هرب هو وآخرون إلى إنجلترا، حيث مكث بضع سنوات. لكنه مات في باريس عام 1893م.

كتب "جونو" بنفسه قصة حياته، التي تستحق القراءة. كتب يقول، "عندما كنت صغيرا، كنت أقول أنا فقط. بعد ذلك، كنت أقول أنا وموزارت. الآن أقول، موزارت فقط".

ألحان أغانيه تتسم بالميلودي. كتب الكثير من موسيقى الكنائس والقداس، في ألمانيا وإنجلترا.

أوبرا "لا رين دي سابا"، عن النبي سليمان والملكة بلقيس، لاقت نجاحا ملحوظا.

Charles Gounod : LA REINE DE SABA (integrale)

أوبرا "روميو وجولييت"، مليئة بالعذوبة والجمال.

لحن من روميو وجولييت غناء "أنّا نتريبكو".
Anna Netrebko "Je veux vivre" in Romeo and Juliet by Gounod (HD Paris 2007)

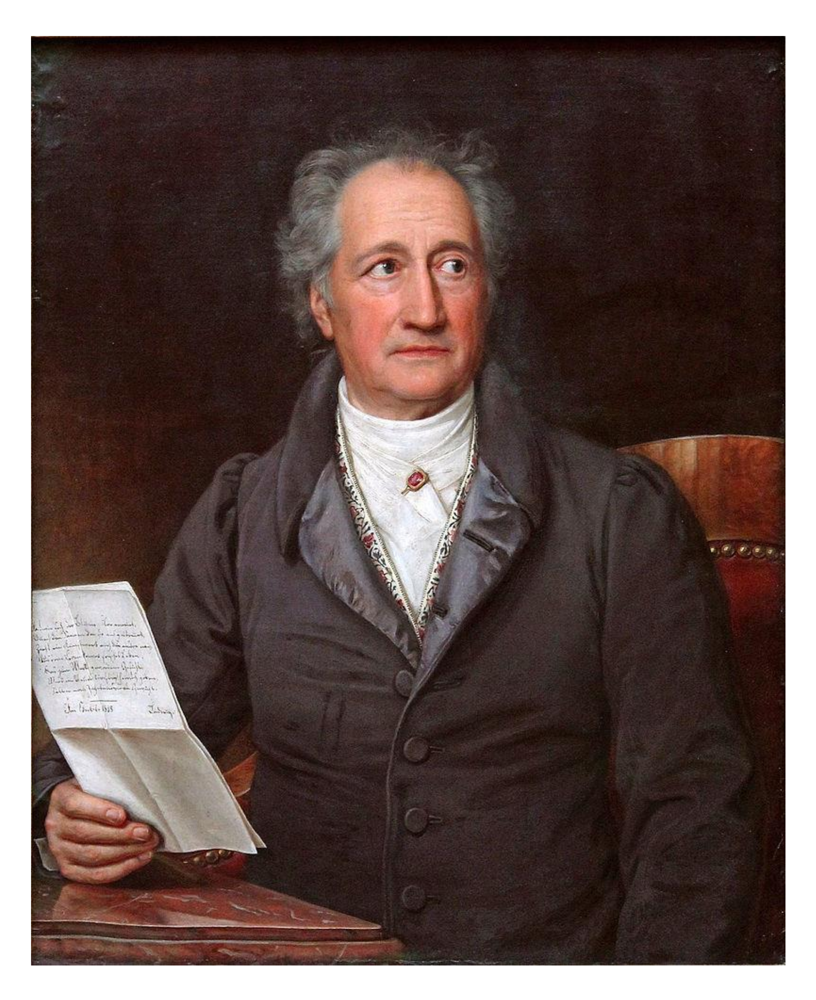
لكن أوبرا "فاوست" هي رائعته بدون شك. كان يفكر في موضوع الأوبرا لسنوات عديدة. ساعده في اشتقاق نصها الغنائي، اثنان من الشعراء. كان يحب تأليف أغاني الحب. لذلك نجد مشاهد الحب مميزة في هذه الدراما العظيمة.

موسيقى باليه من أوبرا "فاوست" ل"جونو".
Charles Gounod : Faust Ballet Music - Les Nubiennes (Valse / Walzer) - Neville Marriner

أوبرا "فاوست" ل"جونو" كاملة مع ترجمة إنجليزية. هذا هو الفن في أسمى درجاته.

Gounod Faust Ruggero Raimondi Francisco Araiza Gabriela Benackova 1985

قصة "فاوست" مقتبسة من أعمال الشاعر الألماني جوته.



جوته

تمثل في مضمونها، الصراع بين الخير والشر. الصراع بين الإيمان بالله والإيمان بالشيطان، الصراع بين الحياة والموت.

"فاوست"، يعقد اتفاقه مع الشيطان لكي يعيد إليه شبابه ويحقق له رغباته، في مقابل أن يكون عبدا له. بذلك يقوده الشيطان إلى حتفه ونار جهنم. الأوبرا مليئة أيضا بالصراعات. صراع بين حب الوطن وحب الذات. والحب العذري والحب الماجن.



فاوست يعقد اتفاقا مع الشيطان

"فاوست" حكاية مشهورة، لكن دعنا نعيد النظر في مضمونها لكي نفهم ألحانها الموسيقية. الساحر العجوز، الدكتور فاوست، الذي ينظر إلى الحياة في هذه السن المتقدمة بخيبة أمل عظيمة، يعقد اتفاقا مع الشيطان نفسه.

بمقتضى هذا الاتفاق الشيطاني، يسترجع فاوست شبابه المفقود، في مقابل أنه يبيع نفسه للشيطان. الشيطان يتمثل في الروح الشريرة "ميفيستوفيليس". ثم يقع فاوست في حب غادة ريفية بسيطة تدعى "مارجوريت".

أغرى فاوست الفتاة وطلب ودها بصندوق ملئ بالجواهر النادرة. لكنه لطبيعته الشريرة، تسبب في قتل أخيها. مما أدى إلى فقد مارجوريت لعقلها وموتها في النهاية. ثم بدأت تظهر مارجوريت إلى حبيبها السابق كطيف نوراني تحمله الملائكة.

الأوبرا مليئة بالروائع التي تتتابع واحدة تلو الأخرى مصحوبة بالمناظر الخلابة طول الدراما كلها. حفلات الفالس الغريبة والكورس، التي توضح قدرة "جونو" على تأليف موسيقى الرقص، والموسيقى الكنسية المبهرة. منظر ملك "ثول" ومنظر الجواهر ، والديكورات تضيف خصوصية لهذا العمل الفريد.

أوبرا "فاوست" ل"جونو"، أوبرا مثاليه مليئة بالجمال والرقة والعذوبة، نسجت بالألحان الجليلة والأصوات الملائكية. أول عرض كان في باريس عام 1859م. لم تلق النجاح في البداية. لكنها أصبحت، يوما بعد يوم، الأوبرا المفضلة. هي اليوم، تعتبر أشهر الأوبرات الحديثة. ساهم في عرضها مغنيون كبار من أجيال مختلفة.

يبدو أن حكاية الدكتور "فاوست" الغريبة مع الشيطان، كانت قد شغلت العديد من ملحني الأوبرا في كل الأزمان. ما لا يقل عن 17 أوبرا كتبت عن الموضوع نفسه.

هناك سمفونية "فانتاستيك" ل"بيرليوز"، وسيمفونيات "شومان" و"ليست" وأوبرات "فاجنر"، لكن أوبرا "فاوست" التي كتبها الفرنسي "شارل جونو"، ستظل هي الدراما الغنائية الرائعة التي لا يمل الناس مشاهدتها.

9

بيرليوز

بدأت الحركة الرومانسية في الأدب والفن والموسيقى عام 1830م، عززتها روح الثورة الفرنسية. بحث المبدعون عن موضوعات وأفكار جديدة. أدباء وشعراء مثل: فيكتور هوجو، جوته، بيرون، شيلي، كان لهم تأثير هائل على مسيرة الأدب نحو الرومانسية.

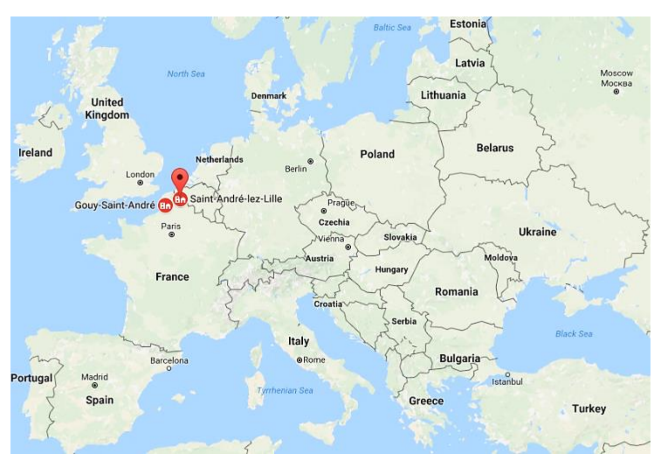
"ديلاكروا" و"جيريكولت"، كان تأثيرهما في الفن الفرنسي الرومانسي. أما شوبرت، شومان، شوبان، ليست، بيرليوز، فكانوا في مقدمة مؤلفي الموسيقى الرومانسية.



بيرليوز

لكن "هيكتور بيرليوز" (1803-1869م)، كان أمير الأمراء بالنسبة للرومانسية الفرنسية. عبقرية هائلة تستحق أن نفرد لها بابا مستقلا.

ولد "بيرليوز" في "سانت أندريه" بفرنسا عام 1803م. والده، طبيب ناجح أراد أن يُعّد ابنه لكي يخلفه في مهنته. لكن "هيكتور" كان يعيش في عالمين آخرين، عالم الموسيقى وعالم الخيال.



سانت أندريه بفرنسا

في سن الثانية عشر، وقع في حب غادة جميلة تكبره بعدة سنوات. لكن المحبوبة سخرت من عواطف هيكتور، وحقرت من شأنه. عندما كان صبيا يافعا، كان يغني ويجيد العزف على الناي. كان الأب وهو يعده لكي يصبح طبيبا، يسمح له بهذه المتعة، كنوع من الترويح عن النفس.

مرت السنون، عندما بلغ هيكتور التاسعة عشر، أرسله والده إلى باريس لدراسة الطب. هناك، وجد نفسه يشارك طلبة آخرين المسكن، مجبرا على التخلي عن أحلامه والتفرغ للدراسة الجاده.

نجح في ذلك في البداية، لكن الطامة الكبرى جاءت من غرفة التشريح. في يوم من أيام بؤسه، صرخ قائلا: "أنا أصبح طبيبا، أدرس التشريح وأقوم بعمليات فتح بطن مرعبة؟ لا والله أبدا." وبعد أن استمع إلى قطعة موسيقية من أوبرا "إفيجيني" ل"جلوك"، قرر أن يهب نفسه للموسيقى.

المقدمة الموسيقية لأوبرا "إفيجيني" ل"جلوك".
Obertura de Iphigénie en Aulide، de C.W. Gluck. Dirige Riccardo Muti. Scala 2002

عاد بيرليوز إلي والديه لكي يزف لهما نبأ عدوله عن دراسة الطب. يبدو أن الوالدين لم يفهما طبيعة شغف ابنهما بالموسيقى، فقامت الأم بتوبيخه، وقام الأب بطرده من المنزل وقطع عنه المصروف.

حياة بيرليوز العملية، منذ البداية، كانت عبارة عن قصة نضال وكفاح مستمرة طيلة حياته. عاد إلى باريس ليبدأ في التأليف الموسيقي. كان فقيرا معدما، يسكن في مخزن صغير فوق السطوح، يعيش على كسرة خبز وحبات قليلة من العنب كل اليوم. بعد مدة، استطاع أن يجد بعض التلاميذ لتعليمهم العزف على الجيتار والناي.

بعد أن ألف لحن أغنية (كونتاتا)، سمح له بالدخول في معهد الكونسرفاتوار. هناك كان صوته يزعج زملاءه. لم يكن يحظى برضاء المدير الإيطالي، شيروبيني. لأن شيروبيني كان يطلب الانتظام والامتثال، وهما خصلتان غير متوافرتان لدي بيرليوز.

كان يقضي معظم وقته في مكتبة المعهد، يدرس نوت الأعمال الموسيقية لمؤلفين كبار. كان كادحا، لذلك لم يقم المعهد بطرده بالرغم من ندرة نجاحه في الامتحانات.

لحاجته الملحة للنقود، حتى لا يموت من الجوع، تقدم مع آخرين للعمل في كورس غنائي في مسرح درجة ثانية. كل واحد من المتقدمين للوظيفة، ذهب للمقابلة الشخصية ومعه نوتة موسيقية يغني منها.

عند سؤال بيرليوز عن نوتته الموسيقية، أجاب: "أنا لا أحتاج إلى نوتة". ثم قام بترديد ألحان مختلفة لسبع مؤلفين موسيقيين بدون الاستعانة بالنوته الموسيقية.

ربما يكون هذا أحد أسباب حصوله على الوظيفة. لكن يقال أن الأب الدكتور بيرليوز الطبيب، وجد ابنه هيكتور مريضا في باريس، فقام بإعادة المصروف الشهري إليه.

بينما كان بيرليوز يدرس في الكونسرفاتوار بباريس، جاءت شركة إنجليزية تعرض مسرحيات شيكسبير. لم يكن بيرليوز يعرف الإنجليزية. يستطيع فقط رؤية الإيماءات وسماع أصوات الممثلين ترافقها ترجمات رديئة. بالرغم من ذلك، كان بيرليوز منبهرا بالمسرحية. لدرجة أنه صاح قائلا: "لقد بهرني شيكسبير، كأنه رماني بمطرقة سحرية".

كانت بطلة الفرقة الممثلة الجميلة الإيرلندية "هاريت سميثسون". إليها كان يتعطش الشعراء والرسامون والأرستقراط والمتسكعون. طبيعة بيرليوز الحالمة، جعلته يقع هو الآخر في غرام هذه الغادة الفاتنة، عندما شاهدها وهي تقوم بدور "أوفيليا" في مسرحية هاملت، ودور ديدمونة في مسرحية عطيل. لكنه كاد أن يفقد الوعي، عندما تأكد أن الممثلة الفاتنة لا تبادله نفس الشعور.

أخير، حصل بيرليوز على جائزة "بريكس دي روم" التي كان يصبو لها دوما. بعد ذلك ذهب إلى إيطاليا. هناك في فيلا عائلة المديشي، قابل كل من فيرنيت، ليست، ماندلسون. كون معهم وآخرين جمعية لها اسم غريب. "جمعية اللامبالاة بكل المواضيع". أعضاء الجمعية كانوا يعزفون لبعضهم، ويناقشون وينقدون أعمالهم بنفسهم، ويقومون بالرحلات سويا.

بينما كان يُحضّر بيرليوز ل"سمفونية فانتاستيك"، وسمفونية "هارولد في إيطاليا"، تفرغ لجمع المادة اللازمة، وكان يزور الكنائس والأستوديوهات والمعارض، يستمع إلى الأوبرا والموسيقى الإيطالية، التي لم يكن يحبها، ربما بسبب مشاكله مع شيروبيني.

سيمفونية "هارولد في إيطاليا" ل"بيرليوز".
BERLIOZ - Harold en Italie Op. 16 (Sir Colin DAVIS/Philarmonia Orchestra) - COMPLETE

ثم بدأ يأخذ قيثارته، ويذهب في الليالي المقمرة إلى الإستاد الرياضي أو خارج المدينة لكي يعزف ويدندن وحده. كان في غالب الأحوال، يقابل عصابات قطاع الطرق ، لكنهم لم يحاولوا أبدا الاعتداء على موسيقي حالم شريد وحيد. العصابات لها قانونها الأخلاقي هي أيضا.

ظل بيرليوز في روما لمدة عامين. بعد ذلك فاجأ الجميع برجوعه إلى باريس. هناك أراد أن يعمل أستاذا في الكونسرفاتوار. لكن شيروبيني، الذي لم يكن يرتاح له، وقف له بالمرصاد.

مؤلفات بيرليوز الموسيقية لم تكن تكفي لكي يعيش على ثمنها. لأن الفرنسيين لم يكونوا معجبين بها. كان يجد صعوبة في مجرد عرضها على أحد. لذلك، قرر أن يصبح ناقدا موسيقيا.

أسلوبه في النقد كان عظيما، ولاذعا عندما يهاجم عملا رديئا أو غير جاد. أحد رؤساء التحرير أعاد إليه نقده مع ملاحظة تقول: "يداك مليئتان بالحجارة، وهناك العديد من النوافذ الزجاجية حولنا".



يداك مليئتان بالحجارة

لكن بيرليوز كان ناقدا ماهرا وناجحا. استمر في هذه الوظيفة لدي أحسن المجلات الموسيقية في باريس لمدة 20 سنة. مرة ثانية سمع أن "هاريت سميثسون"، التي فتنته ورفضته منذ خمس سنوات، تمثل على المسرح. حاول مقابلتها، لكنها لم ترفضه هذه المرة، وقبلته زوجا لها.

لأن بيرليوز حياته كلها مشاكل، سقطت "هاريت سميثسون" وهي على المسرح وكسر ساقها واعتزلت التمثيل. مما جعل الديون تتراكم عليه. لم يكن الزواج سعيدا، وبعد وفاتها، تزوج للمرة الثانية.



هاريت سميثسون 1820م

بينما كانت موسيقى بيرليوز لا تروق الباريسيين، بسبب جرأته على تحدي الفرنسيين بأصالته، كما أن المثل يقول: "لا كرامة لنبي في وطنه"، وجد التكريم في بلاد أخرى، كان يعامل فيها كموسيقار عظيم.

الشاعر الألماني "هيني" قام بالكتابة عنه يكرمه، مندلسون كان يتبادل معه الهدايا، المجريون استقبلوا موسيقاه بكل الحفاوة والترحيب. "بجانيني"، عازف الكمان العظيم، منحه في وقت حاجة، مبلغا كبيرا من المال، وطلب منه أن يكتب له كونشيرتو للكمان.



بجانيني عازف الكمان الأسطورة

في الواقع كان بجانيني يعتبر بيرليوز في شهرة بيتهوفن. كيف لا، وأسلوبه في معاملة الأوركسترا، مثل أسلوب بجانيني في معاملة الكمان، وأسلوب "ليست" في العزف على البيانو.

الآن سوف ننظر في موسيقى بيرليوز بشئ من التفصيل، لكي نرى كيف جعلته يتبوأ مكانا فريدا في عالم الموسيقى الكلاسيكية. شهرة بيرليوز التي يتميز بها عن غيره من المؤلفين، هي استخدامه الرائع للأوركسترا.

أولا، معرفته العميقة لكل آلة وما يمكن أن تفعله. ثانيا، مهارته في توليف آلات مختلفة مع بعضها، بحيث تعطينا تأثيرا رائعا غير مألوف. في بعض الأحيان، كان يجعل مجموعة آلات تعزف كآلة واحدة.

كان بيرليوز يؤمن بأن الموسيقى لها من قوة التعبير، ما يجعلها تحكي شعرا، وهذا ما كان يفعله دائما. لذلك كان يسمى "أبو موسيقى البرامج". بالرغم من كون الباريسيون لا يعجبون بأسلوبه، إلا أنهم لم يجرأوا على نقد مهارته الفائقة في تكوين التركيبات الرائعة التي تحكي قصة موسيقية.

لديه مقدرة هائلة في التعامل مع الكثير من الآلات واستخدامها معا في القداس والموسيقى الدينية. ألف ثلاثة أعمال للأركسترا، وثلاثة للكورس، وأربعة للأرغن، وثلاث رباعيات. ألحان أغانيه مليئة بالعذوبة والرومانسية.

موسيقى قداس (ريكويم)، ل"بيرليوز".
Berlioz - Grande Messe des Morts (Requiem)

London Symphony Chorus
Wandsworth School Boys' Choir
London Symphony Orchestra
Colin Davis

أوبراته، بالرغم من أنها تحتوي على ألحان غاية في الجمال، إلا أنها لم تلق الشهرة التي تستحقها. أميزها أوبرا "بينفينيتو سيليني"، وأوبرا "بيتريس وبينيديكت".

لحن من "بينفينيتو سيليني" ل"بيرليوز.
Tra la la (Berlioz: Benvenuto Cellini)

جزء من "بيتريس وبينيديكت" ل"بيرليوز".
Hector Berlioz - Béatrice & Bénédict (1862) - "Nuit paisible" (Sylvia McNair & Catherine Robbin)

سيمفونياته، هي أحسن أعماله. السيمفونية، هي عمل موسيقى للأوركسترا بالكامل. تتكون عادة من أربع أجزاء. سوف نذكرها بالتفصيل عند الحديث عن "هايدن"، أبو السيفونية.

سيمفونيات بيرليوز، عبارة عن قصائد سيمفونية. هذه السيمفونيات، كانت مشهورة في القرنين التاسع عشر والقرن العشرين. سيمفونية "روميو وجولييت"، وسمفونية "هارولد" خير مثال على هذا النوع من السيمفونيات.

سمفونية روميو وجولييت ل"بيرليوز".
httpsBerlioz: Roméo et Juliette - Radio Filharmonisch Orkest - Full concert in HD_

أول محاولاته للتعبير عن قصص الحب، جاءت في "سيمفونية فانتاستيك". عبارة عن سيرة ذاتية بالموسيقى. تبين قصة غرامه الفاشلة.

أداء رائع لسيمفونية "فانتاستيك" لبيرليوز بقيادة "ماريس جانسونز"، لاحظ حجم الأوركسترا.
Proms 2013)،Berlioz - Symphonie fantastique (Mariss Jansons conducts

صيغة السيمفونية وتكوينها الأوركسترالي، شئ جديد ثوري بكل المقاييس. تحكي لنا قصة بيرليوز الرومانسية مع "مس سميثسون"، لذلك تعتبر أول سمفونية برامج. القصة ممتعة مثل الموسيقى نفسها.

الحركة الأولي:
فنان موسيقي شاب يرى لأول مرة غادة جميلة تنطبق عليها كل الأوصاف التي كان يحلم بها طول حياته. موضوع الحركة الأولى، هي قصة انتقاله من حالة حزن وانقباض خيالية، تتخللها لحظات بهجة، إلى حالة هذيان عاطفي، مع موجات غضب وغيرة.

ثم يعود إلى حالة رقة وبكاء وتعبد لعلها تخفف من آلامه. البداية بطيئة تعبر عن أول مشاهدة للحبيبة، التي تمثلها "التيمة" أو النغمة الرئيسية.

الحركة الثانية: صالة رقص
الفنان وجد نفسه وسط حفل صاخب. بدأت رقصة الفالس، لكن يعترضها ظهور الحبيبة، فتتغير نغمة الفالس. أربع آلات هارب تضاف مع عودة الفالس. بالقرب من النهاية، يأتي صوت الكورنت وحيدا.

الحركة الثالثة:
يجد الفنان نفسه بالليل وسط الحقول، يسمع اثنين من الرعاة على بعد يعزفون على الناي. هذا ينعكس على شعوره بالوحدة، فيعلم أنه لم يعد وحيدا.

الحوار بين الرعاة تمثله آلة البوق الإنجليزي وآلة "الأبوا" التي تدل على بعد المسافة.


آلة الأبوا

ظهور الحبيبة غير المتوقع في شكل آلات النفخ الخشبية، يدل على الأمل في نيل رضاها. فتظهر هنا نغمة الرعاة ، لكن بدون "الأبوا".


آلة البوق الإنجليزي

نداء آلة البوق الإنجليزي على الحبيبة،


آلة تيمباني

لا يجد صدى سوى قرقعة الرعد الذي تمثله آلة "تيمباني".

الحركة الرابع:
عندما علم الفنان أن حبيبته ذهبت ولم تلتفت إليه، سم نفسه بتعاطي الأفيون. الجرعة لم تكن كافيه لموته. لكنها وضعته في حالة نوم، تصاحبه أحلام مرعبة. لقد رأي في أضغاث الأحلام أنه قتل من يحب. تمت إدانته واقتيد لكي يلقى حتفه، ولكي يشاهد نفسه وهو يعدم بالمقصلة.

الهلوسة الناتجة عن المخدر، تظهر في المارش. الضربات الوترية، المنتظمة والمنخفضة، وصوت الآلات النحاسية والطبول، تقود إلى ساحة الإعدام.

بالقرب من النهاية، تظهر الحبيبة في صوت الكلارينت، فقط لكي تختفي فجأة خلف صخب الأوركسترا الهادر بكامله. ثم تهوي المقصلة.



آلة الكلارينت

الحركة الخامسة والأخيرة:
يرى الفنان نفسه وسط "سبت الساحرات"، محاطا بجيش من الأشكال المرعبة والوحوش والمشعوذين اللذين أتوا من كل فج عميق للاشتراك في جنازته.



لوحة تمثل سبت الساحرات وما كان يجري في الغابات في ليالي السبت

تظهر أصوات غريبة ونواح وضحكات وقهقهات ونحيب من بعيد. الحبيبة، يمثلها صوت الميلودي، تعود ثانية، لكن بعد أن فقدت جلالها وروعتها، وأصبحت مجرد إمرأة عادية.

سرور طاغي لدى ظهورها، وانضمامها إلى حفل العربدة الشيطاني. المشهد الأخير، يبين تصور بيرليوز للجحيم. مجموعة من الساحرات والغيلان، تتجمع حول جثة الفنان وهو في طريقه إلى الجحيم.


البوق الفرنسي

أصوات غريبة ترسلها الآلات الوترية، وآلات النفخ الخشبية، والبوق الفرنسي.

ثم نسمع صوتا حادا للكلارينت بطريقة مرعبة يمثل الحبيبة "هاريت سميثسون". تأتي إلى المسرح وهي تلبس رداء مخيفا من ملابس السحرة والجنيات.

خلال السيمفونية كلها، هناك لحن ميلودي واحد، وعدة تنويعات. ترمز إلى الحبيب المفقود. السيمفونية مليئة بالتخيلات الغريبة. من هنا جاء اسمها، السيمفونية الخيالية، أو الوهمية.

لكن أفضل أعمال بيرليوز، هي أوبرا "لعنة فاوست". الموسيقى تصويرية رائعة. بها موسيقى شرقية ومشاهد حب ورقص العفاريت وحوريات الماء مع كورس الأرواح.

لعنة فاوست ل"بيرليوز".
2002،Susan Graham and Jonas Kaufmann / Damnation of Faust /La Monnaie

موسيقى بيرليوز يبدو أنها كانت توافق مزاجه الخاص، ولابد أنه كان يستمتع بها عند كتابتها. يبدو أنه كان دائم البحث عن بطل، يقف دائما وسط العاصفة، عاصفة الحب أو الكره.

الشاعر فيرجيل، شيكسبير، بيرون، الموسيقار جلوك، هايدن، بيتهوفن، كل عملاق من

هؤلاء كان بمثابة مثله الأعلى، يخترق أغوار نفسه إلى الأعماق.

بيرليوز شخصية عطوفة، لكن عصبيته وعناده جعلاه يفشل في تكوين صداقات قوية. لذلك أصبح وحيدا مبتئسا صعب التعامل معه مع تقدم العمر. كان دائم الثورة على غيره من المؤلفين. لا يعتقد إلا في بيرليوز، وينتظر الاعتراف به في وطنه فرنسا.

توفي بيرليوز في باريس عام 1869م. بعد حزن قصير على ابنه الوحيد الذي مات في الغربة. بعد موته بفترة قصيرة، جاءت اللحظة التي كان ينتظرها طوال عمره. وهي بداية تحمس الباريسيون لموسيقاه، التي أصبحت تنتشر في كل أنحاء فرنسا. كان قد ظهر في ذلك الوقت، فاجنر في ألمانيا. الآن أصبح لدي فرنسا منافسا له.

يعتبر بيرليوز أكثر الموسيقيين صنعة وأصالة. من بين مؤلفي الموسيقى في القرن التاسع عشر، هو الوحيد الذي لم يكن يجيد العزف على آلة البيانو. بالرغم من ذلك، هو من أعظم مؤلفي الأوركسترا في تاريخ الموسيقى الغربية.

الأوركسترا لديه، يجب أن يتكون من مئات ومئات العازفين والمغنيين. قام باختراع آلات جديدة، مثل: الكورنت والبوق الإنجليزي، وهو نوع من التوبا. قام بإدخال الهارب لأول مرة في الأوركسترا، وأيضا الساكسافون.

حياة بيرليوز لم تكن حياة سعيدة. لم يستطع تكوين مدرسة خاصة به. أعماله الكبيرة، تحتاج إلى أوركسترا ضخم. له معجبين كثر. هو واحد من أعظم مؤلفي الأوركسترا السيمفونية في تاريخها الحديث.

10

الموسيقى الفرنسية الحديثة

ظلت الأوبرا، إلى نهاية القرن التاسع عشر، هي الصيغة الموسيقية الأكثر انتشارا في باريس. لكن، منذ ذلك الحين، تجمعت ثروة موسيقية كبيرة من المؤلفات الدينية، ومؤلفات الأوركسترا وموسيقى الحجرة.

موسيقى الحجرة، هي الموسيقى التي توضع للعزف في حجرة متوسطة الحجم.



موسيقى الحجرة

في الأصل، كانت موسيقى أصوات وآلات. لكنها أصبحت مقصورة على تشكيلات من البيانو والآلات الوترية، أو الوترية فقط. أيضا، مؤلفوا ألحان الأغاني، أخذوا في إثراء عالم الموسيقى بما يضيفونه يوما بعد يوم من ميلودي.

الآن، أصبحت هذه الألحان، مطلوبة مثل الأوبرا. كانت باريس تتطلع إلى ألحان جديدة. لذلك رأينا بيرليوز، يقود الحركة الرومانسية في الموسيقى. بينما ديبوسي، نجده في مقدمة الفنانين التأثيريين.



ديبوسي

التأثيريون في الفن التشكيلي، يعتقدون أن التفاصيل تقتل اللوحة أو العمل الفني. الشيطان يكمن في التفاصيل. المؤلف الموسيقي التأثيري، لا ينهي العمل، بل يحوم بالألحان، في نغمات دائمة التغيير، أو في جمل غريبة التركيب. تبدو مثل هذه الألحان

للبعض، غير مؤلوفة وغير مفهومة. وتبدو للبعض الآخر، مليئة بالأسرار والتشوق والسحر.

أوبرا "ديبوسي" الناجحة "بيلي وميليساند"، وسيمفونياته وأغنياته الساحرة، بالإضافة إلى أعمال الموسيقيين الذين تبعوا خطاه، جعل البعض يقول بأن الموسيقى التأثيرية، هي موسيقى المستقبل.

أوبرا "بيلي وميليساند" ل"ديبوسي".
https Claude Debussy - Pelléas et Mélisande (Complete opera with english subtitles)_



بيلي وميليساند

مقطوعة البحر، ل"ديبوسي".
Debussy - La Mer

مقطوعة الليل، " ل"ديبوسي"، رجاء مراقبة الماسترو الأرميني "أوهان دوريان". هكذا يجب أن ننصت إلى الموسيقى، أي بكل أجسامنا وجوارحنا. ولاحظ وهو يطير بجناحيه مع الأنغام وأصوات الكورال.

مقطوعة الليل لديبوسي:
Sirenes) Ogan Durjan'narc conductor،Fetes،C.Debussy Nocturnes (Nuages

إننا نلمس الصوفية في الموسيقى الفرنسية. إذا رغبنا في تتبع أفضل الأساتذة الصوفيين في الموسيقى، يجب أن نبعد قليلا عن دور الأوبرا بألحانها العذبة البراقة، وصالات الأوركسترا الفخمة، ونذهب إلى قاعة كنيسة معتمة، لكي ننصت إلى مؤلفات المتدين الزاهد، "سيزار أغسطس فرانك".



فرانك

فرانك، بلجيكي المولد. تجنس بالجنسية الفرنسية، وعاش في باريس حياة هادئة سعيدة كمدرس لآلة الأورغن، وكمؤلف موسيقي. تلاميذه كانوا يجلوه ويقدسونه، لما وجدوا فيه من صبر وإلهام. لذلك أطلقوا عليه لقب الأب "سيرافيكوس".

في الواقع، كان يبدو عليه أنه راهب متعبد. لأنه ظل لسنوات عديدة يعزف على الأورغن في كنيسة "سانت كلوتيلد"، وكانت موسيقاه الصوفية تعبر عن حياته، وتشكل أعماق نفسه. لم يكن يعبأ بتصفيق المستمعين. كل ما كان يبغيه من عزفه، هو مرضاة الرب الكريم.

عزف على البيانو لسيزار فرانك:

Op.18، Fugue and Variation in B minor، Prelude،César Franck

الموسيقار الفرنسي "سان صانز"، تبع أسلوبه الصوفي. حاول التأليف للأوبرا، ونجح في واحدة هي "هولدا". وهي قصة عذراء من بنات غزاة الشمال "الفايكنج" في القرن الحادي عشر.

جزء من أوبرا "هولدا" لفرانك.
CESAR FRANCK : HULDA _ LE CHOEUR DES PECHEURS SAXOPHONE AND VOICE

من أعماله أوبرا ستراديللا، وهي تحكي قصة الدوق بيسارو في مدينة البندقية، الذي قام بالاتفاق مع الملازم سبادوني على خطف الجميلة لينور، لكي يجبرها على حبه.

أوبرا ستراديللا:

César Franck : Stradella (complete opera)

قام بتأليف سمفونيات أخرى وثلاث ألحان دينية. منها "لي بيتيتيود"، وهي أحسن أعماله. ولم تعزف للجمهور بالكامل إلا بعد وفاته. استغرق تأليفها 10 سنوات. كلماتها مستعارة من "وعظة الجبل" للمسيح.

قمة الرثاء، تصلنا عندما تنخفض صيحة اليأس وتتحول إلى ألم. قوة الدراما تظهر، عندما تتمرد النفس فيسمع صوت المخلص، فيصمت الشر وتختفي المعاناة.

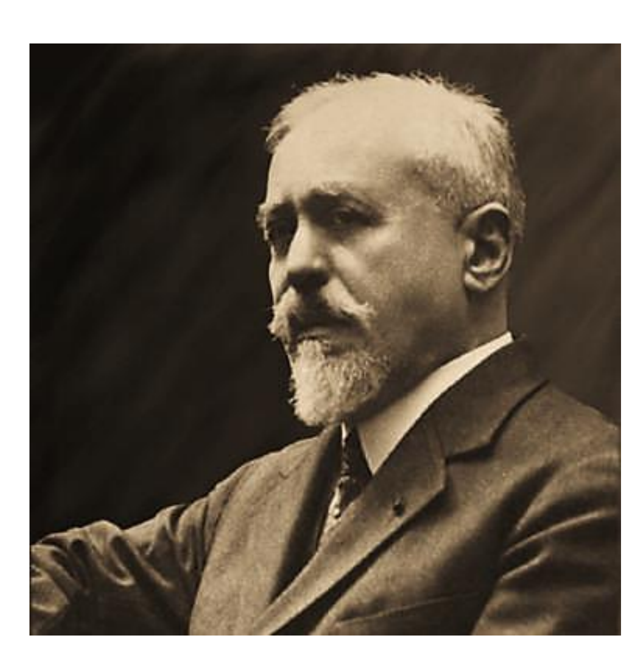
ومن أعماله أيضا 6 مقطوعات صغيرة موسيقية للأورغن.

6 مقطوعات للأورغن لفرانك:

César FRANCK: Six Pièces pour Grand Orgue (publiées 1868)

كان تأثير فرانك كبيرا على تلاميذه، وعلى مؤلفين آخرين. يسمى اليوم: "باخ الفرنسي". الإعتراف به بدأ يتزايد يوما بعد يوم، كواحد من أفضل مؤلفي الموسيقى الدينية.

"بول دوكاس"، يُعرف كمؤلف سيمفونيات. "جوستاف شاربينتير"، كتب متتابعات للأوركسترا. نال شهرته بعد مؤلفه "لويس" بألحانه الملهمة.

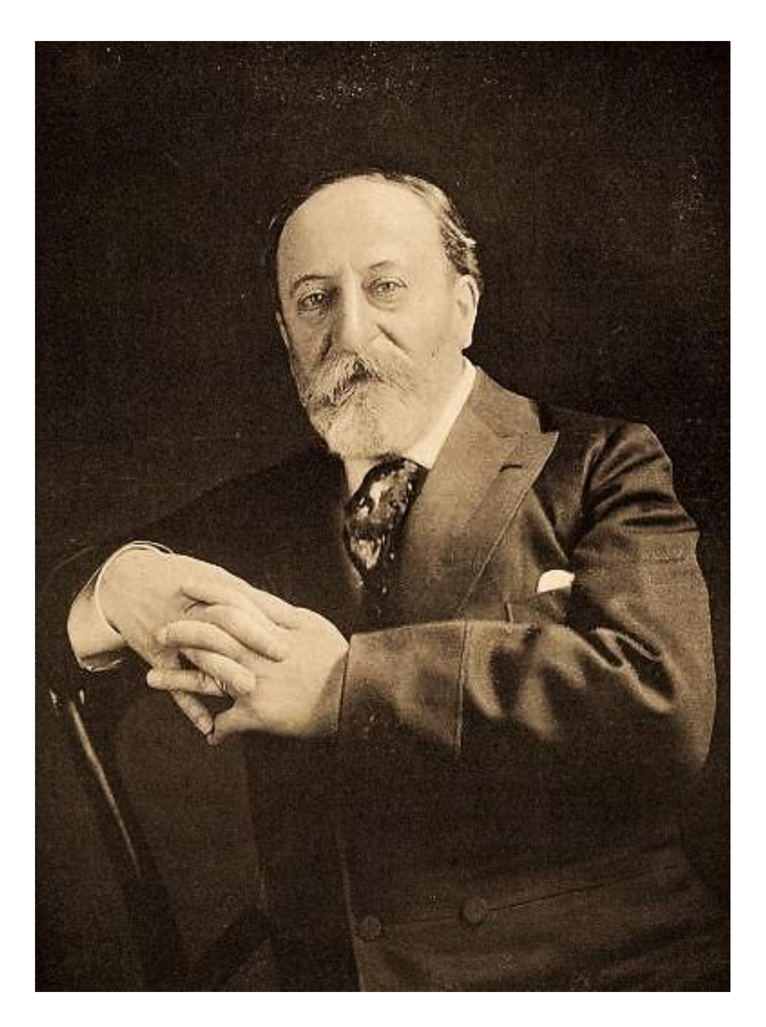


بول دوكاس

الساحر المبتدئ، "بول دوكاس".
Paul Dukas - "The Sorcerer's Apprentice"

البوق الفرنسي والأوركسترا، "بول دوكاس".
Villanelle de Paul Dukas

"شارل كامي سان صانز"، هو خير من يمثل المدرسة الفرنسية الحديثة. حياته وموسيقاه تتباين كلية مع حياة وموسيقى "فرانس". ولد في باريس عام 1835م.



كامي سان صانز

كان يعمل والده في الحكومة، توفي بعد مولده بثلاثة شهور. قبل أن يصل لسن الثالثة، كان يعرف القراءة والكتابة. في سن السابعة، كان يحفظ مفردات اللغة اللاتينية وقواعدها.

قبل أن يصل لسن الثالثة، بدأ في دراسة البيانو على يدي أخت جدته. في سن الخامسة، كتب قطعة موسيقى فالس. عند العاشرة، كان أول ظهوره أمام الجمهور، لكي يعزف مقطوعات ل"هاندل"، "باخ"، "بيتهوفن"، "موزارت". يستطيع أن يعزف أيا من سوناتا بيتهوفن ال32 من الذاكرة. حقا طفل معجزة.

الصبي المعجزة، ظل يزداد مهارة. في سن السادسة عشر، ألف أول سيمفونية له. في سن السابعة عشر، أصبح مشهورا كعازف بيانو وأورغن. بمرور الوقت، أصبحت شهرته عالمية. هو أيضا، عالم وفيلسوف وعالم رياضة وأديب، ورحالة ومؤلف موسيقي

موهوب.

كعالم وفيلسوف وأديب، له تزوق موسيقي راق. له دراسات فلسفية وفلكية. شدة اهتمامه بالفلك، جعلته يقيم مرصدا على جزر الكناري. سافر لبلاد كثيرة في أوروبا وأمريكا.

ساهم في عالم الموسيقى بمؤلفات متنوعة. استوعب بسهولة أسلوب باخ، بيرليوز، شتراوس، موزارت، هايدن. كتب مقطوعات كثيرة للبيانو والأورغن. ألف سيمفونيات جميلة، وسيمفونيات شعرية وأغاني حب. بارع في معالجة الإيقاع والهارموني. مؤلفاته تتسم بالصقل الجيد والحرفية. كما نقول بالعامية "معلم".

كان يعزف على الأورغن كمحترف في عدة كنائس. كان عزفه يذهل الباريسيين، مما لفت إليه نظر الموسيقار "ليست" عام 1866م، فقال عنه أنه أعظم عازف أورغن في العالم. ألف قطعة موسيقية مشهورة "رقصة المقابر"، وسيمفونية للأورغن "رقم 3".

رقصة المقابر ل"سان صانز".
Camille Saint-Saëns - La danse macabre

سيمفونية رقم 3 للأورغن، "سان صانز".
Op 78 - Järvi،Saint-Saëns - Symphony No 3 in C minor

من الأوبرات التي ألفها، أوبرا "شمشون ودليلة". كتب ألحانها بتشجيع من "فرانز ليست". يمكن اعتبارها أوبرا دينية. لأن قصتها تأتي من الإنجيل. ألحانها براقة ومتنوعة. مشهد الحب بين شمشون ودليلة، يصاحبه لحن جميل.

أوبرا "شمشون ودليلة" مع ترجمة إنجليزية ل"سان صانز".
"Samson & Dalila" de Camille Saint-Saëns à l'Opéra de Paris – ARTE Concert_

"سان صانز"، له قدرة رائعة على الإرتجالات على آلتي البيانو والأورغن. قد يقضي

الساعات وهو مستغرق في عالم الموسيقى لدرجة أنه ينسى جمهور المستمعين.

كان من المعجبين بشدة ب"بيتهوفن"، "موزارت"، "ليست". يمتاز بشخصية فريدة. يلقى تقديرا عظيما، ويعتبر من بين أفذاذ عصره.

في عام 1875م، عندما كان يقترب من الأربعين، تزوج من "ماري تروفت" التي كان عمرها في ذلك الوقت 19 سنة. أنجب منها ولدين. توفيا عام 1878م، في خلال ستة أسابيع.

الأول توفي بسبب المرض، أما الثاني، فقد سقط من النافذة من الدور الرابع بينما كان "سان صانز" يشاهده في هلع وهو يقترب عائدا إلى بيته. بالطبع لم يجد من يلومه سوى زوجته. بينما كانا في رحلة معها عام 1881م، هرب منها، ولم تعثر له على أثر. أخذت من المحكمة حكم انفصال عنه، ولم يحصل بينهما طلاق.

في عام 1886م، ألف "سان صانز" أشهر أعماله، "كرنفال الحيوانات"، و"السيمفونية الثالثة" للأورغون. وفاء لذكرى الموسيقار "ليست" الذي توفي في نفس السنة. بعد سنتين، توفيت والدته فغادر فرنسا إلى جزر الكناري.

كرنفال الحيوانات ل"سان صانز".
Carnival of the Animals

بعد كونشيرتو البيانو الرابع ب عشرين سنة، ألف "سان صانز" عام 1896م الكونشيرتو الخامس للبيانو تحت اسم "المصري". بينما كان يقضي أجازته الشتوية كالعادة في مدينة الأقصر، جلس في شرفة الفندق الأمامية، المطلة على النيل، يتناول قهوة الصباح.



فندق سوفيتيل ونتر بالاس بالأقصر في القرن التاسع عشر

سمع "سان صانز" لحنا خافتا يأتيه فلوكة بفرد جناح، كما يقول شاعرنا أحمد شوقي. تنساب على صفحة الماء الفضية، التي بدأ لونها في التحول إلى الذهبية مع خيوط الشمس الأولى. أنصت إلى اللحن جيدا، وعلم أنه لحن أغنية حب نوبية يغنيها المراكبي.

عاد "سان صانز" بسرعة إلى غرفته، وكتب اللحن. قبل أن يغادر الفندق، انتهى من تأليف الكونشيرتو الخامس للبيانو متضمنا اللحن المصري في الحركة الثانية.

كونشيرتو البيانو الخامس ل"سان صانز".
Saint-Saëns: Piano concerto No.5 - Thibaudet / Concertgebouw Orchestra - Live Concert HD

قضى "سان صانز" سنواته الأخيرة في السفر والترحال حول العالم. في عام 1921م، عندما نزل في فندق "الواحة" بالجزائر، أصيب بالتهاب رئوي تسبب في وفاته.

11

هاندل

صبي ألماني صغير، ظل يجري على الطريق الوعر، خلف مركبة تجرها الخيول. نظر السيد الذي كان يقود المركبة بسرعة إلى الخلف صدفة، فوجد ولده يلهث للحاق به، بالرغم من أنه كان يرفض مصاحبة ابنه معه في هذه الرحلة.



جورج فريدريك هاندل

غلبت عاطفة الأبوة على الأب، فأوقف العربة. بينما كان يلوم ابنه على عصيانه لأوامره، سمح له بالركوب، بشرط أن يلزم حدود اللياقة والأدب، خصوصا في ضيافة دوق "ساكسي ويسينفيلز"، في قلعته.

هذا هو "جورج فريدريك هاندل"، المولود في "هالي" عام 1685م، الذي كان له، هو والموسيقار "باخ"، أعظم الأثر على موسيقى القرن الثامن عشر.

منذ طفولته، وهو يرغب في دراسة الموسيقى. لكن هذه الرغبة، قوبلت بمعارضة شديدة من العائلة. لأن الوالد، كان يرغب في إعداده لكي يكون محاميا. كان الصغير هاندل، يمتلك بيانو أو أورغن صغير، يعزف عليه في غرفة صغيرة مظلمة فوق السطوح.

وصل الأب وابنه إلى القلعة القديمة. تعرف الصبي على بعض السكان الموسيقيين هناك. وجد في القلعة أورغن فخم. قبل نهاية الرحلة، جلس الصبي على الأورغن، وهو لا يعلم بحضور الدوق، وأخذ في ارتجال بعض المقطوعات الموسيقية.

سر الدوق بعزف الصبي، وقام باستدعاء الأب لسؤاله عن ميول الصبي الموسيقية. منذ تلك اللحظة، تحدد مستقبل هاندل الموسيقي. أكمل بعد ذلك دراسته الموسيقية في ألمانيا، ثم ذهب إلى إيطاليا. كان ناجحا هناك كمؤلف أوبرالي، وكعازف أورغن وهارب.

من إيطاليا، عاد هاندل إلى ألمانيا لكي يصبح ملحن بلاط لحاكم "هانوفر". بعد مدة، أخذ أجازة عمل طويلة عام 1712م، وذهب إلى إنجلترا تسبقه شهرته.

قام "هاندل" بتأسيس الأوبرا الإيطالية في إنجلترا، لأن لغتها الموسيقية تناسب الأغاني التي يفضل تلحينها. وقام بتلحين أوبرا "رينالدو"، بعد أن ترجم الشاعر "روسي" نصها الغنائي إلى الإيطالية.

لحن من أوبرا "رينالدو" ل"هاندل"، غناء "سيسيليا بارتولي".
Cecilia - bartoli lascia ch'io pianga händel rinaldo

أوبرا "رينالدو"، هي أشهر أوبرا قام بتلحينها هاندل. كانت تعرض وسط الحدائق، مع زقزقة العصافير وهي تطير من شجرة إلى شجرة. لاقت نجاحا منقطع النظير منذ اللحظة الأولى لعرضها. انتشرت ألحانها وأغانيها طول البلاد وعرضها. لحن "هاندل" أيضا قصيدة عيد ميلاد للملكة "آن"، لاقت قبول البلاط.

قصيدة عيد ميلاد الملكة "آن"، ل"هاندل".
Birthday Ode for Queen ،Handel - Eternal Source of Light Devine HWV 74 Anne 1713

بعد ذلك، بمناسبة الاحتفال بتوقيع معاهدت "أوترخت" للسلام بين الدول الأوروبية المتحاربة، في كاتيدرائية "سانت بول"، ألف "هاندل" لحنين بهذه المناسبة: "تي ديوم" و"جوبيلات". وهما لحنان أسعدا الجماهير.

"تي ديوم"، ل"هاندل".
HWV 283 (Live)،G. F. Händel - Dettingen Te Deum

"جوبيلات"، ل"هاندل".
G. F. Handel: Utrecht Jubilate (HWV 279)

كانت الملكة "آن"، ملكة بريطانيا العظمى، مريضة في ذلك الوقت. عندما استمعت لأصوات الكورس وهي تردد ألحان هاندل، أنعمت عليه بمعاش قدره 200 جنيه استرليني طوال حياته.


آن، ملكة بريطانيا العظمى، رسم مايكل داهل

كان "هاندل" لا يزال في أجازة من بلاط حاكم "هانوفر". خلال مدة غيابه عن المدينة، زارها مرة أو مرتين. لكنه كان منبهرا بإنجلترا. في عام 1714م، توفيت صديقته الملكة "آن". وخلفها على العرش حاكم "هانوفر"، الملك "جورج الأول".



جورج الأول، ملك بريطانيا العظمى

يبدو أن الملك جورج الأول، لم يكن سعيدا بترك "هاندل" له، عندما كان حاكما لهانوفر، والبقاء في إنجلترا. عندما حضر الملك لكي يتوج على العرش، قام "هاندل" بالاستعداد الموسيقي لهذه المناسبة. إلا أن الملك جورج لم يسمح له حتى بحضور الحفل.

تم التحضير لرحلة للملك جورج الأول في صندل ملكي عبر نهر التايمز. قام هاندل بتأليف موسيقى لهذه المناسبة اسمها "موسيقى الماء". وقام هو بنفسه بقيادة الفرقة الموسيقية. سر الملك غاية السرور عند سماعها. عندما علم أن هاندل هو مؤلفها، صفح عنه وأصبح الموسيقي المفضل لدى جلالته.

"موسيقى الماء"، ل"هاندل"، تسجيل جيد من اسطوانة قديمة "إل بي". من روائع الموسيقى الكلاسيكية.
2 and 3 - Hague ، 1964: Water Music - Suites 1،Handel / Pierre Boulez Nonesuch LP،Philharmonic

"موسيقى الألعاب النارية الملكية"، ل"هاندل". روعة.
George Frideric Handel - Music for the Royal Fireworks

في الوقت الذي انهارت فيه أسهم شركة البحار الجنوبية، وما تبعها من فضائح تتضمن رشاوي للسياسيين، وبطء الموسم الأوبرالي، قبل "هاندل" دعوة من دوق "شاندوس"، لكي يقود الفرقة الموسيقية للكنيسة الملاصقة للقصر في "كانونز".

كان الدوق يذهب إلى هذه الكنيسة يوميا، مصحوبا بالحرس السويسري. في أيام الأحاد، كانت الطرقات تمتلئ بالمصلين الذاهبين للكنيسة للصلاة وسماع "هاندل" وهو يعزف على الأورغن.

إلى جانب موسيقى القداس، كتب هاندل أوبرا دينية "إستر"، بمقدمتها الموسيقية المشهورة. كتب أيضا "أسيس و جالاتيا" و"أناشيد كاندوس"، 12 أنشودة دينية.

الأوبرا الدينية "إستر"، ل"هاندل".
Georg Friedrich Händel - Esther HWV 50a (1718 version)

"أسيس وجالاتيا"، ل"هاندل".
A complete version of Georg Frideric Handel's "Acis & Galatea" (Joan Owen Brannigan & David Galliver) - No. 1، Peter Pears،Sutherland

من "أناشيد كاندوس"، ل"هاندل".
2 & 3)،Handel Chandos Anthems Vol. 1 (No. 1

بعد ذلك بقليل، تقرر إنشاء أكاديمية ملكية للموسيقى، فعُيّن "هاندل" مديرا لها. من هنا بدأ نشاطه في التأليف الأوبرالي المكثف. عند افتتاح المسرح الملكي ب"هايماركت" لعرض أحد أوبرات "هاندل"، كان من الصعب الحصول على مقعد، وكانت النساء تصاب بالإغماء، وتتمزق ملابسهن الفاخرة من الزحام.

ظل "هاندل" يلحن أوبرات جديدة، بالرغم من أن إنتاج الواحدة منها أصبح باهظ التكاليف. أحد هذه الأوبرات "الإسكندر"، كتبت عن الإسكندر الأكبر المقدوني. لحنها "هاندل" لكي تغنيها "فرانسيسكا كوزوني" و "فوستينا بوردوني".

وضع "هاندل" الألحان بحيث تكون متوازنة بين المغنيتين المشهورتين. لم يكن يعرف أن الغيرة والتنافس بينهما، سوف يصبح شيئا يتحدث به الركبان.

تطورت ألحان الأغنية في إيطاليا مع تطور الأوبرا. وأصبح من العادة المبالغة في الثناء على عظمة المغني وتكريمه المادي. "كوزوني"، مغنية السوبرانو، كان لها صوت نادر. لكنها كانت قبيحة المنظر، غيورة وعنيدة.

كان "هاندل" هو نزوتها الطارئة والرجل الذي في بالها. "فوستينا"، مغنية الميزو-سوبرانو، من نبلاء البندقية بالمولد. كانت حبوبة ذات سحر ودلال وشخصية قوية.

عندما ظهرت ملكتي الغناء الأوبرالي على خشبة المسرح في أوبرا "الإسكندر"، انقسم الجمهور إلى جمهورين. الأول قابل المغنية الأولى بالهتاف والتصفيق، والأخرى بالصمت والهمس. الجمهور الثاني، فعل العكس، قابل المغنية الثانية بالهتاف والتصفيق، والأخرى بالصمت والهمس.

انتقل الخلاف إلى الشوارع، وتطور إلى درجة أن الصديقة، باتت ترفض استقبال صديقتها إذا علمت أنها تشجع المغنية الأخرى. حتى الأسرة الملكية والحاشية، دخلوا أيضا في الصراع. بالطبع أدى هذا إلى فساد الموسم وتوقف عرض الأوبرا.

لحن من أوبرا "الإسكندر" ل"هاندل"، غناء "جوليا ليزنيفا".
Handel. Alessandro. Julia Lezhneva "Un lusinghiero dolce pensiero"

بعد ذلك، كرس "هاندل" وقته لتلحين أربع أناشيد تتويج للملك جورج الثاني. في نفس الوقت، حاول إحلالا السلام بين المغنيتين "كوزوني" و"فوستينا"، وإغرائهما على الظهور معا. لكنه فشل في هذه المهمة الشاقة، وازادت العداوة بينهما إلى درجة غير مسبوقة.

أصرت "كوزوني" على أن لا يقل أجرها عن أجر منافستها جنيها واحدا. وأصرت "فوستينا" على أن يكون أجرها أكبر من أجر "كوزوني". عندما نص هاندل في عقد

"فوستينا"، على أن أجرها يزيد جنيها واحدا، نقضت "كوزوني" العقد وغادرت البلاد إلى البندقية.

أيام "كوزوني" الأخيرة كانت حزينة بائسة. فقد سجنت وفاء لدين مدني، وسمح لها بالغناء تحت المراقبة. أخيرا، توفيت وهي في حالة فقر مدقع.

أما "فوستينا"، فقد واصلت نجاحها المتألق، لا في لندن وحدها، ولكن في كل أنحاء أوروبا. تزوجت من الموسيقار "هاس". وقضيا سنواتهما الأخيرة في البندقية.

بالنسبة ل"هاندل"، فقد أدى فشل التعاون بين "كوزوني" و"فوستينا" إلى توقف عرض الأوبرا وتراكم الديون عليه. بعد ذلك واجه منافسة حادة من مدير أوبرا إيطالي، "بونونشيني". الذي كان يواظب على عرض أوبرات إيطالية موازية.

في عام 1728م، ظهرت أوبرا منافسة بعنوان "الشحاتون". البطل فيها، قاطع طريق، والأوبرا فكاهية تسخر من حماقة الناس حاليا. الموسيقى كانت عبارة عن توليفة من الأغاني الإنجليزية والإسكتلندية الشعبية.

نالت أوبرا "الشحاتين"، كأوبرا خفيفة فكاهية، إعجاب كل الناس. وكان الجمهور يترك أعمال "هاندل" ويذهب لمشاهدة أوبرا "الشحاتين"، أصبح "هاندل" على وشك الإفلاس. لكن البلاط الملكي هب لمساعدته في محنته.

أصبح "هاندل " عصبي المزاج. باروكته الضخمة، التي كانت تهتز عندما كانت الأمور تسير على ما يرام، كانت تثير السخرية في بعض الأحيان. أمراء ويلز، كانوا، يلومون السيدات عندما كن يثرثرن بدلا من أن ينصتن. فيجيبن قائلات: "صهن، ألا ترون باروكة هاندل".

أخيرا، أثر القلق والمشاكل المالية على صحة هاندل وعلى عقله. أصيب بالشلل النصفي. لكن بعد تناوله العلاج في "أيكس لي بينز"، شفي من مرضه واسترجع عافيته.

هو الآن عمره 54 سنة. قرر التخلي عن تأليف الأوبرات، والتفرغ لتلحين الأوبرات الدينية. مثل "مايكل أنجلو" في الفنون التشكيلية، كان "هاندل" يحب قصص الملاحم، وقصص الإنجيل.

من أوبرات "هاندل" الدينية، "إسرائيل في مصر". معروفة باحتوائها على عدد كورسات يبلغ 28. الوباء في الأوبرا يظهر بصورة واقعية. نستطيع سماع أزيز الحشرات وصوت ارتطام الأحجار. تشعر بحلول الظلام فوق البلاد، وقوة انتقام الرب من فرعون.

"إسرائيل في مصر"، ل"هاندل" كاملة.
Israel in Egypt (G. F. Handel)

"إسرائيل" هنا هو النبي يعقوب، والأوبرا تصور معانات اليهود في مصر، كما يصورها الإنجيل. في أحد المشاهد، تسمع أنات اليهود في القيظ تحت لهيب الشمس.

تتباين مع الألحان الميلودي الرقيقة التي تعبر عن الظلال والمزارع. وتسمع تلاطم أمواج البحر عند عبور العبرانيين. هذه بعض الموسيقى التصويرية التي تجدها في الأوبرا الدينية الفاخرة هذه.

G.F. Händel Israel in Egypt HWV 54 - Chor: "The Lord shall reign"

ألف "هاندل" أوبرا دينية أخرى بعنوان "المسيح"، تعتبر من أعظم الأعمال الموسيقية في العالم. دعي هاندل إلى مدينة "دوبلن". هناك، رجته ثلاث جمعيات خيرية لكي يؤلف لها عمل موسيقي، يساعدها على جمع التبرعات.

بدأ "هاندل" العمل، بعد أن اقترح صديق له الموضوع. خلال 24 يوما، تم تأليف ألحان "المسيح" بالكامل، وهي أوراتوريو، أي أوبرا دينية. أول عرض للعمل الجبار، كان في مدينة "دوبلن" بإيرلندا عام 1742م.

الإعلانات كانت تنصح النساء بالحضور بدون أطواق، التي توضع داخل الملابس، والرجال بدون السيوف، تخفيفا من حدة الزحام المتوقع. الصالة، عند الافتتاح، كانت مكتظة عن آخرها.



نبات الشمروك يتوسط علم إيرلندا

الموسيقى لمست قلوب الإيرلنديين وعقولهم.
فقاموا بتتويج "هاندل" بنبات "الشمروك" رمز
إيرلندا.

ثم منحوه مفتاح المدينة في صندوق من الذهب الخالص قيمته تقدر ب400 جنيها
استرلينيا في ذلك الوقت. عربته كانت تسير في موكب في الشوارع، يتقدمها 200
طالب.

"المسيح" كاملة، ل"هاندل"، المايسترو "سير كولن دافيس".
Handel - conducted by Sir Colin Davis،Messiah - A Sacred Oratorio

بعض ألحان الأوبرا، تعتبر جواهر لا تقدر بثمن. أصوات الكورس، وهي تمجد الرب،
ليس لها مثيل في أي عمل موسيقى سابق أو لاحق. قال "هاندل" عن هذا العمل:
"أعتقد أنني قد رأيت الجنة أمامي والرب نفسه". وكان يسميها "الأوراتوريو المقدسة".

لذلك، ملكت قلوب العالم منذ تأليفها. عند عرضها أول مرة في لندن، وقف
المستمعون جميعا ومعهم الملك جورج الثاني، أثناء أداء الكورس لحن "هاليلويا"،
وأصبح هذا التقليد مرعيا إلى اليوم.

يبين "هاندل" في هذا العمل، وفي كل أعماله، أنه ملك فن الطباق الموسيقي
والتعبيرات الموسيقية المتنوعة. الأوبرات الدينية، بسبب نقص أحداثها ومشاهدها،
تعتمد على الكورس. الكورس هنا، يجب أن يعمل عمل الأحداث والمشاهد.

أوراتوريو "المسيح"، ألفت أصلا كعمل خيري لجمع التبرعات، خلال حياة "هاندل" وإلى
يومنا هذا، تؤدى بغرض المساهمة في الأعمال الخيرية. ليس هناك عملا موسيقيا
آخر، جمع مثل هذا العمل من أموال لمساعدة الفقراء وبناء المستشفيات والمدارس
والملاجئ للأيتام.

قام "هاندل" بعمل أوبرات دينية أخرى، مثل: "سول"، شمشون"، "يهوذا ماكابايوس"، "سليمان"، "جيفتا". الأخيرة ألفها عام 1752م. عندما تخلى "هاندل" عن تأليف الأوبرات العادية، وكرس وقته للأوبرات الدينية، عادت إليه الشهرة والثراء. خلال أيامه الأخيرة، قام بتسديد ديونه، وكون ثروة كبيرة مقدارها 20 ألف جنيه إسترليني في ذلك الوقت.

لكن الأيام السعيدة لا تدوم. ففي سنواته الأخيرة، أصيب "هاندل" بالعمى. وكان لايزال يقاد إلى كرسيه أمام الأورغن، لأن الشجاعة لم تكن قد تخلت عنه بعد.

أثناء عرض أوبرا "شمشون"، المغنية التينور كانت تغني بإحساس عميق جملة: " كسوف كلي، فلا شمس، ولا قمر. بل ظلام تام يطفئ وهج البدر". هنا ظهر على وجه الأستاذ الضرير مسحة من الحزن، جعلت الكثيرين يبكون.



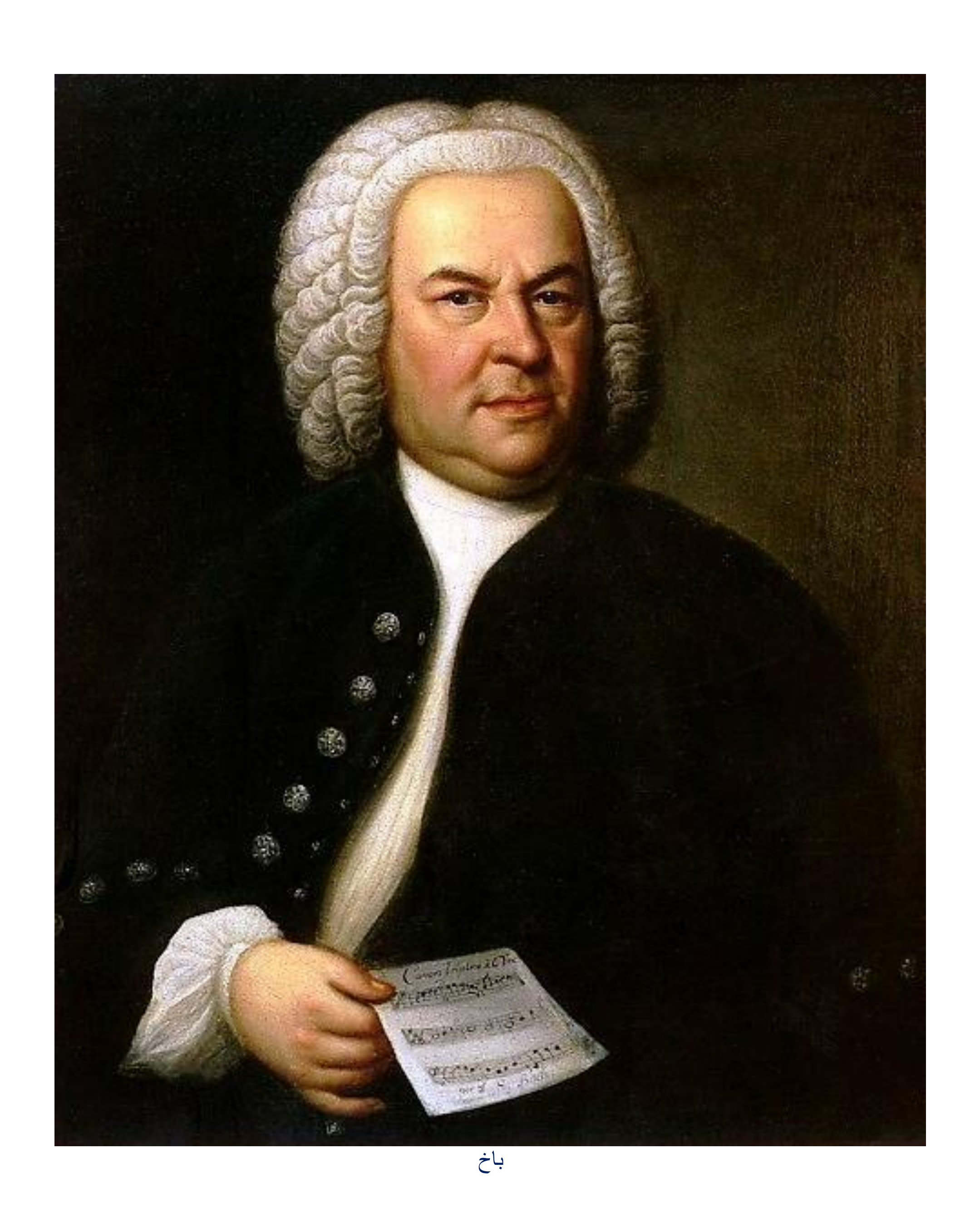
كسوف كلي

أثناء مرضه الأخير، كان يأمل أن يموت يوم الجمعة الحزينة. لكن وفاته جاءت ليلة عيد الفصح، عام 1759م. حضر الجنازة ثلاثة آلاف مشيع، ودفن جثمانه في قسم الشعراء ب"دير وستمينستر".

زار "بييتهوفن" قبره، فقال عنه: "هو الملك في مملكة الموسيقى. سوف أحني قامتي وأركع أمام قبره".

12

باخ



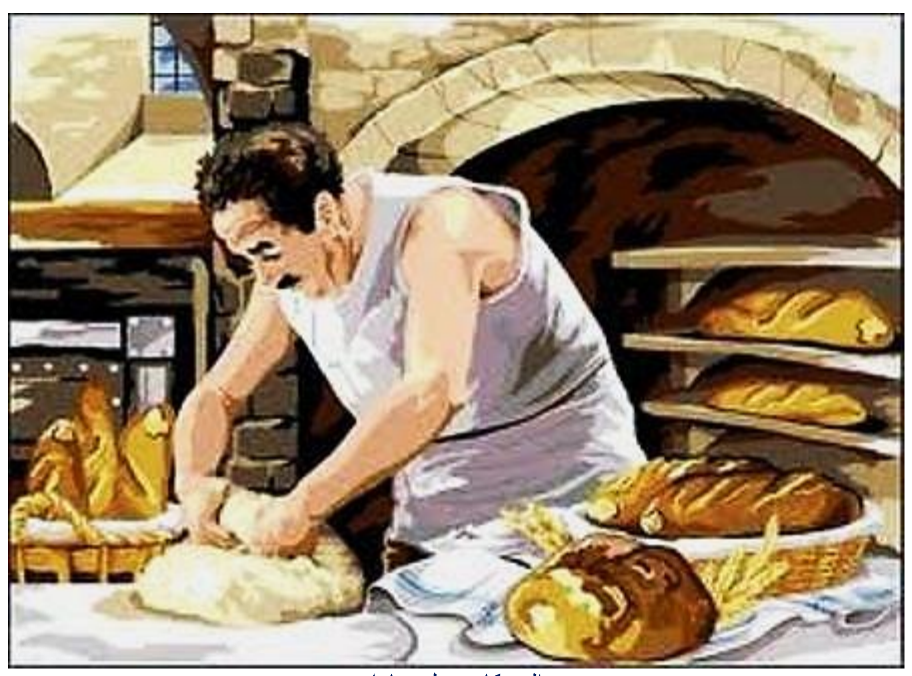
باخ

طلب أحد ملوك الهند أن يتعلم الموسيقى. فبحثوا له عن أمهر وأحسن الموسيقيين في البلاد، في ذلك الوقت، لكي ينال هذا الشرف الرفيع.

وقف الموسيقي أمام الملك وقال له:
الموسيقي - أمرك يا مولاي
الملك - أريد أن تعلمني الموسيقى
الموسيقي – لي شرط قبل أن نبدأ
الملك – ما هو؟
الموسيقي – أن يكف مولاي عن سماع الموسيقى الرديئة التي يسمعها الآن لمدة عامين، وقد نحتاج إلى مدة أطول.

إذا كان هناك شئ يسمى "الاستعداد الفطري"، أو الوراثي، فهذا ما يظهر وسط عائلة "باخ". ستة أجيال متعاقبة، من النادر ألا نجد بينها إثنين أو ثلاثة أفراد، ليست لهم موهبة موسيقية، أو من لم يجعلوا من الموسيقى حرفة لهم.

"فيت باخ"، الجد الأكبر لهذه العائلة المشهورة، كان يعمل خبازا في "بريسبرج" بالمجر.



الجد كان يعمل خبازا

عندما بدأت القلاقل الدينية في القرن السادس عشر، بحث عن بلد آخر لكي يعيش فيه في سلام. استقر به المقام في قرية "تورينجيا" بالقرب من "جوتا" بألمانيا، وأخذ في ممارسة مهنته في الطحن والخبز.

في وقت فراغه، كان يسلي نفسه بالعزف على الناي، وسط ضجيج وصخب الزبائن ودوي حجر الطاحونة الدائر. حبه للموسيقى، انتقل إلى ابنين وأولادهما. مع مرور الوقت، أصبحت عائلة "باخ" تشمل الكثير من الموسيقيين المحترفين، مرتلين، عازفي أورغن، وعازفي ناي، إلخ.

لم يكن كل موسيقي العائلة عباقرة. لكن في كل جيل، كنا نجد بينهم موسيقي واحد على الأقل متميز. في النصف الأول من القرن السابع عشر، ثلاثة من أحفاد "فيت باخ"، أظهروا تميزهم الموسيقي، مما جعل كونت المنطقة، يقوم بإرسالهم، على نفقته الخاصة، إلى إيطاليا. لكن لم تحفظ أعمالهم الموسيقية.

الجيل الرابع من العائلة، أنتج موسيقيين مميزين. حفظت أعمالهم لنا عن طريق الحفيد "جوهان سيباستيان باخ". من هؤلاء:

"جوهان كريستوف باخ"، عازف أورغن البلاط وموسيقي مدينة "أرنستات".
Johann Christoph Friedrich Bach Sinfonia in E

"جوهان مايكل باخ"، عازف أورغن وموظف بالمدينة.
Johann Michael Bach - Cantata - Das Volk، so im Finstern wandelt

"جوهان بيرنارد باخ"، عازف أورغن وموسيقي المدينة.
Johann Bernhard Bach: Ouverture-Suite No.1 in G minor

ولد "جوهان سيباستيان باخ" عام 1685م، في مدينة "إيزنباخ". والده "جوهان أمبروسيوس باخ"، كان موسيقي البلاط والمدينة.

لعدة أجيال، كانت عائلة "باخ"، تكون فيما بينها نقابة موسيقية. في كل عام، كان يجتمع أفراد العائلة، في مدن مختلفة، لاحتفال يستمر مدة يومين. الاحتفال كان يقام في الكنيسة، وكل عضو كان يعزف على آلته المفضلة. وكانوا يغنون جميعا كجوقة. ثم

يودعون بعضهم في نهاية الاحتفال بالدموع، ويتواعدون على المقابلة في العام القادم.

من الذكريات السعيدة التي يذكرها باخ، كانت عندما يذهب مع والده إلى أحد هذه الاحتفالات السنوية. لكنه للأسف، فقد والديه الإثنين في نفس العام، وهو لم يتجاوز بعد العاشرة من عمره.

عندما جاء الأخ "كريستوف"، عازف الأورغن، إلى "أوردروف"، لكي يحضر جنازة والده، قرر تبني الصغير جوهان. انتقل جوهان إلى منزل أخيه، وحمل معه الشئ الذي يحبه، أكثر من أي شئ آخر، كمان والده. وكان داخل غطاء أخضر، قامت أمه بغزله خصيصا لهذا الغرض.

الأخ كريستوف كان كريما مع أخيه الصغير. أرسله للمدرسة وكان يدربه على العزف. لكن الزوجة كانت تكره ضوضاء التدريب الموسيقي. لذلك، كان مسموحا لجوهان بالعزف ساعة واحدة كل يوم. حكم القوي على الضعيف. في بعض الأحيان، كان يهرب إلى الغابة ومعه الكمان. وعندما يعود، كان يعاقب لعصيانه الأوامر.

كان لدى الأخ كريستوف مكتبة موسيقية، يحفظها داخل دولاب مغلق. وكان يضع المفتاح في جيبه. كان من النادر أن يطلع أخيه على هذه الكنوز الموسيقية. مع مرور الوقت، ازداد شغف جوهان لمعرفة ما تحتويه هذه النوت الموسيقية المحفوظة في الدولاب.

في أحد الليالي، عندما كان الكل نياما، تسلل إلى الدولاب، وبطريقة ما، توصل إلى ما بداخله. سحب أحد الكتب، وفي ضوء القمر، ولم يكن يجرؤ على إشعال شمعة، خوفا من إيقاظ أخيه أو زوجته، كان يجلس على حافة النافذة، ويأخذ في نسخ النوت الموسيقية.

لكن، واحسرتاه، بعد شهور من النسخ بدقة، اكتشف الأخ كريستوف ما فعله جوهان، فأخذ منه كل النسخ التي معه، والتي تسببت في ضعف بصره، وربما كانت السبب في إصابته بالعمى في سن متأخرة.

جوهان كان منذ صباه، يمثل الألماني الأصيل، كما يقول جوته. بمعنى أنه يفضل العمل والتعلم، على المتعة وإضاعة الوقت.

ظل في رعاية أخيه حتى سن الرابعة عشر. بعد وفاة أخيه، حمل كمانه في غطائه الأخضر، وذهب في رفقة زميل دراسة إلى مدينة "لونيبورج" على بعد 12 ميلا. هنا، كما في كل المدن الألمانية، الموسيقى شئ هام جدا.

صوت الصبي جوهان العذب ومقدرته الساحرة على العزف، فاجأت سكان المدينة. فأوكلوا إليه قيادة الكورس.

سددوا له مصاريف التعليم، وسمحوا له بالنوم في غرفة الأورغن، وفي بعض الأحيان، كان يحصل على سلطانية حساء وقطعة خبز.



في بعض الأحيان يحصل على سلطانية حساء وقطعة خبز

في أحد أيام الأجازات، أخذ كمانه وغادر إلى "هامبورج"، على بعد 100 ميل، لكي يستمع إلى عازف الأورغن "رينكين". أثناء السفر، كان ينام في الهواء الطلق أو في حظائر الحيوانات، وكان يعزف في الحانات نظير وجبة تقيم أوده.

مدينة هامبورج في ألمانيا

لكن كل هذا العذاب يهون، في سبيل سماع الموسيقى الرائعة التي تملأ قاعة الكاتيدرائية. يقال أن الصبي لفت نظر عازف الأورغن الشهير "رينكين"، فأخذ يعلمه بعض أسرار العزف. ثم عاد إلى "لونيبورج" بعد أن استقر عزمه على تكريس باقي عمره لموسيقى الأورغن.

عندما بلغ باخ من العمر 18 سنة، جاءه عرض لكي يكون عازف أورغن في كنيسة "أرنستادت" عام 1703م، بمرتب 40 دولارا في السنة. لكنه لم يستمر في هذه الوظيفة مدة طويلة. لأنه في أحد المرات، ترك الكنيسة بدون إذن، وذهب إلى "لوبيك" لكي يستمع إلى "بوكستيهود"، أعظم عازفي الأورغن في عصره.

كما أنه، في أحد المرات، أحضر خطيبته، التي أصبحت زوجته فيما بعد، إلى الكنيسة، وسمح لها بالعزف على الأورغن. مما جعل الناس تصاب بالرعب في ذلك الوقت.

بعد عام واحد، زار "فايمار" وعزف على الأورغن أمام الدوق، الذي كان مسرورا بعزفه، فعرض عليه وظيفة عازف الأورغن بالبلاط، التي قبلها عن طيب خاطر. هنا كانت فرصته لإظهار عبقريته الموسيقية.

أخلص باخ لعمله، وتمكن من آلة الأورغن. هنا في "فايمار"، كتب أعظم مؤلفاته للأورغن.

سيمفونية من كانتاتا 29، ل"باخ".
Midnight at Notre-Dame - Sinfonia from Cantata BWV 29

سيمفونية من كانتاتا 169، ل"باخ".
Bach - Organ Sinfonia from Cantata No. 169

باخ، كانتاتا 147.
Joy Of Man's Desiring، Jesus،Johann Sebatian Bach - Cantata BWV 147

باخ، مينيويت "In G"، عزف على الجيتار.
Bach - Minuet in G major (Classical guitar)

مقطوعة موسيقية رائعة لباخ.

J. S. Bach - Ouverture No. 3 in D Major "Air" BWV 1068

مقطوعة أخرى لباخ بعنوان "لترعى الأغنام في أمان".
BWV 208، 'Sheep May Safely Graze'،Cantata Nº 208



لترعى الأغنام في سلام

جماهير من كل أنحاء ألمانيا، كانت تحضر خصيصا لحضور الاحتفالات الموسيقية، وتعود لكي تخبر الباقين عن باخ وموسيقاه. لذلك، كانت توجه له الدعوات للعزف في مدن مختلفة.

كان باخ على علم ودراية بآلة الأورغن وكيفية تصنيعها. لذلك، كان صانعي الأورغن من كل أنحاء ألمانيا، يأتون إليه لأخذ رأيه وسماع ملاحظاته.


أغسطس الثاني حاكم ساكسونيا

قام باخ بزيارة بلاط "أوغسطس الثاني" حاكم ساكسونيا، لكي يقبل التحدي ومنازلة "مارشاند"، عازف الهارب المشهور، وعازف أورغن البلاط في "فيرساي".

حضر جمهور غفير لسماع المنافسة في العزف بين العملاقين اللذين ملأت شهرتاهما الآفاق. الكل في انتظار بدء المباراة، وإذا ب "مارشاند" يختفي من المشهد، وكأنه، على رأي المثل، "فص ملح وداب". لقد خشي أن يعزف أمام العظيم باخ.

تقدم أسلوب وصيغ الموسيقى الغربية، أخذ وقتا طويلا. مما لا شك فيه، قد ساهم كلا من "باخ" وهاندل" في هذا التقدم. على سبيل المثال، وظف باخ كل أصابع اليدين في العزف، بدلا من أربع أصابع من كل يد كما كان متبعا من قبل. كما أنهما، باخ وهاندل، قد أدخلا تطويرا هاما على الميلودي والهارموني بالنسبة للموسيقى الغربية بصفة عامة.

بعد مضي 9 سنوات في "فايمار"، قبل "باخ" عرضا من الأمير "ليوبولد" لكي يصبح موسيقي البلاط في مدينة أفهالت كوتن. كان الأمير مهووسا بباخ. كان يرافقه في رحلاته، وكان باخ ينعم بمرافقة الأمير.

هنا، كانت جهود باخ موجة إلى التأليف للأوركسترا. ألف الكونشيرتو والسوناتا والمتتابعات. وقام بزيارة "رينكين" العجوز في "هامبورج"، الذي قارب سنه على المائة.

عندما استمع "رينكين" لعزف باخ على الأورغن، انهمرت الدموع من عينيه، وقال: "كنت أظن أن هذا الفن سيموت بموتي، لكنك ستبقيه حيا". ثم ترك باخ هامبورج وأخذ معه ذكريات جميلة لهذا العجوز النبيل.

حاول مقابلة "هاندل"، وهو الآخر عملاق بين المؤلفين الموسيقيين. ومن الغريب أنهما لم يلتقيا حتى الآن. لقد ولدا في نفس السنة. كل منهما أستاذ في تعدد الأصوات الموسيقية.

كلاهما مغرم بآلة الأورغن، وكلاهما كان له تأثير خطير على الأجيال القادمة، كما أنهما أصيبا بالعمى في نهاية حياتهما. باخ كان موسيقي الموسيقيين. هاندل، موسيقي الجماهير الغفيرة والمهرجانات.

عند عودته من رحلة مع راعيه الأمير، جاءت الأخبار المحزنة بوفاة زوجته المخلصة. بعد ذلك بعامين، تزوج ثانية . الزوجة الثانية كان لها صوت سوبرانو رائع، وكانت تساعدة دائما في نسخ النوت الموسيقية. علمها العزف على البيانو.

أنجب باخ 20 طفلا، ومن عاش منهم إلى سن البلوغ، صار موسيقيا. في عام 1723م، انتقل باخ إلى "ليبزيك"، لكي يعمل مدرس موسيقى في مدرسة "سان توماس". تلاميذه، كانوا يغنون في الكنائس المختلفة، وثلاثة أيام كل أسبوع، كانوا يقومون بالتراتيل في الشوارع. باخ نفسه، كان يعزف على الأورغن في كنيسة "سان توماس" البروتستانتية.

في هذه الوظيفة، استمر باخ 27 سنة، إلى أن وافته المنية. كانت سنوات تتسم بالإنتاج الوفير. لكن الأجر كان قليلا. مرتبه السنوي كان لا يزيد عن 65 دولارا في السنة، أي حوالي 5 دولارات في الشهر، أو أكثر قليلا. بالإضافة إلى أجر إضافي من الأفراح والجنازات والحفلات الموسيقية. يشمل أيضا، المسكن ولوازمه من الحطب والقمح والشموع.

كان عقده مع الكنيسة، ينص على أن تكون تآليفه الموسيقية، غير أوبرالية، وينبغي أن تشجع على الإيمان، وأن تكون الأغاني قصيرة غير مملة.

كان هناك بالطبع منافسون لباخ. وكان يحاول دائما الحفاظ على وظيفته بكل كرامة. هنا كتب أعظم مؤلفاته.

Mass in B minor،Bach
BACH - MASS IN B-MINOR - KARL RICHTER (Quoniam tu solus Cum Sancto Spiritu)،sanctus

Christmas oratorio،Bach
Bach Christmas Oratorio - Royal Concertgebouw Orchestra Christmas Matinee

Magnificat،Bach
J.S. Bach Magnificat Ton Koopman BWV 243 Full album Lyrics – ArcaDellaMemoria

Chorale Cantata 80،Bach
Bach Cantata 80،UCLA Chorale

هذه موسيقى كريسماس لكل العصور. منذ التراتيل اللاتينية إلى ألحان المزامير الألمانية. لكن أهم مؤلفاته الموسيقية، هي الموسيقى العاطفية التي تمجد الرب. ألف منها 5 قطع.

هنا أيضا، ألف باخ موسيقى للهارب. أشهرها.

Bach، Well Tempered Harpsichord
Book 1 ،Wanda Landowska plays WTC Bach The Well Tempered Clavier (Harpsichord)

الآن آلتي الهارب، الفيرجينال والسبينيت، لم تعد من الموضة. وحلت محلهما آلة البيانو. كتب باخ موسيقى راقصة لهذه الآلة الجديدة. وظل المعلم والأستاذ يعمل بإخلاص، عاما بعد عام.

كان رجلا حسن الطباع رقيق المشاعر، مسيحي بروتستنتي ملتزم. منزله كان مليئا بالبهجة، ومركزا موسيقيا لباقي المؤلفين. حياته اليومية هي حياة رجل ريفي بسيط.

يعتني بحديقته الصغيرة، مستعد للمرح طول الوقت مع أطفاله، أو يترك مؤلفاته الهامة لكي يساعد زوجته في غسل الأطباق وتقشير البصل. أثناء الليل، عندما يخلد الجميع للنوم، كان يتريض بالمشي وحيدا مسافات طويلة. كانت غالبا ما توحي إليه بأنغام جديدة.

في بعض الأحيان، كان يرحل إلى مدن أخرى لحضور اجتماع موسيقي، وكان يرافقه في كثير من الأحيان، أحد أطفاله. ابنه "إيمانويل"، كان موسيقيا في بلاط الملك "فريدريك الأكبر".



فريدريك الأكبر

قبل وفاته بثلاث أعوام، دعي باخ إلى برلين لزيارة "فريدريك الأكبر".

"فريدريك"، كان رجلا محبا للفن والموسيقى والآداب. وكانت متعته في أن يجمع في بلاطه كل الأضواء المنيرة في أوروبا في ذلك الوقت، من فنانين وموسيقيين وشعراء وأدباء.

عندما وصل باخ، كان هناك حفل موسيقي والأوركسترا تعزف. الملك فريدريك نفسه، كان يستعد للعزف على آلة الناي. علم بقدوم باخ، فوضع الناي جانبا وقال للمستمعين: "سيداتي وسادتي، باخ هنا". وطلب منه قبل أن يغير ملابسه أن يصعد

إلى المسرح ويعزف على الأورغن. بعد العزف، صرخ الملك في إعجاب، قائلا: "لا يوجد إلا باخ واحد".

في أيامه الأخيرة، ضعف نظره جدا. وكان يشتكي من ضعف البصر منذ كان يقرأ النوت الموسيقية في ضوء القمر. مع مرور الوقت، فقد بصره نهائيا. وبالرغم من ذلك، كان لا يزال يعزف على الأورغن في كنيسة "توماس"، ويسعد الحضور.

أخيرا، عندما بلغ الخامسة والستين من العمر، توفي بسبب حمى ألمت به عام 1750م. عائلته كانت فقيرة جدا، لدرجة أنها لم تستطع تجهيز صليب وحجر لكي يوضع على قبره. دفن في كنيسة القديس يوحنا ثم نقل ما تبقى من رفاته عام 1894م، إلى كنيسة "سان توماس" ولاءً وتقديرًا لمكانته الكبيرة.

أعماله تنقسم إلى ثلاث مراحل: في "فايمار"، حيث كرس وقته كله للأورغن. في "أنهالت-كوثين"، أعماله للأوركسترا. في "ليبزيك"، إبداعه الموسيقي وأروع أعماله.

أشهر أعمال باخ، أرجوا أن تستمع إليها كلها.
Bach - The Very Best Of (CD 1)
Bach - The Very Best Of (CD 2)

أعمال باخ كانت سابقة لعصره. كان عليها أن تنتظر ظهور "موزارت" و"بيتهوفن" و"شوبرت" و"منديلسون"، لكي تنال حق قدرها. لقد أصبحت أعمال باخ، موديلات يحتذي بها الموسيقيون الألمان لاحقا. سوف تبقى ألحانه حية، طالما امتزجت مع القلوب والأصوات، وهي تسبح وتمجد الرب في علاه.

13

جلوك

صورة "كريستوف ويليبالد جلوك"، بملابسه ووجهه المشرق، يدلان على الوقار وقوة الشخصية، والعواطف الجياشة والقوة البدنية.



جلوك

ولد "جلوك" في "ويدينويج" جنوب ألمانيا عام 1714م. والده كان يعمل ك"شريف"، أي مسؤول أمن، في خدمة الأمير "لوبكو ويتز". هذا يعني أنه لم يكن ميسور الحال. بالرغم من ذلك، قرر أن يعلم ولده "كريستوف".

في مدينة مجاورة، كان يوجد "مدرسة يسوعية". أُرسل إليها "كريستوف"، عندما كان سنه 12 سنة، لكي يقضي هناك 6 سنوات. رهبان المدرسة لاحظوا ذكاء "كريستوف"، لكن لم يكن في مقدورهم التنبؤ بمستقبله الباهر.

سرعان ما اكتشفت المدرسة غرام جلوك بالموسيقى. سمح له بدراسة الكمان والهارب والأورغن. كان "كريستوف" سعيدا جدا وممتنا لدرجة أنه كان مستعدا لتكريس نفسه للكنيسة صاحبة المدرسة.

ترك كرستوف المدرسة عندما بلغ سن الثامنة عشر، لكي يتم دراسة الموسيقي في براغ. هناك، قضى أربع سنوات من عمره. كان من الصعب الحصول على نقود تكفي أجر مدرسيه.

لكنه كان يتحايل على ذلك، بالتدريس لبعض الطلبة، والعزف على الكمان في المراقص والأسواق. في بعض الأحيان، كان يقيم حفلا موسيقيا في القرى المجاورة.

أخيرا، في عام 1736م، ذهب "كريستوف" إلى فيينا، لكي يجرب حظه هناك. عندما وصل إلى المدينة الموسيقية فيينا، قام باستدعائه، الأمير "لوبكو ويتز". الأمير كان يتذكر "كريستوف" الصبي، عندما كان الوالد يعمل في خدمته، ويتذكر ولعه بالموسيقى.

قام الأمير "لوبكو ويتز" بتقديم "كريستوف"، إلى الأمير الإيطالي "ميلزي"، الذي تصادف وجوده في زيارة لمدينة فيينا. أعجب "ميلزي" بشخصية "كريستوف جلوك"، فقام بدعوته إلى ميلانو، وعرض عليه وظيفة مدير فرقته الموسيقية الخاصة.

هناك، وجد جلوك سعادة بالغة. فقد كان العزف يتم في فيلا الأمير "ميلزي"، التي تطل على بحيرة "كومو" ذات المياه الزرقاء والحدائق الغناء الساحرة، التي تذكرنا

بأساطير اليونان القديمة وآلهة وإلهات الأوليمب. هذه الذكريات، وضعها فيما بعد في عمله الموسيقي بعنوان "أرميدي".

لحن من أوبرا أرميدي ل"جلوك".
C. W. Gluck - Armide: Act 5: Les Plaisirs Ont Choisi Pour Asile

بعد أوبرا "أرميدي"، بدأت شهرته في الازدياد، حتى وصلت إلى أسماع الشاعر "ميتاستاسيو"، فبدأ يكتب له أشعار أوبرات جديدة. الإنجليز بدورهم، سمعوا عن شهرته في إيطاليا، فدعوه عام 1745م لزيارة لندن، لكي يلحن أوبراتين هناك. لكن النتيجة كانت الفشل التام، لجهد جلوك.

ربما لأن الإنجليز لم يكونوا يستسيغون في ذلك الوقت الأوبرا الإيطالية. بجانب كون موسيقى "هاندل"، هي السائدة في ذلك الوقت. كان "هاندل" يصف أوبرا "جلوك" بأنها كريهة، وكان يقول بأن جلوك يعرف في التأليف الأوبرالي قدر معرفته في أصول الطبخ.

لكن لحسن الحظ، كان "جلوك" رجلا حكيما. تعلم كثيرا، لا من نقد "هاندل" القاسي له، ولكن من دراسته لأعمال "هاندل" نفسه. وتيقن أنه لم يكن يبذل ما فيه الكفاية في عالم التأليف الأوبرالي.

بعد الفشل الذريع في لندن، قرر "جلوك" زيارة عواصم أوروبية مختلفة. لكي يتعلم قدر ما يستطيع من أساتذة الموسيقى هناك. كان مهتما بالأسلوب الخطابي في الأوبرا الفرنسية، والتوزيع الأوركسترالي في ألمانيا، والألحان الميلودي الإيطالية.

في عام 1748م، استقر به المقام في فيينا. ظل "جلوك" لعدة سنوات، يدرس اللغة والأدب وعلاقتهما بالموسيقى بصفة عامة والأوبرا بصفة خاصة. وبينما كان يعمل ويدرس، كانت الأفكار تتزاحم في رأسه. لم يعد معجبا بأوبراته السابقة.

وقع جلوك في غرام ابنة رجل غني يعمل بالبنوك. لكن الأب، لم يوافق على زواج ابنته من ملحن موسيقى، لايزال في أول الطريق. من ثم، كان عليه الانتظار حتى وفاة الأب لكي يتم الزواج. ثبت بعد ذلك، أنه كان زواجا سعيدا.

لم ينجب "جلوك" من زواجه هذا، فقام بتبني ابنة أخيه "ماريان". كانت تحب موسيقى عمها، وتغني ألحانه بصوت جميل، كالطائر الغرد. لكنها توفيت وهي في أول سن الشباب. بالطبع كانت صدمة عميقة لأبويها بالتبني.

استمر جلوك في تلحين أوبرات جديدة. كانت تعرض في فيينا، نابولي، وروما. بابا روما كان معجبنا بأوبرتين منهما. منح "جلوك"، وسام الفرسان الذهبي. من ثم، أصبح يدعى "الفارس جلوك". وبدأ اسمه يتصدر كل أوبراته في الإعلانات.

الإمبراطورة "ماري تيريزا"، كانت تدعوه عدة مرات في مناسبات موسيقية. بعد ذلك، أصبح موسيقي إنشادها الديني. موسيقاه كانت تعزف في البلاط، مع خلفية مناظر خلابة. كذلك، الباليه تأليفه "دون جيوفاني".

مشهد من باليه "دون جوفاني" لجلوك.
Thierry Malandain - musique : Christoph Willibald Gluck - décor et costumes : Jorge Gallardo - conception lumière : Jean-Claude Asquié - Malandain Ballet Biarritz - 2005

"دون جوفاني" كاملة، ل"جلوك".
DON JUAN OU LE FESTIN DE PIERRE، Wq. 52 (Don Juan، or the Stone Guest's Banquet)، ballet for orchestra، by Christoph Willibald Gluck.

طلبت الملكة من جلوك أن يعلم ابنتها "ماري أنطوانيت" الغناء. وكانت الابنة "ماري" تناديه، "عزيزي جلوك". "ماري أنطوانيت"، سوف تتزوج في المستقبل من "لويس السادس عشر"، ملك فرنسا، الذي أعدم هو وزوجته "ماري" بالمقصلة، إبان الثورة الفرنسية.

بمناسبة زواج "جوزف الثاني"، لحن "جلوك" أوبرا "أورفيوس ويوريديسي". في هذه الأوبرا، تبع جلوك التقاليد القديمة، واختار موضوعها من الأساطير الإغريقية.

"ماريا كالاس" في دور "أورفيوس" ينعي زوجته وحبيبته "يوريديسي" بعد موتها، لحن رائع ل"جلوك".

- "Orphée et Eurydice، Act 4: "J'ai perdu mon Eurydice" (Orfeo) (feat. Georges Pretre)" by Maria Callas، Orchestre National de la Radiodiffusion Française، Georges Prêtre

أوبرا "أورفيوس ويوريديسي" كاملة ل"جلوك".
Gluck - Orfeo ed Euridice (Leppard)

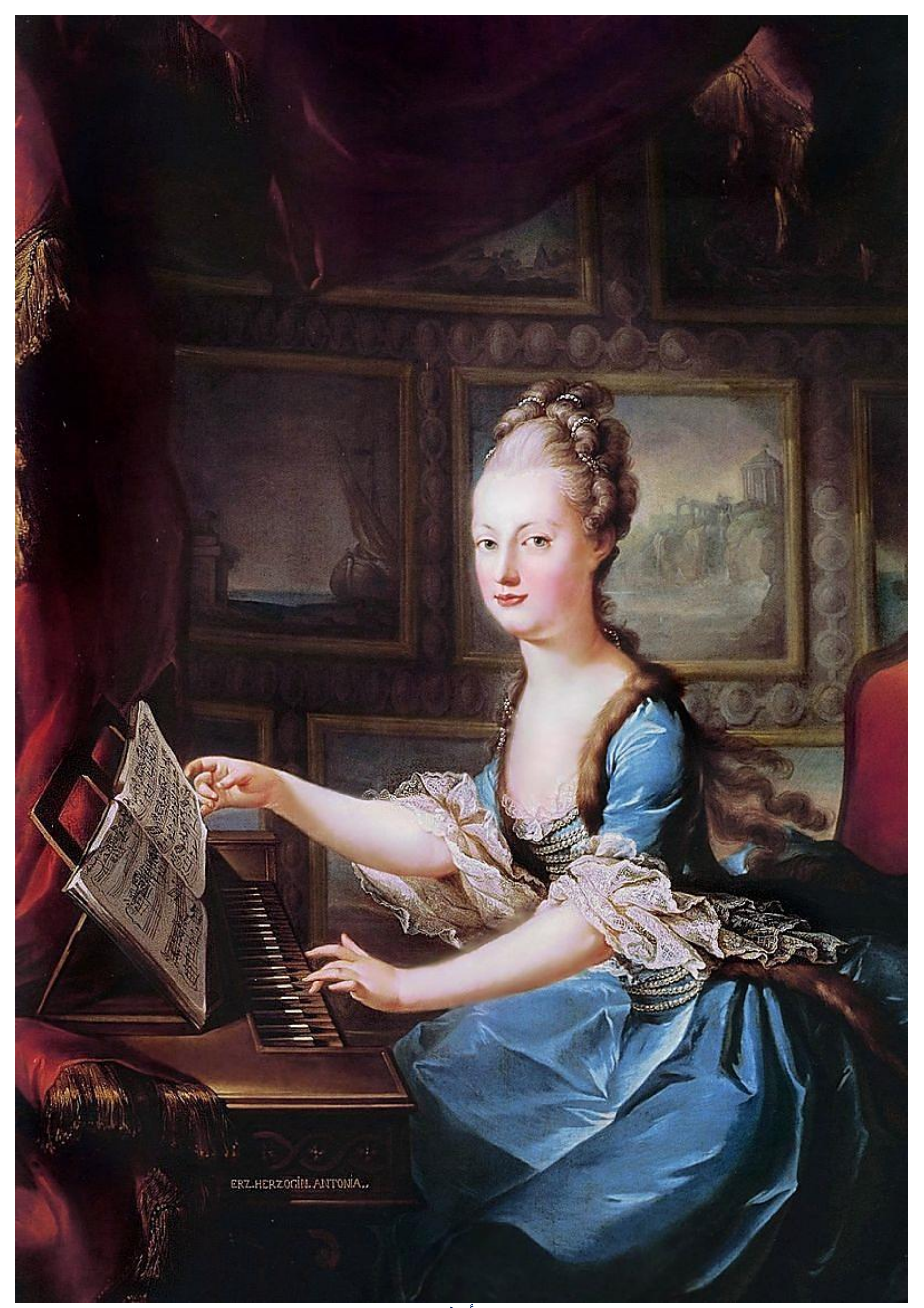
في العروض الأولى لهذه الأوبرا، كان يقوم بالتمثيل والغناء، نبلاء ودوقات. مع قصة الأوبرا، والحزن على فقد "يوريديسي"، المصحوب بغضب لانهائي لوجود حقيقة الموت، تأتي الأصوات بدون تكلفة مصطنعة. الموسيقى، تصبغ الكلمات بالشجن، وبما تحتاجه من رثاء.

هذه الأوبرا تبين أن أسلوب "جلوك"، كان قد تغير. تحرر من الأغلال القديمة. قوبلت الأوبرا، بقبول حسن، ووضعت أساسا، بنى عليه "جلوك" شهرته. بعد أوبرا "أورفيوس ويوريديسي" بخمس سنوات، لحن "جلوك" عام 1767م، أوبرا "ألسيستي".

أوبرا "ألسيستي" كاملة ل"جلوك".
Gluck - Alceste - Bolton

لم يفهم الناس هذا الأسلوب الجديد في التلحين. بالرغم من ذلك، استقبلوا "ألسيستي" استقبالا حسنا. لكن الأوبرات التي ألفها جلوك بعد ذلك، لم تلق نجاحا في ألمانيا. لذلك، كغيره من الملحنين، اتجه إلى باريس.

باريس الآن، تعوم في فيض من الأفكار الثورية، سياسية وغير سياسية. بالإضافة إلى أن تلميذته، "ماري أنطوانيت"، كانت قد تزوجت من ولي عهد ملك فرنسا. هي بالتأكيد سوف تمنح مدرسها السابق بعض عطفها. فإلى مثلها تشد الرحال، وإلى باريس ذهب جلوك.



ماري أنطوانيت

هنا في باريس عام 1774م عندما كان عمره 60 سنة، وتحت تشجيع من راعيته الكريمة، لحن أحسن أعماله، أوبرا "إفيجيني في أوليس".

أوبرا "إفيجيني في أوليس" لجلوك.
، Hajóssyová، Schreier، deutsch،Gluck: "Iphigenie in Aulis" (Berlin 1992 Lang)

قصة الأوبرا مقتبسة من آخر مسرحية ل"يوريبيديس"، الأديب اليوناني القديم. تحكي قصة "أجاممنون"، قائد تحالف الجيوش اليونانية أثناء حرب طروادة.

لكي ترضى الإلهة "آرتيميس"، وتسمح لتحالف الجيش اليوناني بالإبحار والنصر ضد طروادة، على "أجاممنون"، قائد الجيوش، التضحية بابنته "إفيجينيا" وتقديمها قربانا للآلهة.



أجاممنون يقدم ابنته إفيجينيا قربانا للآلهة

يضطر أجاممنون تحت ضغط من رجاله، إلى طلب حضور زوجته وابنتهما "إفجينيا"، بحجة زواجها من البطل "أخيل".

عندما وصلت "كليتمنسترا" مع ابنتهما "إفجينيا"، وعلمت الحقيقة ونية زوجها، "أجاممنون"، تقديم ابنتهما قربانا للآلهة، جن جنونها، وبذلت قصارى جهدها لإنقاذ "إفجينيا". لكن الفتاة الشابة، تتقدم ببراءة وعن طيب خاطر، لكي تذبح قربانا للآلهة وفداء للوطن.

لم يسمع الباريسيون لحنا في مثل هذا السمو من قبل. ظهور هذه الأوبرا، يعد بداية عصر جديد في عالم الموسيقى. امتثال "إفيجينيا" لقدرها بهدوء، وحزن والدها وتمزقه بين حب ابنته وواجبه، وصواعق مطرقة الإله "جوبتر"، كل ذلك جعل الأوبرا الأكثر

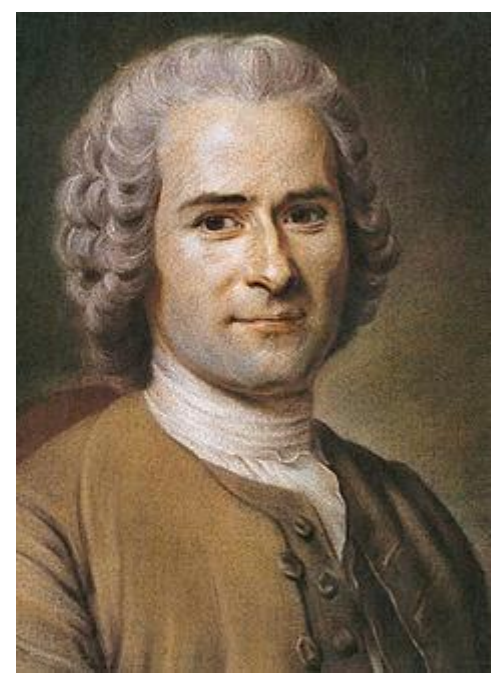
دراما في كل الأعمال الدرامية السابقة. الآن، موسيقى "جلوك"، عرفت طريقها إلى قلوب المشاهدين.

في أول ليلة للعرض، بدأت ملكة فرنسا التصفيق. تبعها كل الحضور. عندما جاءت أغنية "نحن نحتفل بملكتنا"، وقف الجميع يحيون "ماري انطوانيت" بحماس بالغ.

كان النجاح باهرا. ساد الحماس للأوبرا من ليلة إلى ليلة. سمي جلوك "هرقل الموسيقى"، إشارة إلى بطل الأساطير اليونانية "هرقل". انهالت على "جلوك" الهدايا كالمطر، الشعراء كانوا يؤلفون القصائد في مدحه.

بعد ذلك، أعد جلوك أوبرا "أورفيوس ويوريديسي"، وأوبرا "ألسيستي"، للمسرح الفرنسي. جزء الباليه كان جميلا، لكن الحماس بدأ يفتر. بسبب منافسة كانت قد بدأت.

في أحد الأيام، قابل جلوك الفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو" في الطريق.



جان جاك روسو

قال "جلوك" متعجبا: هل أوبرا "ألسيستي" في طريقها للسقوط؟ أجاب "رسو": نعم، سقوط من السماء. "رسو"، إلى جانب كونه فيلسوفا اجتماعيا رائعا، كان أيضا موسيقيا ومخترعا لطريقة جديدة لكتابة الموسيقى، لكنها لم تحظ القبول.

في عام 1777م، ظهرت أوبرا "أرميدي". "أرميدي"، أميرة. بكل ما وهبها الله من جمال وسحر، لم تستطع كسب قلب القائد "رينالدو". لحنها جلوك، ربما لكي يبهر بها الملكة "ماري أنطوانيت"، تلميذته السابقة. "ماري أنطوانيت"، كانت مخلصة دوما لأستاذها السابق. تستقبله في جناحها، تفعل كل ما في وسعها، لكي تشجعه وتشد من أزره.

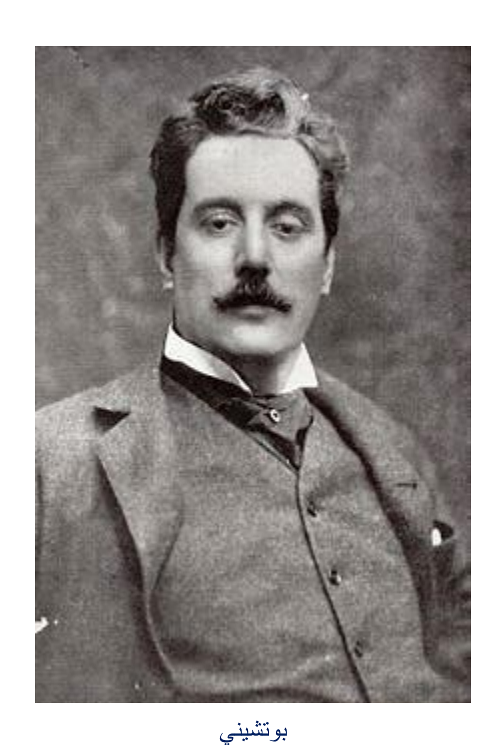
المقدمة الموسيقية ل"أرميدي" لجلوك.
Christoph Willibald Gluck - Armide - Ouverture

مقطع يبين كيفية إخراج "أرميدي" بطريقة حديثة لجلوك.
The making of Armide

جلوك، كان معجبا جدا بأوبرا "أرميدي". في خطاب، ردا على تساؤل الملكة، أجاب "جلوك": "مدام، هذه الأوبرا سوف تتم قريبا. في الواقع، سوف تكون رائعة". ثم أضاف لاحقا: "لقد لحنت موسيقى أرميدي، بطريقة تحفظها من النسيان".

لكن جلوك، مثل بقية الملحنين الأجانب، قوبل بمعارضة في باريس. في ذلك الوقت، عندما كانت الفصائل الفرنسية غاضبة على أشياء كثيرة، كانت "ماري أنطوانيت" لاتزال على عهدها في مساعدة "جلوك" وتشجيعه.

لكن "مدام دو باري"، الإيطالية، عشيقة الملك لويس الخامس عشر، جد الملك الحالي، كانت على خلاف مع الملكة "ماري أنطوانيت". لذلك، كانت تصر على ملحنها الأوبرالي الإيطالي "بوتشيني". الملوك عادة، لا تختار زوجاتهم. اللاتي يكون اختيارهن غالبا لأسباب سياسية. أما العشيقات، فشي آخر.


بوتشيني

"بوتشيني" كانت شهرته في إيطاليا.

استدعي بوتشيني لكي يصبح منافسا لجلوك. (كيد النساء). ألحان "بوتشيني" عذبة كلها ميلودي، وهذه من إحدى خصائص الأوبرا الإيطالية. لذلك، أستقبل استقبالا حسنا في باريس. وأصبحت موسيقى "جلوك"، بالنسبة له، موسيقى غير منافسة، بل مجرد ضوضاء.

لحن من أوبرا "مدام بترفلاي" ل"بوتشيني"، غناء ماريا كالاس.
Madame Butterfly - Maria Callas

المنافسة بين "جلوك" و"بوتشيني"، اشتد أوارها، وصبغت بالعناد. انقسم الجمهور إلى قسمين، إما "جلوكيون" أو "بوتشينيون". لكن، أيهما الأحسن؟

لكي يحسم هذا التساؤل، تقرر أن يقوم كل منهما بتلحين نفس الأوبرا. ويترك الحكم للجمهور. الأوبرا التي تم اختيارها للمسابقة هي بعنوان "أفيجينيا في طوريس".

أوبرا "إفيجينيا في طوريس"، تختلف عن أوبرا جلوك الأولي "إفيجينيا في أوليس". في الأوبرا الجديدة، إفيجينيا لم تمت في "أوليس"، قربانا للآلهة حتى ينتصر جيش

"أجاممنون" على الطرواديين. لكن، "إفيجينيا" هنا، تنقذها الإلهة "أرتيميس" في آخر لحظة.

ثم تنقلها إلى "طوريس"، لكي تقضي هناك 10 سنوات، كراهبة في معبد الإلهة "آرتيميس". التضحية بالبشر لإرضاء الآلهة، وإنقاذهم في آخر لحظة، كان موجودا عند اليونانيين القدماء أيضا.

أوبرا جلوك، كانت مشاهدها أوضح. تصور صيحات التحدي لنساء السيشيان، وإيماءاتهن المحمومة، مصحوبة بضربات الصنج وقرعات الطبول. في تباين واضح مع الجمال الهادئ الذي يشع من وجه "إفيجينيا".

"جلوك" هو أول من استخدم الصنج والطبول الكبيرة في الأوركسترا. اعترض أعداؤه على ذلك، على زعم أنها تمثل ضوضاء كبيرة، لكنه كان يصر على طلب سماع هذه الآلات قبل الحكم عليها.

أوبرا "إفيجينيا في طوريس" لجلوك.
IPHIGENIE EN TAURIDE - REGINE CRESPIN- LIVE TEATRO COLON- 1964

باريس كانت في بهجة، بسبب أوبرا "جلوك". وصفوها بأنها تحفة موسيقية. حتى "البوتشيون"، أي الذين يشجعون "بوتشيني"، اعترفوا بتفوق "جلوك". قالت عنها الصحافة: "هناك جزء واحد رائع، هذا الجزء هو الكل". لكن أين أوبرا "بوتشيني"؟ اختبأت بين أعماله في مكان آمن.

الموسيقى الإيطالية تتسم بالميلودي والعذوبة. لذلك، يفضلها الكثيرون من الناس. لكن الألمان، يفضلون الهارموني والتناغم متعدد الأصوات.

الأوبرات الإيطالية، هي أقرب إلى سلسلة من الأغاني الرخيمة، أكثر منها دراما موسيقية، كالتي قصدها مؤلفي الأوبرا الأوائل الإيطاليون، في محاولة تقليد فن الإغريق الدرامي.

لذلك، نجد القصة ومعنى الكلمات، يضيعان وسط جمال الأغنية وروعتها. يتوه العمل الفني ككل عن تحقيق مآربه، ويضيع بين هذه الجزيئات المغرية. إذن، كيف نجعل

الموسيقى والأغنية الجميلة ينصهران في العمل الدرامي ولا يطغيان عليه؟ علينا أن ننتظر حتى قدوم جلوك.

مشاهدة "جلوك" وهو يشرف على عمل بروفات أوبراه، يعتبر متعة في حد ذاته. فور وصوله، يدخل في قصة الدراما، ويتقمص شخصية أبطال العمل، يعيش معهم ويموت معهم.

في المشهد الأخير من أوبرا "ألسيستي"، ألقى بنفسه في آخر المسرح، وأصبح مثل الجثة الهامدة. أي خطأ، يقابله بغضب عارم. بعض الأحيان، يطلب إعادة مشهد واحد 20 أو 30 مرة. معظم من يعملون معه، يطلبون مضاعفة الأجر بسبب الإجهاد الذي يسببه لهم.

مطربتان جرأتا على عصيانه أثناء التدريب. فقال لهما، أنا هنا لكي أنتج أوبرا "إفيجينيا" للملكة، هذا بالطبع إذا قمتما بالغناء الجيد. إذا لم تؤديا دوركما جيدا، سوف أذهب إلى الملكة، لأخبرها أن الأوبرا لا يمكن عملها، ثم أركب عربتي وأذهب إلى فيينا.

أخر أوبرا لحنها "جلوك"، كانت " إيكو و نارسيس". قوبلت بفتور في باريس. اعتبرها "جلوك"، عملا فاشلا. بالرغم من تدخل الملكة، إلا أنه غادر فرنسا إلى النمسا عام 1780م. هناك قضى سنواته الأخيرة.

حصل "جلوك" في حياته، على الشهرة والثراء من أعماله. كرمه الشاعران "جوته" و"شيللر". قام بزيارته كثير من النبلاء وبعض الملوك. من بينهم إمبراطور وإمبراطورة روسيا.

قدما خصيصا، لكي يعربا عن مدى امتنانهما له، لموسيقاه وأعماله. كان كريما رحيما بصغار الفنانين، معجبا جدا بالصغير "موزارت".

توفي جلوك بالسكتة عام 1787م. دفن في فيينا. أقيم تمثالا له هناك. في ميونخ وباريس والكثير من المدن، أقيمت له أيضا التماثيل الرخامية والبرنزية تخليدا لذكراه.

يعتبر جلوك من عظماء الموسيقيين الغربيين. قام بتطوير فن الأوبرا، ووضع الحياة والروح في التآليف الجافة التي لا روح فيها. جلوك، ومن بعده فاجنر، أعطيا الفن الأوبرالي قوة دافعة دراماتيكية جديدة غير مسبوقة.

14

هايدن - أبو السيمفونية الحديثة

أحد أساطين الموسيقى الغربية في عصره، هو "فرانز جوزيف هايدن (1732-1809م). أصله من الفلاحين السلاف. ولد في مدينة "روراو" بالنمسا، في كوخ متواضع. كان والده يتعيش على صناعة عجل العربات. أمه كانت تعمل خادمة. هو أحد أفراد عائلة كثيرة الأطفال.



هايدن

بالرغم من أن الكوخ الذي ولد فيه هايدن كان صغيرا متواضعا، إلا أنه كان أكثر دفئا وسعادة من بيوت كثيرة أفخم وأكبر. ملئ بالبهجة والموسيقى. يجلس الأب، أيام عطلته الأسبوعية، أمام باب الكوخ، ويجمع حوله أفراد الأسرة.

لم يكن الأب على علم بالنوتة الموسيقية، لكنه كان يغني بصوت "تينور" جميل، بينما كان يعزف على آلة الهارب. الأم كانت تشترك بدورها بأغنية، ورثتها عن جدتها التي أتت إليها من أجيال سابقة. كل طفل، هو الآخر، كان يساهم بنصيب في هذا التجمع الرائع.

كان الصغير جوزيف، يقضي وقته في حك عصاية على خشبة، يقلد بهذا أستاذ المدرسة، وهو يعزف على آلة الكمان. من وقت لآخر، يأتي قريب للأسرة، كان رئيسا لجوقة موسيقية في مدينة مجاورة، لكي يشارك في الأمسيات الغنائية.

لاحظ القريب أن جوزيف، له صوت رخيم "سوبرانو"، يحافظ على الإيقاع الزمني الموسيقي بدقة شديدة. فتأكد أن الطفل، له أذن موسيقية.

الأم، كانت تعد الطفل جوزيف لكي يكون كاهنا. لذلك، لابد أن يواصل تعليمه. عندما بلغ جوزيف السادسة من عمره، أخذه قريب الأسرة، "هر فرانك"، معه إلى منزله في هامبرج، لكي يلتحق بالمدرسة هناك، ولكن لكي يدرس الموسيقى.

كان هذا هو آخر عهده بالطفولة البريئة. هنا في هامبرج، كان يحى حياة جادة. تعلم خلال سنتين أو ثلاثة، العزف على بعض الآلات الموسيقية.

"هر رويتر"، كان يبحث عن صبيان جوقة لكاتيدرائية "سانت ستيفين" في فيينا. جاء لزيارة "هر فرانك". أحضر العم، الطفل المعجزة من المطبخ، لكي يختبر الضيف صوته.

"هر رويتر"، رجل ماكر منضبط، كان منبهرا بالصبي. لكنه أخفى شعوره داخله، حتى لا يتعقد الموضوع. ثم وافق على أخذ الصبي معه إلى فيينا، وأصبح "جوزيف"، منذ ذلك الحين، أحد صبيان دوقة الكاتيدرائية.

هنا، عندما ينتهي الصبية من الغناء، كانوا يهرولون للعب في فناء الكاتيدرائية. لكن "جوزيف هايدن"، كان يتسلل بعيدا لكي يواصل التدريب على آلتي الكمان والبيانو.

في أحد الأيام، قام بالعمل والدراسة والتدريب المتواصل لمدة 16 ساعة. كان يهرول مسرعا للاستماع، عندما كان يبدأ العزف على الأورغن الضخم في الكاتيدرائية.

بعد ذلك، شعر أنه يريد أن يتعلم التأليف الموسيقي. كان يكتب بعض التآليف الموسيقية في قصاصات ورق. أطلع بعضها على "هر رويتر"، لكنه سخر منه، ولم يشجعه.

حياته في الكاتيدرائية كانت حياة قاسية. كان جائعا في أغلب الأوقات. عندما كان يُختار للغناء في الدوقة، في المناسبات الترفيهية، كانت سعادته بالغة، لأن هذا يعني وجبة شهية من الفطائر بعد البرنامج.

بعد عدة سنوات في "سانت ستيفن"، لم يعد "هر ريتر" معجبا به. في ليلة باردة ملبدة بالغيوم والعواصف، عندما كان سنه 16 سنة، حاول ترك فيينا. لكن إلى أين يذهب؟ إلى موطنه في "رورو"؟ هذا يعني أنه سوف يترك حكاية الموسيقى دي برمتها.

ظل يجول في شوارع المدينة، يفكر ماذا يفعل. في الصباح، تقابل مع رجل موسيقي فقير آخر. إليه شكى الصبي "هايدن"همه. فعرض عليه الموسيقي مشاركته مسكنه، الذي هو عبارة عن غرفة صغيرة على السطوح يعيش فيها هو وزوجته وطفلهما.

ماذا يفعل "هايدن"، بعد أن فقد وظيفته في الكاتيدرائية؟ أخذ يتجول في شوارع فيينا وهو يعزف على الكمان. وكان لا يرفض الغناء مع الجوقات، متى يدعى لذلك. كان أيضا يلتحق بالفرق الموسيقية في الحدائق.

أول نقود حصل عليها من هذه الأعمال الغير منتظمة، دفعها كأجر لدروس في التأليف الموسيقي. واستطاع أيضا الحصول على بعض مؤلفات الموسيقار العظيم "باخ". بعد وقت قصير، بدأ في تآليف موسيقية خاصة به.

مرت أيام تعب وجوع ب"هايدن"، لكنه كان دائما ينظر إلى نصف الكوب الممتلئ.



كان ينظر إلى نصف الكوب الممتلئ

بعد ذلك، قرر أن يعيش بمفرده. استأجر غرفة صغيرة بالسطوح، بها آلة هارب قديمة. في الطابق السفلي، كان يعيش الشاعر "ميتاستاسيو"، الذي بدأ يلتفت إلى "هايدن".



الشاعر ميتاستاسيو

عن طريق الشاعر، تعرف "هايدن" على المغني الشهير "بوربورا". قرر أن يقترب منه لكي يتعلم منه فن الغناء. عرض أن يكون خادمه أو سكرتيره الخاص. يبدّر باروكته، وينظف معطفه، ويلمع حذاءه، ويقضي المشاوير نيابة عنه. يعني كما نقول بالبلدي "مرمطون".

إلى أن عطف الطاغي العجوز على الموسيقي الشاب، وبدأ في تعليمه أسرار الغناء الجيد والتأليف الموسيقي، إلى الدرجة التي جعلت "هايدن" يتذكر فضله بقية حياته.

"السرينادة" (Serenade)، عمل موسيقي هائ وخفيف. كان في الأصل، أغنية للتودد للمحبوبة. صار فيما بعد مقطوعات موسيقية خفيفة تناسب العرض في الهواء الطلق وقت العصاري.

كانت "السرينادة"، هي الموضة في تلك الأيام. وكان "هايدن"، مع أصدقائه الموسيقيين، يتجولون في شوارع المدينة في المساء، يغنون ويعزفون، موسيقى "سرينادة"، من تأليف هايدن. في بعض الأوقات، كان يدعى للمشاركة بموسيقاه في الأفراح والليالي الملاح.

الأجر كان قليلا، لكنه كان يشمل وجبة محترمة على مائدة المدعويين. هذا يذكرنا بفرقة الموسيقى التي جاءت في لوحة الرسام الفلمنكي "بيتر بروجل"، بعنوان "زفاف الفلاحين". لاحظ نظرة أحد أفراد الفرقة، التي تقطع القلب، إلى الطعام.



زفاف الفلاحين للرسام بروجل

العجيب أن كثيرين من العظماء والرجال، الذين لمعوا في مجالاتهم المختلفة، مروا في البداية بسنوات عجاف، مثل التي مر بها بطل قصتنا هنا، "هايدن".

مع الوقت، بدأت مؤلفات "هايدن" تنال القبول. بدأ يكون صداقات مع النبلاء. الموسيقار "جلوك"، الذي عرضنا سيرته في الباب السابق، أعجب بمجهوده في التأليف الموسيقي. أحد الأثرياء، شجعه على تأليف رباعية وترية.

الكونتيسة "فون ثن"، أعجبت ب"سوناتا" من تأليفه. فطلبت وألحت كي تكون تلميذة له. عنما رأته أول مرة بملابسه الرثة، ظنت أنه محتال. لكن عندما علمت بقصته وسمعت موسيقاه، أصبحت صديقة ومساعدة له بقية عمره.

تحت تأثير بعض الأصدقاء، دعي "هايدن" عام 1759م، لكي يرأس أوركسترا الكونت "مورزين". الكونت "مورزين"، رجل بوهيمي محب للموسيقى. بقي "هايدن" مع الكونت، إلى أن اضطر الكونت، تحت ظروف مالية صعبة، إلى فض الأوركسترا.

عاد "هايدن" إلى فيينا. هنا، مر بأسوأ فترة في حياته. لقد تزوج زواجا غير سعيد. الحلاق وصانع البواريك، صديقه، كانت له ابنتان. وقع "هايدن" في غرام البنت الصغرى. لكنها لم تبادله الحب. ثم وهبت نفسها للدير. صدمة كبيرة بالطبع للموسيقي مرهف الحس.

حاول الأب مواساة "هايدن"، بعرض البنت الأخرى، "ماريا أنا"، للزواج. في لحظة اندفاع ويأس، تزوج الأخت الكبرى. لمدة 40 سنة متواصلة، لم يرى فيها سعادة معها. سودت هذه الزوجة حياته، وصبغتها بالتعاسة الدائمة.

كانت تافهة، لكن في نفس الوقت مخلصة للكنيسة. كانت تلح بصفة دائمة في الطلب من زوجها، تأليف أناشيد وموسيقى قداس للكنيسة. كان يغدق عليها الأموال، لكن بسبب تفاهتها، عاشا مع بعض شبه منفصلين مدة الزواج الطويلة هذه.

استمع الأمير "إسترهازي"، رئيس نبلاء أحد العائلات المجرية القديمة، والمحب للفنون والموسيقى، إلى أحد سيمفونيات هايدن التي أعجب بها إعجابا كبيرا. عندما علم أن "هايدن" هو المؤلف، استدعاه فورا للعمل في خدمته.



الأمير إسترهازي

أخبره أن عليه قبل أن يأتي إلى قلعته، أن يلبس رداء جديدا، وأن يهندم باروكته ويبدّرها، ويلبس ياقة بيضاء جديدة وأبازيم وزراير لامعة، ويلبس حذاء ذي كعب أحمر عال. كل ذلك، لكي يظهر بمظهر يتناسب مع جدارته الموسيقية.

وصل "هايدن" إلى قلعة "إسترهازي" عام 1761م. هناك، وجد مسرحا للعرائس ودار أوبرا. وقام الموسيقي الشاب بالتأليف الموسيقي لكلاهما.

كان "هايدن" يعامل كواحد من العائلة. كان يعطي الدروس الموسيقية لموظفي الأمير. يبعد عن كل ما هو غير لائق، بالنسبة للأكل أو الشرب أو الحديث المبتذل مع الغير.

سيمفونية رقم 31، باسم "إشارة النفير"، ل"هايدن".
Joseph Haydn / Symphony No. 31 in D major "Hornsignal" (Mackerras)

كان هناك زي خاص لأفراد الأوركسترا الموسيقية. يلبسون الثياب البيضاء التيلية، والجوارب البيضاء والبواريك. البعض يقول أن "هايدن" كان يلبس البواريك، منذ سن 6 سنوات.

الأمير، كان يكره فيينا. نادرا ما يذهب إلى هناك. في بعض الأحيان، كان يدعوا كبار المشاهير لسماع الموسيقى في قلعته. منهم، كانت الامبراطورة "ماري تيريزا"، أم الملكة "ماري أنطوانيت"، التي أعدمت مع زوجها "لويس السادس عشر" بالمقصلة، إبان الثورة الفرنسية. وكان "هايدن" يكلّف بالعناية بالحفل الموسيقي.

"ماري تيريزا"، لم تكن شخصية عادية. فقد كانت، ملكة النمسا، المجر، كرواتيا، بوهيميا، مانتوا، ميلانو، لمبارديا، جاليشيا، جنوب هولندا، وبارما. ثم أصبحت بعد الزواج، امبراطورة رومانيا المقدسة.


الملكة ماريا تيريزا

سيمفونية رقم 48، بعنوان "ماري تيريزا" ل"هايدن".
Haydn Symphony No 48 in C Major 'Maria Theresia' Neville Marriner

كان هايدن سعيدا بوظيفته هذه. يستمتع بالرحلات في الجبال، للتريض والقنص وصيد السمك. يخرج مبكرا، عندما يغلف الندى فروع الأغصان، ويخفي الضباب تحت جناحيه، الحيوانات البرية والطيور والأزهار.

يراقب الشمس وهي تنشر أشعتها الذهبية على الكون. فكم من هذه المناظر والأصوات الساحرة، قد تسربت إلى أعماله الموسيقية الأخيرة.

كان يعمل عدة ساعات في اليوم الواحد. ألف العديد من المؤلفات الموسيقة هنا. من بينها، بعض الأوبرات، سيمفونيات، رباعيات وترية. في شرف "فريدريك ويليام الثاني"، ملك بروسيا (ألمانيا حاليا).

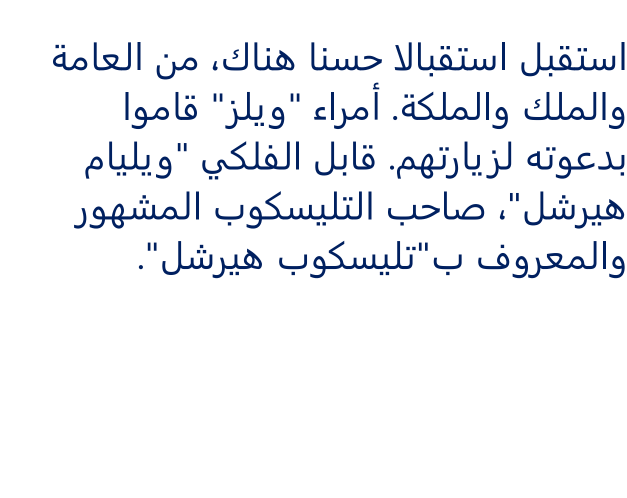

فريدريك وليام الثاني ملك بروسيا

هذه المؤلفات، انتشرت في باريس ولندن وفيينا. في الواقع، أصبحت شهرة "هايدن" شهرة عالمية، بسبب سيمفونياته ورباعياته الوترية. ظل "هايدن" مخلصا للأمراء الذين وظفوه لديهم، بالرغم من الإغراءات التي كانت تنهال عليه لتركهم.

بعد 30 سنة، توفى آخر الأمراء الذين يهتمون بالموسيقى، عام 1790م. سُرّح أفراد الأركسترا، ومعهم "هايدن"، فعاد إلى فيينا.

كان يفكر في زيارة لندن عدة مرات. وكانت تأتيه الدعوة من "سالومون"، عازف الكمان وقائد الأركسترا هناك. الآن، قام "سالومون" بتجديد الدعوة له، راجيا "هايدن" في الحضور، لكي يقيم 20 حفلا موسيقيا، بأجر 50 جنيها إسترلينيا للحفل الواحد.

السفر إلى لندن، كان عملية شاقة في ذلك الوقت. "هايدن" كان عمره 60 سنة. لكنه لم يستطع مقاومة إغراء الأجر، فقبل العرض. مر بعاصفة شديدة أثناء السفر. وصل لندن وهو منهك القوى، لكن أدهشته المدينة بمبانيها العتيقة و ضوضائها الصاخبة.



استقبل استقبالا حسنا هناك، من العامة والملك والملكة. أمراء "ويلز" قاموا بدعوته لزيارتهم. قابل الفلكي "ويليام هيرشل"، صاحب التليسكوب المشهور والمعروف ب"تليسكوب هيرشل".



ويليام هيرشل



تليسكوب "هيرشل".

أيضا، ناله شرف رسمه بالفنان، "سير جاشوا رينولدز"، وهو شرف يتمناه الكثير من العظماء. جامعة إكسفورد، طلبت منه شيئا من تأليفه. بعد ذلك، منحته الجامعة أجازة الدكتوراه في الموسيقى.

قضى "هايدن" ثلاث سنوات في لندن. ألف هناك 12 سيمفونية تعرف ب "سيمفونيات سالومون". وهي من سيمفونية رقم 93، إلى سيمفونية 104 (الأخيرة).

سيمفونية رقم 94، بعنوان "المفاجأة"، ل "هايدن". قائد الأركسترا "برنشتاين".

- "Haydn: Symphony No.94 In G Major، Hob.I:94 - "Surprise" - 1. Adagio - Vivace assai (Live)" by Wiener Philharmoniker ، Bernstein

السيمفونية رقم 96، "المعجزة"، ل"هايدن".
Haydn Symphony No 96 D major The Miracle Le Concert Olympique

السيمفونية رقم 100، "السيمفونية العسكرية" ل"هايدن".
Haydn Symphony Nº 103 H. I:100 G major "Military" "Militär"

السيمفونية رقم 101، "الساعة" ل"هايدن".
Haydn Symphony No 101 D major The clock The New Dutch Academy

السيمفونية رقم 104، "لندن" ل"هايدن".
Haydn - Symphony No. 104 - London (Proms 2012)

كان "هايدن"، يقود الأوركسترا بنفسه على مسرح "هايماركت". كان "سالومون" سعيدا جدا بأداء "هايدن". قال له يوما: "لن تستطيع أن تؤلف أحسن من ذلك". فأجاب "هايدن": "وأنا أنوي عدم المحاولة أبدا".

ترك "هايدن" إنجلترا مكللا بالفخار والثراء. عاد لزيارتها بعد فترة، تحت إلحاح دعوات متزايدة. فاستقبل بحماس يزيد على ما استقبل به أول مرة.

عند عودته النهائية لوطنه، دعي إلى "رورا" لكي يشاهد التمثال الذي نصب تكريما له. توقف قليلا أمام الكوخ الذي ولد فيه. ركع على الأرض، ثم قام بتقبيل عتبة الدار، التي كان يجلس عليها والده، وحوله أمه وباقي اخوته وهو طفل.

عندما كانت البلاد على وشك الحرب مع فرنسا، ألف "هايدن" ترنيمة "حفظ الله الامبراطور فرانسيس الأول"، الذي تحولت إلى النشيد الوطني للنمسا.



الامبراطور فرانسيس الأول

رباعية وترية، الامبراطور، ل"هايدن". رقة وعذوبة متناهية، أكثر من رائعة.
BISQC 2013 - Calidore Quartet - Joseph Haydn Quartet in C Major "Emperor"

عاش سنواته الأخيرة بهدوء، في منزل صغير ب"فوربورج – جومبيندورف". هنا، قام بتأليف عملين من أعظم أعماله. "الخلق"، و"الفصول".

عندما كان في لندن، سمع عن العمل الموسيقي الجبار "المسيح" ل"هاندل" وحجم الكورس الضخم الذي يؤديه. لذلك، قرر أن يقوم هو الآخر بتأليف أوبرا دينية (أوراتوريو).

في عام 1795م، قضى "هايدن" ثلاث سنوات في تأليف أوبرا "الخلق". قال بعد ذلك، لم أشعر في حياتي بالورع، إلا أثناء كتابتها. كنت أسجد لله كل يوم، لكي يساعدني على اتمامها.

المقدمة الموسيقية ل"الخلق" ل"هايدن".
Oratorium ‹I) F.J. Haydn - Overture〈The Creation〉/ Die Schöpfung (Christopher Hogwood)

"الخلق" كاملة، مع ترجمة بالإنجليزية، ل"هايدن".
THE CREATION (Franz Joseph Haydn) SD

عمل موسيقي رائع ملئ بالجمال. سرعان ما وجد طريقه إلى كل أنحاء أوروبا. تحفة بكل المقاييس. يبدأ العمل بداية غريبة بأصوات باردة تعبر عن الفوضى التي كان عليها الكون قبل الخلق.

يتبعها صوت الطبيعة الجبار، يتدفق بغضب. ثم يأتي خلق النور. هنا هارمونية ساحرة. ثم آلاف الشعلات المضيئة، تضيئ ظلام الكهف، بينما تمجد السماء الرب في علاه.

ثم تأتي الموسيقى لكي تصف ما خلقه الرب في باقي الأيام. نسمع الطيور تغني. التنين يعتلي الأمواج فوق سطح البحر. الأسود تزأر. الحشرات تحوم.

بعد ذلك، يأتـي آدم وحواء، لكي يعبدا خالقهما. في النهاية، تأتي أغنية لكي تمجد الرب، وتشكره لعمله السامي المجيد، وقدرته على اتمام ملحمة الخلق.

"هايدن" كان يبلغ السبعين، عندما أقدم على تأليف عمله الآخر، "الفصول". أخذ شعر "طومسون"، وبني عليه عمله الأوبرالي. استخدم العديد من الآلات الموسيقية بطريقة ساحرة. مليئة بالبهجة التي يحبها "هايدن".

بها أغاني الريف والحصاد والأفراح والولائم، مع غناء الطير وخرير المياه وعطر الزهور وظلال الأشجار. عندما كان يتلقى التهاني بمناسبة اتمامه "الفصول"، كان يقول: "هذه ليست "الخلق". هناك، الملائكة تغني. هنا مجرد أغاني ريفية.

"الفصول" كاملة ل"هايدن".
HD ،Joseph Haydn: The Seasons - Nikolaus Harnoncourt (Salzburg 2013 1080p)

كان "هايدن" مؤلفا عظيما للرباعيات الوترية. كان يفهم جيدا، دور كل آلة، والتوازن بينها لعمل التأثير اللازم، الذي يبغيه كل مؤلف موسيقي. كما أنه أعطى العمل السيمفوني بعدا جديدا.

جعل السيمفونية من أربعة أجزاء: الحركة الأولى، "أليجرو"، حركة سريعة تمثل البهجة. الحركة الثانية، "لارجو، أو أداجيو، أو أندانتي"، وهي حركة أبطأ وأكثر رشاقة. الحركة الثالثة، موسيقى راقصة. الحركة الرابعة، مثل الحركة الأولى، سريعة تمثل النهاية السعيدة.

كتب "هايدن"، 104 سيمفونية، وحوالي 100 رباعية وترية. سيمفونية "المفاجأة"، فاجأت الجميع بشئ جديد في الموسيقى. سيمفونية "المعجزة"، سميت كذلك، لأنها أثناء عزفها أول مرة، سقطت نجفة كبيرة من السقف، ولم يصب أحد بسوء. هناك من يقول بأن الحادث وقع فعلا، لكن أثناء السمفونية رقم 102.

يسمى "هايدن" أبو السيمفونية الحديثة. وأستاذ موسيقى الحجرة. يقال أنه قبل أن يجلس لكي يؤلف، كان يهندم باروكته ويبدرها، ويلبس أفخر الثياب كأنه ذاهب إلى حفل.

كان يستخدم أحسن الورق للكتابة. الملك "فريدريك ويليام الثاني" أرسل له خاتما من الماس. كان لا يفارق اصبعه. إذا نسي لبسه لأي سبب، لا يستطيع أن يأتي بأي فكرة جديدة.

كان أسمر البشرة، طويل الأنف، بارز الوجنتين. كان محبا لحياة المنزل، يتعجب لماذا تحبه الأطفال. له أصدقاء كثيرون، منهم "مسز بيلينجتون" بصوتها الساحر، التي رسمها "سير جوشوا رينولز"، وهي تنصت إلى أصوات الملائكة.

عندما نظر "هايدن" إلى اللوحة، قال معقبا، إن الرسام قد أخطأ. كان المفروض أن يجعل الملائكة تنصت لصوت "مسز بيلينجتون".

كانت علاقته بالطفل "موزارت" رقيقة للغاية. وكان "موزارت" يسميه، "بابا هايدن". وهو اللقب الذي عرف به "هايدن" فيما بعد. عندما دعي "هايدن" إلى إنجلترا، كان "موزارت" على فراش المرض، ولم يتحمل أن يرى "هايدن" وهو يفارقه.

قال له: "أنت رجل عجوز، كيف تخرج إلى العالم الواسع، وأنت تتقن لغات قليلة؟" فأجاب "هايدن" مازحا: "لغتي يفهما العالم كله". لقد قضيا بعض الوقت مع بعض.

عندما افترقا، وضع "موزارت" ذراعه حول رقبة "هايدن" قائلا: "هذا وداع أخير بيننا، فلن نلتقي ثانية أبدا". بينما كان "هايدن" لايزال في لندن، سمع بموت صديقه الشاب "موزارت". حزن "هايدن" لموت "موزارت" حزنا بالغا.

كان "بيتهوفن"، في يوم من الأيام، أحد تلاميذ "هايدن". لكن لم يكونا على وفاق.

مع تقدم "هايدن" في العمر، أخذ انتاجه يقل يوما عن يوم. عندما وهنت صحته، ندر خروجه من بيته. في عام 1808م، ظهر لآخر مرة أمام الجمهور. عندما قاد الأوركسترا لكي يعزف "الخلق"، في حفل، أقيم خصيصا لتكريمه.

حمل الموسيقار العظيم على كرسي متحرك إلى المسرح. قابله الجمهور بالتصفيق الحاد والهتاف، بينما كانت تحييه آلات النفخ والطبول. بالرغم من أن الجو كان باردا في تلك الليلة، إلا أن النساء كن يلقين بمعاطفهن عليه.

في 28 مايو عام 1809م، حمله الخدم إلى آلة البيانو. عزف ترنيمة "حفظ الله الامبراطور". ثم رجا الخدم أن يضعوه على السرير. توفي بعد يومين أو ثلاثة في هدوء وسلام.

أبو السيمفونية الحديثة، "بابا هايدن". قرب الموسيقى الكلاسيكية إلى قلوب الناس. موسيقاه، تمتاز بالعذوبة والميلودي والبساطة المتناهية.

15

موزارت

إن كان يوجد بين الموسيقيين معجزات، ف"موزارت" (1756-1791م)، هو معجزة المعجزات، التي عاشت على هذا الكوكب. موسيقاه تمثل الحضارة الإنسانية بأسمى معانيها. سوف يوضح هذا الباب لماذا؟



موزارت

تعالوا معي، نستعرض حياة هذا العبقري الفذ، ونحن نستمتع بموسيقاه الملائكية العذبة، التي ليس لها شبيه أو بديل. لايمكن أن تكون قد أتت، إلا من وحي السماء. شئ لم يرد علينا أو نسمعه من قبل.

لحن من أوبرا لموزارت (Il Re Pastore)، غناء "لوسيا بوب".
Lucia Popp - W A Mozart "Il Re Pastore" - Aminta "L'amero saro costante"،

عندما ولد "ولفجانج أمادياس موزارت"، عام 1756م، كان والده إماما في مصلى دوق "سالزبورج". سوف نبدأ قصتنا بمعجزات الطفل وهو صغير، فهي لاتزال تعرض في المتاحف حتى الآن.

عندما كان يحبو، كان يقترب ممن يعزف على آلة الهارب، ثم سرعان ما يهز رأسه ويدندن بأنغامها الموسيقية. كانت تزعجه الأنغام الغير متناسقة والضوضاء. لا يعجبه من لعب الأطفال، إلا اللعب التي بها موسيقى.

هل حب الموسيقى شئ وراثي؟ يقال أن الطفل يستمتع بالموسيقى وهو لايزال في بطن أمه. فهل كل الأطفال كذلك؟ هل عمل الأب بالموسيقى، أو غناء الأم وهي حامل، له دخل بظهور أم كلثوم وأسمهان وليلى مراد؟

عندما كان عمر "موزارت" خمس سنوات، بعد إلحاح منه، سمح له بالعزف على الكمان، بعد أن حُمل ووضع على كرسي مرتفع، وضعت آلة الكمان أمامه.

بالرغم من أنه لم يكن قد تدرب على اللحن مسبقا، إلا أنه عزف دوره جيدا. بوجه الطفل البرئ، وعيناه الواسعتان، وأنامله الرقيقة، التي تلعب بالأوتار، لابد أنه كان يشبه ملائكة الموسيقى التي صورها رساموا القرون الوسطى.

في هذا السن المبكر، قام بتأليف كونشرتو للهارب. قصاصة الورق التي كتب عليها النوته الموسيقية، لا تزال عليها بقع الحبر، التي عادة ما يلطخ بها الأطفال صفحاتهم المدرسية. جودة التأليف الموسيقي للكونشرتو، أسعدت والده سعادة بالغة.

عندما بدأ في أخذ دروس في الموسيقى، كان يذوب ذوبانا في اللحن، يعالج بيديه الصغيرتين أصعب الجمل الموسيقية، بطريقة تدعو للإعجاب. لقد كان الطفل يعيش ويفكر بالموسيقى.

لكنه في نفس الوقت، كان طفلا رقيقا حساسا، محبا لوالدية ولحياة الأسرة. كان يقول: "بعد الله، يأتي والدي". كان يحب، إلى جانب الموسيقى بالطبع، علم الرياضيات.

كان يلعب ويذاكر دروسه مع أخته الصغيرة التي تكبره بخمس سنوات. هي الأخرى كانت طفلة موهوبة. وكان الأب فخورا بهما، كان يعتبرهما من معجزات الرب.

عندما بلغ "ولفجانج"، عمر 6 سنوات، قرر الأب عمل رحلة بمصاحبة طفليه المعجزتين. قام بزيارة عدة عواصم أوروبية. استغرقت الرحلة ثلاث سنوات. وكان الطفلان يبهران ويبهجان من يستمع إليهما.

عندما وقف الصغير "موزارت" أمام الامبراطورة الرائعة "ماريا تيريزا"، والدة "ماري أنطوانيت" في قصرها المهول، نسي المراسيم الملكية التي درب عليها لهذه المناسبة، واقترب من الامبراطورة. جلس في حجرها، ووضع ذراعيه حول عنقها، ثم قبلها.



الملكة ماريا تيريزا

بعد ذلك، ذهبوا إلى مسرح البلاط، وصعد الأب وهو ممسكا بيد كل طفل، إلى خشبة المسرح. أمامهم تجلس خادمات البلاط الألمانيات الجميلات بملابسهن المميزة.

كان يجلس كذلك، رجال البلاط بسراويلهم الضيقة التي تغطي الركبة، وحبالهم الحريرية المتدلية، ومعاطفهم الساتان المطرزة اللامعة، وشرائط الدانتلا المكشكشة، والبواريك المنمقة والممشطة والمبدرة والمعطرة، والسيوف المطهمة.

في البداية، قام الطفلان بتحية المستمعين. ثم قاما بالعزف فرادا، ثم معا، "دويتو". إما على آلة الأورغن أو الهارب، أوالبيانو أو الكمان. في نهاية العزف، ربت الامبراطور على رأس "ولفجانج" الطفل، قائلا: "أيها الساحر الصغير".

سمح للطفلين بمرافقة الأميرات الصغيرات في اللعب. كان "ولفجانج" الطفل، مولعا بالأميرة "ماري أنطوانيت". عندما انزلق وهو يلعب على أرض القصر الملساء اللامعة المدهونة بالشمع، قامت الأميرة بمساعدته على النهوض من الأرض. فقال لها ببراءة الأطفال: "أنت طيبة، سوف أتزوجك يوما ما".

الشاعر جوته، عندما كان عمره 14 سنة، سمع الطفل "موزارت" في فرانكفورت أثناء هذه الرحلة. قال عنه فيما بعد:"لازلت أتذكر الطفل الصغير، وهو يلبس الباروكة ويحمل سيفه".



الشاعر جوته

في مدينة "هيدلبيرج" جنوب ألمانيا، دهش العمدة من براعة "موزارت" في العزف على آلة الأورغن، إلى الدرجة التي جعلته يأمر بحفر اسمه على الآلة. في فرنسا، استقبل في بلاط قصر "فيرساي".



قصر فيرساي من الداخل

هناك، سحر أداء "موزارت" المتنوع، المستمعين. شعر بالاشمئزاز، عندما رفضت، السيدة الأرستقراطية، عشيقة لويس الخامس عشر، مدام "بومبادور" تقبيله، تساءل الطفل متعجبا من عجرفتها وقلة ذوقها، قائلا: "ألم تقبلني الملكة نفسها؟".

عنما كان في باريس، نشر أول مؤلفاته في هذه السن المبكرة، (7 سنوات): "أربع سوناتات للهارب والبيانو". في ذلك الوقت، كانت الموسيقى الأجنبية شائعة جدا في إنجلترا.

قام الطفلان بالعزف أمام الملك والملكة، في قصر "باكنجهام". وضع الملك نسخة من نوتة موسيقية ل"باخ" وأخرى ل"هاندل"، أمام موزارت، فقام بعزفهما بمهارة بالغة.


قصر باكنجهام من الداخل

في لندن، أعلن عن حفل موسيقي، تحييه: "المس موزارت"، 13 سنة، و"المستر موزارت"، 8سنوات. مع افتتاحيات موسيقية من تأليف الصبي. الملك والملكة، حضرا جزءا من الحفل. سيدات المجتمع كن حاضرات لسماع الطفين المعجزة.

الاهتمام الملكي، جعل كل أنواع الهدايا تنهمر على الطفلين. لعب أطفال، خواتم ذهبية وجواهر، شرائط حريرية، زراير لامعة، أبازيم أحذية، سيوف مطهمة، بواريك، وحتى علب نشوق.

كان الأب حريصا على ألا تفسد، هذه الهدايا، تركيز الطفلين على الموسيقى. فضلا عن أنه كان فقيرا، يريد تدبير مصاريف الرحلة، فكان يحول معظم هذه الهدايا إلى نقود.

وصلوا أمستردام أيام الصوم الكبير للمسيحيين. كانت كل الأنشطة الترفيهية والملاهي مغلقة في ذلك الوقت. لكن، بالرغم من ذلك، صدر إذن خاص، يسمح لهم

بإقامة حفل موسيقي. بحجة، كما قيل في البيان، أن: "الموهبة الرائعة لهاتين الطفلين، هي في حد ذاتها تمجيد لعظمة الرب".

لقد أسهبنا في سرد حياة الطفل "ولفجانج أمادياس موزارت"، بشئ من التطويل، الذي أرجو أن لا يكون مملا، لسبب. لأن حياته فيما بعد، سوف تتباين بشدة، كما سنرى، مع حياته السعيدة الأولى.

عندما كان عمره 12 سنة، دعاه الامبراطور لكي يلحن أوبرا، للعرض في فيينا. جلس "موزارت" لكي يكتب الأوبرا، بينما كان الموسيقيون الكبار ينتفضون غضبا وحسدا. لأنه سمح لطفل صغير لكي ينافسهم في حرفتهم. لذلك، لم تعرض الأوبرا إلا في مدينة "سالزبورج".

زيارة إيطاليا في ذلك الوقت، هي بمثابة جزء من دراسة كل مؤلف موسيقي. لذلك، كان سرور "موزارت" بالغا، عندما أخبره والده بعزمه السفر إلى أرض الأغاني والفن والجندول، إيطاليا.

هذه المرة، بقيت أخته المعجزة بالمنزل مع والدتها. تخبرنا الخطابات التي كتبها موزارت أثناء الرحلة، كم كان سعيدا عندما رأى عجائب إيطاليا، وجلال الموسيقى التي سمعها. كان يوصي أخته بالعناية بكلبها وعصفورها الكناريا، ويسأل عما إذا كان العصفور لايزال يغني على نغمة مفتاح (G).

وصلوا إلى روما في أسبوع الأعياد الدينية. في مصلى "سيستين"، استمع إلى القداس الديني العظيم. عندما كان الحبر الأعظم والكرادلة يركعون أمام المذبح.

هذا القداس، كان هاما بالغ القيمة للإيطاليين. لقداسته وأهميته، لم يكن يسمح بكتابة موسيقاه في نوته موسيقية. من يخالف ذلك، كان يعاقب بالطرد من رحمة الكنيسة.

بعد أن سمع "موزارت" القداس مرة واحدة، كتب موسيقاه من الذاكرة. وعندما ذهب للكنيسة للمرة الثانية، كانت النوته الموسيقية في قبعته، لكي يصحح أي خطأ في كتابتها.

في إيطاليا، حصل موزارت على دبلومات وشهادات تقدير في الموسيقى. منحه البابا وسام "المهماز الذهبي"، الذي يمنح للفرسان.

أيام كثيرة مشرقة مرت أثناء سفر موزارت مع والده، وإقامته لحفلات موسيقية في عدة مدن. لحن لمدينة ميلانو، أوبرا "ميلتياديس". عرضت هناك عام 1770م بنجاح. أخيرا، عادا إلى "سالزبورج"، موطنهما الأصلي. هنا، قام رئيس الأساقفة، بتوظيف الأب والإبن.

كان رئيس الأساقفة، منبهرا بالصغير موزارت. إلا أنه كان منضبطا يدقق في كل شئ، والأجر كان ضئيلا. مما كان يغضب الشاب "ولفجانج". قبل أن يصل إلى سن العشرين، كان "موزارت"يرجو إعفاءه من هذه الوظيفة، والبحث عن غيرها.

سافر "موزارت" بعض الوقت مع والدته. بينما كانا يقضيان فصل الشتاء في "مانهايم"، قابلا الموسيقي "فيبر". سمع موزارت ابنته "ألويشيا" وهي تغني.



فيبر

صوتها الرائع، سيطر عليه سيطرة كاملة. كان مستعدا لترك كل شئ والذهاب مع "فيبر" وابنته إلى إيطاليا. لكن الأبوين تدخلا، لأنه كان صغيرا حتى يربط مستقبله الباهر بأي فتاة. أخذ "موزارت" بنصيحة أبويه، وترك حكاية الحب هذه مؤقتا.

قضى "موزارت" فصلي شتاء 1778 و1779م، في باريس. كان يتذكر الحماس الذي قوبل به هناك عندما كان طفلا. إلا أنه الآن أصبح شابا يافعا. وكانت باريس في حمّى الصراع بين "جلوك" و"بوتشيني".

كان "موزارت" مشمئزا من كل شئ هناك. أضف إلى ذلك، فقده لأمه الحبيبة أثناء الشتاء في باريس. مع أحزانه هذه، سمح له والده بالذهاب إلى ميونخ لكي يرى حبيبته "ألويشيا فيبر"، التي كانت تغني هناك.

لكن "ألويشيا" قابلته بفتور. صدمة كبيرة. ثم ذهب إلى آلة البيانو لكي يغني أغنية مطلعها: "ها أنا أترك الفتاة التي لم تعد تحبني"، ثم أخذ طريقه عائدا إلى بلده "سالزبورج".

كانت الأوبرا الإيطالية، هي الأوبرا السائدة في ألمانيا. عندما كان عمر "موزارت" 24 سنة، بدأ حرفته كمؤلف موسيقى كلاسيكية، بتلحين أوبرا ألمانية. الموضوع، أسطورة يونانية قديمة باسم "أيدومينيو"، ملك كريت.

كان لحن الأوبرا رائعا، لشاب في مقتبل العمر. عمل ناجح بكل المقاييس، مليء بالهارمني. بعد فترة، قرر الإقامة في فيينا. حيث يتنافس الأمراء على رعاية الموسيقى والموسيقيين وإقامة الحفلات وتشجيع حلبات الرقص وعروض الباليه.

هناك تتجمع أيضا كوكبة من المؤلفين الألمان. حقا بينهم تنافس، لكن هذا شئ طبيعي. يوجد أيضا، الامبراطور "جوزيف الثاني"، المحب للأوبرا الإيطالية.

قابل الامبراطور بحفاوة الموسيقي الشاب "موزارت". قابل هنا أيضا الموسيقي فيبر وابنته، بعد أن فقدا أملاكهما، وكانا سعداء بمقابلته. بقي معهما فترة صغيرة من الوقت.

وجد "موزارت"، "كونستانزي"، أقل تفاهة من أختها الكبرى "ألويوشيا". أعطاها دروسا في الموسيقى، في نفس الوقت، كتب أغاني حب لأوبرا جديدة.

كونستانزي

بطريقة ما، اختلطت الدروس بأغاني الحب والغرام. سرعان ما تحول الحب إلى خطوبة. كانت هناك معارضة شديدة، لكن الزواج تم على أي حال عام 1782م.

كان يبغي موزارت من الزواج، الحصول على وظيفة لدى الامبراطور، لكنه لم يحصل على الوظيفة. إلا أن الزواج كان سعيدا بالرغم من ذلك.

منزل "موزارت" كان دائما في فيينا. هناك، كان يعمل موزارت كمدرس، عازف بيانو، ومؤلف موسيقي. وكانت زوجته، بمرحها وحكاياتها المسلية، مصدر إلهام لزوجها، بينما كان يكتب ألحانه الموسيقية الميلودي.

لكن لم تكن شؤون المنزل دائما على ما يرام. "كونستانزي" لم تكن قوية. "موزارت" كان بشوشا، مهملا ومسرفا. كان في بعض الأحيان يجد صعوبة في شراء خبز يومه، ليقيم أود زوجته وأطفاله. هذا أذله وكسر كبرياءه.

مما جعل الأمر يزداد سوءا، كانت هناك عصابات ضد موسيقاه، وكان يشعر أنه لا يقدّر حق قدره. ذات مرة، بينما كان يتحدث في حفل استقبال في أحد المدن، قال: "عندما كنت أعزف هناك، شعرت أن من كان يستمع لي، هي الكراسي والمناضد فقط".

هذا هو الرثاء الحقيقي، لحياة عظيمة، ليس هناك متعة في تسجيل آلامها. لكنه، كان له العديد من المعجبين. كان يتلقى منهم الهدايا الجميلة، مثل الساعات، علب النشوق، والخواتم، وكان يبيعها لتغطية مصاريف البيت، تماما كما كان يفعل والده أثاء رحلته بين المدن الأوروبية وهو صغير لتغطية مصاريف الرحلة.

بالرغم من ذلك، بلغ "موزارت" أوج عبقريته الفنية، عندما، في عام 1784م، لحن أوبرا "زواج فيجارو". أثناء التدريب، كان أعضاء الفرقة الموسيقية، يصرخون من البهجة، ويتوقفون عن العزف قائلين: "عاش موزارت العظيم".

جن جنون فيينا بالأوبرا. الامبراطور، كان مضطرا لحزف بعض الفقرات لكي يجعل زمن الأوبرا معقولا. الألحان كانت لكل الرقصات. ومع هذا، كان الأجر ضئيلا للغاية، إلى الدرجة التي جعلته يعود ثانية لإعطاء الدروس الموسيقية.

أوبرا "زواج فيجارو" كاملة.
Las bodas de Fígaro/Le Nozze di Figaro (subtítulos en inglés)‹Mozart

النص الشعري للأوبرا، يعتبر تكملة لأوبرا "حلاق إشبيلية" ل"روسيني". التي تدور أحداثها في مدينة إشبيلية بإسبانيا. في مسرحية "حلاق إشبيلية"، الكونت "المافيفا"، تمكن عن طريق خادمه "فيجارو" من التودد والفوز ب"روزين" والهرب بها من الدكتور الشرير "بارتولو".

في "زواج فيجارو"، تزوج الكونت من "روزين"، لكن المشكلات كانت مستمرة بسبب سلوكه ومغازلته للنساء. يعود "بارتولو" العجوز، لكي ينتقم من "فيجارو" بسبب المساعدة في إبعاد "روزين" عنه. القصة مليئة بالفكاهة والمفارقات، بها نقد لاذع للمجتمع والسياسة. كل أحداثها وقعت في يوم واحد.



مشهد من أوبرا زواج فيجارو لموزارت

بعد ذلك، استقبل "موزارت" في براغ استقبالا حافلا، سره كثيرا. قام بزيارة الكونت "ثن"، الذي كان هو وزوجته الكونتيسة من أعز أصدقائه.أوبرا "زواج فيجارو" كانت تعرض على المسارح في ذلك الوقت.

في أحد المرات، ذهب "موزارت" إلى دار الأوبرا، فوقف كل المشاهدين عند دخوله، وقاموا بتحيته بالهتاف: "عاش الأستاذ". هذا شجعه على كتابة أوبرا لمدينة براغ.

بعد تفكير عميق، قرر تلحين أوبرا بعنوان "دون جيفاني"، أو "دون جوان". تبين حياة نبلاء أوروبا، في سيرة "جياكومو كازانوفا"، النبيل الإيطالي، الذي كان يتنقل بين المدن، متهور وذاع صيته كزير للنساء. يقابل في النهاية مصيرا مروعا.

لحنها بعد وفاة والده. قصة الأوبرا، عبارة عن صراع بين شبح الموت، والدون. ينتصر شبح الموت، ويأخذ الدون إلى الجحيم، تاركا الابن وحيدا. هذا إسقاط على شخصية "موزارت" نفسه، بعد وفاة والده الذي تركه وحيدا.

هي واحده من الأعمال الكبيرة التي تبنت فلسفة الثورة الفرنسية. تدعو إلى تحمل الإنسان مسؤولياته، الناتجة عن حرية الاختيار، حتى لو كان في ذلك هلاكه.

العجيب، أن "موزارت" لم يكتب جملة موسيقية واحدة لهذه الأوبرا ، إلا قبل عرضها بشهر واحد.

أوبرا "دون جيفاني" ل"موزارت".
Don Giovanni - complete (English Subtitles) (1080 HD)

هناك خارج مدينة براغ، توجد منضدة صخرية في حديقة أحد المنازل. كتب عليها موزارت النوته الموسيقية للأوبرا. بينما كان يلحن الأوبرا، كان يأخذ دوره، من آن لآخر، في ماتش بلياردو.

لم يكتب موسيقى الافتتاحية، إلا في الليلة السابقة للعرض. خلال تلك الليلة، كانت "كونستانزي" زوجته، تحكي له القصص المسلية لكي تبقيه متيقظا. في تمام الساعة السابعة صباح اليوم التالي، يوم عرض الأوبرا، أرسلت النوته الموسيقية، لكي تعمل منها النسخ اللازمة للأوركسترا.

عادة، يتدرب المغنون والممثلون والعازفون على الأوبرا قبل عرضها. هذا حدث بالنسبة لأوبرا "زواج فيجارو"، وكان "موزارت" بنفسه، يقوم بتدريبهم. لكن هذا لم يحدث بالنسبة لأوبرا "دون جوفاني". بالرغم من كونها أحد روائع الأوبرات العالمية.

عاد "موزارت" بعد ذلك إلى فيينا. قام الامبراطور، الذي بدأ يهتم ب"موزارت"، بتعيينه قائد فرقته الدينية. توقف "موزارت" بعد ذلك عن التدريس. لأنه أصبح الآن مشغولا بتأليف الموسيقى لكل الأنواع: أوبرا، رباعية، كونتاتا، قداس، سوناتا، سيمفونية، كونشرتو، سرينادة، أغنية.

يعتبر "موزارت"، أمهر عازف بيانو في عصره. الكل يتحدث عن مدى السهولة التي كانت تتحرك بها أنامله فوق مفاتيح البيانو.

بيانو كونشيرتو رقم 20، ل"موزارت".
K ،Amadeus (Movie/Soundtrack) - Mozart: Piano Concerto #20 In D Minor 466 - 2. Romanza

بيانو كونشيرتو رقم 21، ل"موزارت".
K.467 / Yeol Eum Son،Mozart - Piano Concerto No. 21

بيانو كونشيرو 22، ل"موزارت".
K 482 ،Amadeus (Movie/Soundtrack) - Mozart: Piano Concerto #22 In E Flat - 3. Finale

سنة وراء سنة، ظل يؤلف موزارت الأعمال الموسيقية بكل أنواعها بسرعة، كأنه يعلم أنه سوف يحى حياة قصيرة، يريد أن ينجز فيما تبقى له من عمر، أكبر قدر ممكن من الأعمال الموسيقية.

لم يحن الوقت بعد لإحلال الأوبرا الألمانية مكان الأوبرا الإيطالية، التي كانت سائدة في كل البلاد. لكن الأوبرا الألمانية، كانت تكسب مشجعين يتزايدون يوما بعد يوم. ويرجع الفضل ل"موزارت"، فهو مؤسس الأوبرا الألمانية الحقيقي.

ألف "موزارت" 6 رباعيات، خصيصا ل"بابا هايدن". وكتب يقول:"أبغي عمل شئ لتكريم أستاذي العظيم هايدن". قصص كثيرة تقول أنه كان يحب "بابا هايدن" جدا.

ألف "موزارت" 17 سيمفونية. تبين موهبته في التعبير بالموسيقى عن عواطف مختلفة ومتباينة. منها سيمفونية، (E flat major)، يعتقد أنها تحتوي على ذكريات الطفولة.

سيمفونية (E flat) ل"موزارت".
K ،Amadeus (Movie/Soundtrack) - Mozart: Sinfonia Concertante In E Flat 364 - 1. Allegro Maestoso

سيمفونية رقم 25، ل"موزارت".
Symphony No. 25 in G Minor - Wolfgang Amadeus Mozart

سيمفونية رقم 29، ل"موزارت".
K 201 - 1. ،Amadeus (Movie/Soundtrack) - Mozart: Symphony #29 In A Allegro Moderato

سيمفونية أخرى، (G minor)، تبين نضاله في هذا العالم. قال الموسيقار "فاجنر" عنها: "يبدو أن موزارت كان ينفث في الآلات الموسيقية، عواطفه الإنسانية". سيمفونية "جوبيتر"، هي أشهر السيمفونيات كلها.

سيمفونية رقم 41، جوبتر، (G minor)، كاملة، ل"موزارت".
W. A. Mozart: Symphony nº 41 "Jupiter" - Lorin Maazel - Sinfónica de Galicia

سيمفونية موزارت ال 41، تبين أن أيام الجوع والكفاح قد ولت. مليئة بالبهجة والانتصارات. ألفها "موزارت" في 15 يوما. كتب "موزارت" أيضا، سرينادات وأغاني جميلة، ولكنها لم تكن مشهورة كأعماله الأخرى.

سرينادة رقم 10 لموزارت.
، K 361،Amadeus (Movie/Soundtrack) - Mozart: Serenade #10 In B Flat "Gran Partita" - 3. Adagio

سرينادة لآلات النفخ، ل"موزارت".
W.A. Mozart - Serenade For Winds; K 361; 3rd Movement ("Amadeus" Soundtrack)

مع اقتراب عام 1791م، بدأ يظهر عليه المرض والإجهاد، لكنه كان يواصل العمل. في هذه السنة، لحن الأوبرا الرائعة، "الناي السحري" للعرض في فيينا. عبارة عن حدوته في قالب أوبرالي. النص الشعري كتبه مدير من فيينا، كان يعاني ضائقة مالية.

كان مؤلف النص الشعري يرجو ويلح لكي يلحن "موزارت" الأوبرا. بينما كان "موزارت" يلحن الأوبرا، كان يدعوه إلى بيته، يقدم له الأكل، ويخلق حوله جوا من البهجة والمرح.

لكن بعد انتهاء تلحين الأوبرا، دفع له أجرا زهيدا نظير تلحينها، بالرغم من أن الأوبرا بعد عرضها، كانت السبب في ثرائه.

أوبرا "الناي السحري" كاملة، مع ترجمة إنجليزية، ل"موزارت".
Wolfgang Amadeus Mozart :The Magic Flute (Die Zauberflöte)

هي قصة من مصر القديمة. ملكة الليل، التي تمثل الجهل والكبت، ناشدت الأمير "تامينو"، انقاذ ابنتها "بامينا" من سلطة الحكيم "ساراسترو". الحكيم، يمثل العقل والخير، الذي يقوم بتربية "بامينا" على الفضيلة وحب العلم. هذا لا يرضي الأم بالتأكيد.

صائد الطيور، "باباجينو"، تطوع بالمشاركة مع "تامينو" وثلاث صبيان ملائكة، أرسلوا لكي يمهدوا الطريق. صائد الطيور، يمثل المرح الإنساني الفطري.


أوبرا الناي السحري لموزارت

يمر صائد الطيور بتجارب قاسية برفقة "تامينو"، وهو يحاول تحرير "بامينا". يسعى إلى متع الحياة البريئة، ويقايضها بطيوره. يحمل قفصه ويعزف على الناي في الأزقة وتحت الشرفات.

عندما يصل "تامينو" إلى القلعة، أخذ يعزف على الناي. كل المغريات الممكنة ألقيت في طريقه. لكنه لم يلن، وظل يقاوم. أخيرا، مثل لاختبار الإلهة "إيزيس"، هو و"بامينا" الأميرة.

وضعا في النار ، ثم ألقيا في الماء. لكنهما كانا محميان بالناي السحري. خرجا من الاختبار أنقياء متطهران. آخر ظهور لهما، كان في معبد الشمس. بجوار "ساراسترو"، الذي كان يجلس على عرشه. ملكة الليل، تغوص في الأرض مع اختفاء الشر من العالم، أمام شروق شمس الحقيقة الساطع.

الناي السحري، يجذب الطيور والحيوانات، كما كانت تفعل قيثارة "أورفيوس" في الزمن القديم. إلى جانب الموسيقى العذبة الغريبة، تحتوي الأوبرا على أغنيات جميلة. منها "أغنية صائد الطيور".

أغنية باباجينو:
Wolfgang Amadeus Mozart: Magic Flute ~ Papageno's Aria

كانت هذه الأوبرا مشهورة جدا في فيينا، ولم يمض وقت طويل، حتى أصبحت مشهورة في كل أنحاء أوروبا. بينما كان المشاهدون يتزاحمون أمام دور الأوبرا لحجز تذاكرهم، كان "موزارت" يرقد على فراش الموت.

في الشهر الأخير من حياة "موزارت"، جاءه رجل غريب يلبس ملابس رمادية اللون. ظهر على باب منزل "موزارت" ومعه خطاب، يطلب لحن قداس جنائزي.

الشرط هو أن يتم اللحن قبل تاريخ معين. عندما يتم، يكون سداد الأجر. لكن "موزارت"، لم يكن يعلم لمن سيكون اللحن. المرض والحالة النفسية التي كان يمر بها، جعلته يعتقد أن الرسول جاء من العالم الآخر، ليخبره أن لحن القداس الجنائزي (requiem)، سيكون لجنازته هو نفسه.

بعد ذلك، عرف أن الذي طلب لحن القداس، هو الكونت "فون والزيج". موسيقي هاو، كان حزينا لفقد زوجته. وكان ينوي إعادة كتابة القداس ونشره تحت اسمه هو. لذلك أخفى شخصيته.

استغرق موزارت بكل جوارحة في كتابة اللحن. بينما كان يكتب النوته، كان يظهر عليه الإعياء والتعب. وكانت حياته تنسحب من جسده شيئا فشيئا.

قبل وفاته بيوم واحد، طلب من أصدقاء كانوا بجواره، وهو يرقد في الفراش، غناء جزء من القداس، وكان هو يغني معهم. ثم خفت صوته، وأومأ بالإشارة، طالبا تغيير جزء من القداس.

بعد موته، لحن القداس غير الكامل، ظل ملقى على سريره، بينما العالم كله كان يتحدث عن شهرة أوبرا "الناي السحري".

يوم الدفن، تلقى جثمان "موزارت" البركة في كنيسة "سانت ستيفين"، ثم حمل خلال عاصفة شديدة إلى مدفن "سانت ماركس". هناك، منحت فيينا إلى موسيقارها خالد الذكر، قبرا لا يليق إلا بالفقراء المعدمين. بعد مدة، نقل رفاته إلى مدفن جماعي من مدافن الصدقة، لا يعرف اليوم مكانه.

لكن قداسه الجنائزي، كان يعزف في جنازات العظماء والأكابر الآخرين. بعد مرور 100 سنة على وفاته، أصبح جزءا من الطقوس التذكارية الرائعة. وأصبحت تماثيله توجد في كل أنحاء العالم.

أحد الكرسات الموسيقية، التي تعتبر من كنوز متحف سالزبورج"، بها ألحان موسيقية لعدة مؤلفين. كان الصغير موزارت يعزف ألحانها وهو طفل.

بعض الصفحات، أضاف إليها الأب بخطه عبارة: "اللحن السابق، كان يعزفه ولفجانج، عندما كان عمره 4 سنوات". هناك لحن آخر في صفحة أخرى، كتب عليها الأب: "عندما كان عمره ست سنوات".

حياته القصيرة، 35 سنة، كانت سلسلة من البهجة والأسى. لكن إنجازاته، كانت شيئا آخر. فهو يعتبر عبقرية موسيقية ليس لها مثيل. تفوق في كل أنواع الموسيقى الكلاسيكية: الأوبرا والسيمفونية والكونشيرتو والسوناتا، والسيرانة والأنواع الأخرى.



أستاذ في الإلهام الموسيقي، والهارموني، والميلودي. صيغه الموسيقية، جميلة غنية مليئة بالخيال. في البراعة والأصالة والإتقان، يشبه شيكسبير في الأدب.



شيكسبير



رفائيل

قيل أن لوحات "رفائيل"، لوكانت تنطق، لغنت بأنغام موزارت وألحانه الحلوة. ليس هناك كلمات يمكن أن تصف موسيقاه الساحرة.

بعض المشاهد من فيلم عن حياة "موزارت".
Amadeus: Top 10 Movie Lines

16

بيتهوفن

"الموسيقى التي سمعناها حتى الآن، جميلة. لكن الموسيقى التي لم نسمعها بعد، أجمل وأجمل". الشاعر كيت



بيتهوفن

"لودفيج فون بيتهوفن" (1770-1827م)، هو أهم مؤلفي الموسيقى الألمان، الذين ظهروا في العصر الذهبي للموسيقى الألمانية. ملامح وجهه، من الصعب نسيانها. تنم عن جدة وحدة وعواطف جياشة مكبوتة.

حكايته، تبدأ من نفس البداية المعروفة. طفولة بائسة، تتسم بالجهد والعرق. صراع مرير ضد ظروف غير مواتية وغير رحيمة. جده الهولندي، كان يعمل في شبابه، قائد أوركسترا في فرقة موسيقية عسكرية بمدينة "أنتويرب" في بلجيكا. كان الجد، في نفس الوقت، يعزف على آلة الأورغن في كنيسة "سانت جاك".

بعد ذلك، انتقل الجد إلى ألمانيا عام 1770م. استقر به المقام في مدينة بون، في الوقت الذي ولد فيه "لودفيج". الأب كان يعمل مغني "تينور"، لكنه من النوع الذي لا يصلح لشئ، أينما توجهه لا يأتي بخير. لذلك فقد وظيفته، ولم يبذل أي جهد للعناية بأسرته.

لكن الجد، حاول المساعدة بقدر ما يستطيع. كان الصغير "لودفيج" هو تسليته الوحيدة. لكن للأسف، الأيام الحلوة لا تدوم. مات الجد، وبيتهوفن لم يبلغ من العمر سوى 4 سنوات.

الأم الطيبة الصبورة، لم تدخر جهدا. فعلت كل ما في وسعها، لكن الأسرة كانت تزداد فقرا يوما بعد يوم. كانت تمر بهم أيام سوداء. شقاء وجوع، في هذا المسكن الكئيب بمدينة بون.

الأب، كان في حزن ويأس دائمين، لكن جاءته يوما، فكرة عظيمة. كان قد سمع عن عائلة "موزارت" وابنها الصغير المعجزة. وكيف كان الأب يطوف بابنه بلاد كثيرة في أوروبا، لكي يعزف "ولفجانج" ويبهر الملوك والأمراء.

إذا كان "موزارت" الصغير معجزة، ف"بيتهوفن الصغير"، يمكن أن يكون معجزة هو الآخر. لماذا لا يستغل نبوغ ابنه المبكر، في إعالة الأسرة وتغطية مصاريفها؟

على الفور، بدأ الأب في إعطاء ابنه الصغير البالغ من العمر خمس سنوات، دروسا مكثفة في الموسيقى والعزف على آلة الهاربسكورد. وهي شبيهة بآلة البيانو، غير أنها تعطي بالضغط الخفيف أو الشديد على مفتاحها نغمة واحدة، بعكس البيانو الذي يعطي نغمة منخفضة أو مرتفعة حسب شدة الضغط عليه.



آلة الهاربسكورد

كان الأب يجبر الطفل الصغير على مواصلة التمرين ساعات طويلة، في الليل أو النهار. متناسيا حقه في اللعب والنوم. مما جعل الصغير "لودفيج" يكره الموسيقى، وأي شئ يمت إليها بصلة.

لحسن حظ "بيتهوفن"، والإنسانية أيضا، فكر الأب في الاستعانة بمدرس خصوصي جيد، للمساعدة في تعليم ابنه. بدأ الطفل يتحسن شيئا فشيئا، ثم سريعا. وبات يحب الموسيقى.

حبه الأول، كان لآلة الأورغن. لذلك، سمح له بالدراسة مع "نيفي"، عازف الأورغن للبلاط. كان هناك أيضا راهب في دير بالقرب من مسكنهم، أبدى اهتمامه بالطفل، وقدم له مساعدات كثيرة.

لكي يتبع "بيتهوفن" خطى "موزارت"، أخذته أمه وهو في سن العاشرة، إلى جولة في هولندا. أقام هناك حفلات موسيقية في عدة مدن. لكن النقود التي حصل عليها كانت قليلة، والرحلة كانت كئيبة. لا بهجة فيها ولا سعادة.

عند عودته، قرر أن لا يذهب إلى هولندا مرة ثانية. في نفس الوقت، كانت ثقته في نفسه ومهارته الموسيقية، تزداد يوما بعد يوم. كان في أحيان كثيرة، يأخذ مكان "نيفي" في العزف على آلة الأورغن بالكنيسة.

في سن الثانية عشر، ألف بعض السوناتات الموسيقية. كان يسمح له بالعزف على الهاربسكورد في دور الأوبرا. لكنه لم ينس دراسته المدرسية. كان يجيد اللغة الألمانية والفرنسية واللاتينية والإيطالية.

"بيتهوفن"، رومانسيات كمان رقم 2.
Itzhak Perlman - Beethoven Violin Romance No. 2 , Op. 50

بينما كان يدرس ويؤلف ويعزف، سنة وراء سنة في بون، كانت رغبته في مقابلة "موزارت" المعجزة، تزداد يوما بعد يوم. في عام 1787م، رتب له بعض الأصدقاء، رحلة إلى فيينا.

هناك، استقبله العظيم "موزارت استقبالا حسنا. بعد أن استمع "موزارت" لعزف "بيتهوفن" لقطعة موسيقية من تأليف "موزارت"، طلب منه أن يرتجل العزف. أي يعزف، بدون نوته، ما يحلو له. بدأت أصابع "بيتهوفن" تداعب مفاتيح البيانو في مهارة وسهولة. إذ بالغرفة تمتلئ بالموسيقى العذبة الرائعة.

دهش "موزارت"، استغرق في السماع، ثم مال على أحد الأصدقاء، وقال له: "راقبوا هذا الشاب. لأن شهرته سوف تملأ الآفاق يوما ما".

بينما كان في فيينا، جاءت الأخبار الغير سارة، بأن والدته مريضة جدا. أسرع في العودة. الرحلة كانت طويلة وشاقة جدا. لكن الأم، الوحيدة في هذا العالم، التي كانت تفهمه وتقدر عواطفه، توفيت. ظل يبكيها ويقول: "كانت تسمعني عندما كنت أشكي لها همي، وأقول يا أمي. فمن أنادي اليوم؟"

تصرفات الأب كانت تزداد سوءا يوما بعد يوم. كان "بيتهوفن" يتولي أمره والإنفاق على البيت. بالرغم من ذلك، كان دائم العطف على والده. وكان يغضب بشدة، إذا أساء إليه أحد، أو وجه إليه إية إهانة.

عاد "بيتهوفن" إلى "بون". هناك بدأ في إعطاء دروسا في الموسيقى. لحسن حظه، كان تلاميذه من عائلات محترمة غنية. كان بيتهوفن غريب الأطوار بعض الشئ، لكن هذا لم يكن يمنع الناس من التقرب له وطلب صداقته.

من معجبيه في مدينة "بون"، الكونت الثري "والدشتين"، الذي كان يقدم خدماته له بصفة مستمرة. في الوقت المناسب، أهداه بآلة بيانو فخمة، كان في أمس الحاجة إليها.

مدام "فون بروننج"، كانت بمثابة أم ثانية له. كانت تفهم صمته جيدا، عندما كان يمر بحالة تأمل وإلهام. قادته لمعرفة أدب شيكسبير وميلتون وجويه. كانت تراقب نموه الثقافي عن كثب.

مرت السنون وهو في مدينة "بون". في سنواته الأخيرة، عندما أصابه الصمم والشقاء، كان يتذكر هذه الأيام ويعتبرها أسعد أيام حياته. ظل في "بون"، حتى وفاة والده عام 1792م.

قرر بعد ذلك، الذهاب إلى فيينا، أكبر مركز للموسيقى في ذلك الوقت. أحضر معه شهادات تذكية، من أعلام مشهورين في "بون". فتحت له أبواب النبلاء. حاول الدراسة مع "هايدن"، لكنه لم يعجب بطريقته.

بحث عن أساتذة آخرين. بالرغم من أنه كان يقول، لم أتعلم من "هايدن" شيئا، إلا أنه، في سنواته الأخيرة، كان معجبا بموسيقاه. لكن موسيقى "موزارت" هي الموسيقى التي كان يعشقها بيتهوفن، ويفضلها على أية موسيقى أخرى.

آلة البيانو أصبحت الآن هي البديل لآلة الهاربسكورد في المنازل. وبات استخدام البيانو، كآلة مصاحبة، للأغاني وأنغام الأوبرا والمقطوعات الصغيرة، هي موضة تلك الأيام. كان "موزارت" و"بيتهوفن"، هما أوائل عازفي البيانو المشهورين.

بدأت شهرة "بيتهوفن"، كعازف بيانو، في الانتشار في فيينا. كان يدعى بصفة مستمرة للحفلات الموسيقية كضيف شرف. كان لشخصيته سحر مغناطيسي.

ما أن يدخل في مكان ما، إلا ويعرف الجميع قدومه. حفلاته الخاصة في الصالونات، كانت بهجة للسامعين. ارتجالاته الموسيقية كانت أكثر من رائعة.

"فالنتينا ليزيتسا" تعزف على البيانو جزءا من سوناتا 57 "لبيتهوفن".
Beethoven Sonata Op 57 "Appassionata" Mov3

الأمير "ليشنوفسكي" وزوجته الساحرة، كانا يعيشان في ذلك الوقت في فيينا. كانا محبين للموسيقى، لهما أوركسترا خاص بهما، ملحق بالقصر.

كانا منبهرين بالشاب غريب الأطوار "بيتهوفن"، يرجوانه الإلتحاق بالعمل لديهما في البلاط. قبل "بيتهوفن" العرض، بشرط أن يعفى من التقاليد والرسميات والالتزام بالإيتيكيت.

ربما كان من الأفضل، إلتزام بيتهوفن بهذا الشرط. لأنه كان في أمس الحاجة، لهندمة وتلميع ملبسه وسلوكه لمثل هذه المناسبات. قضى "بيتهوفن" في قصر الأمير، وتحت رعايته، سبع سنوات. يقود الأوركسترا ويؤلف الرباعيات ويحي الحفلات، التي تقام كل يوم جمعة في القصر.

خلال نفوذ الأمير وزوجته، بدأت شهرة "بيتهوفن" في الازدياد شيئا فشيئا. بعد موت "موزارت" المبكر، أصبح "بيتهوفن" هو عبقري الموسيقى الأوحد، الذي تتمكز فيينا كلها حوله.

بعد أن طبقت شهرته الآفاق، كان لزاما عليه أن يظهر أمام العامة. لذلك، قرر ترك بلاط الأمير، والعمل بمفرده. المستقبل، يبدو ملئ بالأمل والرجاء.

لكن، كما يقول المثل: "المؤمن مصاب". أو كما تقول الرواية، أن أحد المعجبين قال ل"موزارت"، بعد أن أبدع في عزفه: "على رسلك يا هذا. لو ظللت تعزف هكذا، ستموت مبكرا. فالآلهة لا تحب المنافسة". ها هو بطل قصتنا "بيتهوفن"، وهو في قمة مجده، يصاب بالصمم.

السبب، يرجع إلى عدم اهتمامه بصحته في معظم الأحوال. ففي أحد الأيام، عندما كان يكتب الموسيقى في أحد الحدائق، أمطرت السماء. لكنه كان مستغرقا في التأليف، غير عابئ بالسيول المنهمرة، حتى أصبح غير قادر على الكتابة على الأوراق المبللة. أصيب في ذلك اليوم بالبرد، الذي نتج عنه الصمم.

ذهب إلى طبيب بعد طبيب للعلاج. لكن بدون فائدة. الصمم يزداد يوما بعد يوم. لم تعد أعلى أصوات الأوركسترا أو هدير موجات التصفيق الحادة تصله.

"بيتهوفن" رجل خجول. في البداية، سبب له المرض إنهيارا كليا. لأنه لا يريد أن يُعرف عنه جمهوره أنه أصم. أخيرا، باح بسره لتلميذه "رايز"، عندما كانا يقضيان أجازة سويا في الغابة. ولم يعد يسمع موسيقى زقزقة العصافير وأغاني الرعاة.

في وحدته القهرية هذه، كرس نفسه أكثر وأكثر للموسيقى. أصبحت تملأ قلبه وعقله، ولم تدعه يستريح. هذه الفترة، وهذه الروح، هي التي جعلت منه "بيتهوفن"، ووضعته في مكان أعلى من كل عباقرة الموسيقى الذين عاصروه أو سبقوه.

قال في يوم من الأيام: "من يستطيع أن يغوص في روح موسيقاي، سوف يعلو ويسمو فوق آلام هذا العالم". في الواقع، موسيقى "بيتهوفن" تمثل متعة حقيقية وصداقة روحية فريدة للموسيقى.

من أجمل أعماله الآتي: أوبرا "فيديليو". اللحن الديني (oratorio) "جبل الزيتون"، الذي يضاهي في الجودة أعمال "هايدن" و"هاندل". لحن القداس في (D). افتتاحيته الموسيقية، "إيجمونت و كوريولانس". رباعياته الوترية. وأغانيه الرائعة.

قداس "بيتهوفن" مع ترجمة إنجليزية.
Missa Solemnis, Beethoven -Conducted by Sir Colin Davis

كل الموسيقيين الكبار لحنوا أوبرات، لماذ لا يلحن هو الآخر أوبرا؟ لذلك، جاءت أوبرا "فيديليو". هناك في حدائق "شونبرون" الامبراطورية، مقعد بين أشجار البلوط، كان يجلس عليه "بيتهوفن"، وهو يكتب ألحانها.

أوبرا "فيديليو"، تختلف عن باقي الأوبرات، في أن لها أربع افتتاحيات. قال عنها "شوبرت"، أن كل منها أجمل من التي سبقتها. النص الشعري الإسباني للأوبرا، يصف قصة زوجة مخلصة. تتخفى لكي تنقذ حياة زوجها النبيل المسجون.

الألحان مليئة بالرقة. تعتبر من أحسن الألحان الغنائية التي ظهرت على المسارح. لكن أحداث الأوبرا نفسها، أحداث عادية. لذلك، مشاهدة الأوركسترا، وهو يعزف ألحانها، أكثر متعة من مشاهدة أحداثها حية على المسرح.

"فيديليو" كاملة ل"بيتهوفن".
Beethoven "Fidelio - complete" Roma 1996

المسكين "بيتهوفن"، يبذل قصارى جهده في البروفات لأول عرض. لكنه لم يكن يستطيع سماع الأخطاء والنشاز في الأداء. كان في حالة غضب وألم نفسي بسبب الصمم، جعله يلقي عصاه على الأرض.

إذا أردنا حقا أن نعرف موسيقى وأسلوب "بيتهوفن"، سنجدهما في السوناتا والسيمفونيات التي قام بتأليفها. السوناتا، عبارة عن قالب موسيقي يحوي ثلاث أقسام رئيسية : العرض، التفاعل، المرجع.

حركاتها بالترتيب: سريع، بطئ، سريع. كلمة "سوناتا"، تعني إصدار الصوت من آلة موسيقية (أو أكثر). "كونتاتا"، تعني الغناء بالصوت البشري. في الواقع، "السوناتا" هي سيمفونية مصغرة.

في هذه القوالب الموسيقية، بين "بيتهوفن" كل الخلجات والانفعالات، التي يمكن أن يمر بها الإنسان. انتقاله من حالة مزاجية إلى حالة مزاجية أخرى، يتم بسهولة متناهية وعبقرية فذة.

لكن، أي الأعمال يمكن أن نختار لهذا الباب؟ التذوق الموسيقي يختلف من شخص لشخص. ما يعجبني، ليس بالضرورة هو الذي يعجب القارئ؟ فهل نختار سوناتا 17 للبيانو (العاصفة)، أم السوناتا البهيجة (E flat major)، أم سوناتا "ضوء القمر"؟

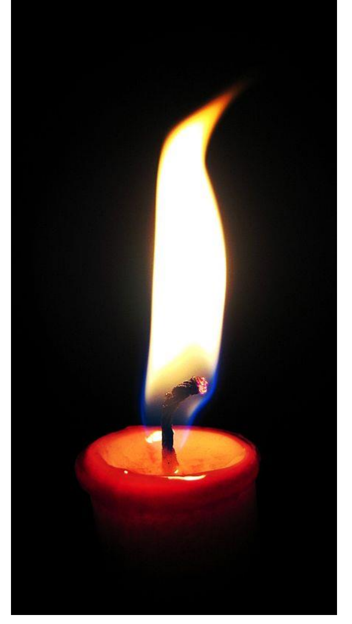
في أحد الليالي القمرية، كان "بيتهوفن" وصديق له، يتجولان في شوارع فيينا المظلمة. توقفا أمام منزل، يصدر منه لحن سوناتا من تأليف المايسترو. قال "بيتهوفن" لصديقه، دعنا ندخل".



في ليلة قمرية

عندما دخلا بدون إذن للمنزل، وجدا شابا يجلس ويقوم بصناعة زوج أحذية. بجواره أخته، فتاة عمياء تعزف على آلة هاربسكورد قديمة. اتجه كلاهما للقادمين، فقال "بيتهوفن": "عذرا لتطفلنا، لكنني سمعت الموسيقى. فهل تسمحا لي بالعزف لكما؟"

جلس "بيتهوفن" على آلة الهاربسكورد، وبدأ العزف. ترك الشاب الحذاء الذي في يده. مالت الفتاة العمياء إلى الأمام لكي تركز على تتبع النغمات التي بدأت تنساب في الغرفة.


ارتعش لهب الشمعة ثم انطفأ

بعد فترة قصيرة، ارتعش لهب الشمعة الوحيدة، ثم انطفأ نورها وعم الظلام الدامس.

أسرع الشاب بفتح النافذة. فغمر ضوء القمر كل أرجاء الغرفة. الموسيقى أصبحت أكثر وهجا وإشراقا. الآن، ترقص الحوريات، وجنيات الماء، وربات الفن والشعر والعلوم التسع، في ضوء القمر الساحر.


ربات الفنون التسعة يرقصن مع الإله أبوللو

سوناتا ضوء القمر ل"بيتهوفن"، عزف "فالنتينا ليزيتسا".
Valentina Lisitsa - Moonlight Sonata Op.27 No.2 Mov.1,2,3 (Beethoven)

لعبت الموسيقى برأسي الأخوين، وأصابتهما بالدوار. عندما توقف العزف، صاحت الفتاة بالنشوة قائلة: "أنت بيتهوفن". ثم ترك بيتهوفن مقعده، وودع مضيفيه. هرول عائدا لمنزله لكي يكمل سوناتا ضوء القمر للبيانو. أشهر سوناتا في عالم الموسيقى.

السيمفونية، عمل رائع موسيقى، يقوم بأدائة مجموعة هائلة من الآلات الموسيقية والأصوات البشرية. وضع أصولها، "هايدن" و"موزارت". لكن خيال "بيتهوفن" بالنسبة للسيمفونية، فاقهما. رفع "بيتهوفن" السيمفونية، إلى آفاق أعلى وأرقى، غير مسبوقة. في الواقع، السيمفونية هي الدليل الحقيقي على عبقرية وسمو "بيتهوفن" في عالم الموسيقى.

يعرف بيتهوفن جيدا، وهو يؤلف للسيمفونية، كيف يفاجئ المستمع. قام باستبدال الألحان الراقصة في سيمفونيات "هايدين"، بألحان تملؤها البهجة والسعادة.
سيمفونياته التسع، مثل إلهات الشعر والفن والعلوم التسع، "الميوزات". سوف نذكر بعضها هنا.

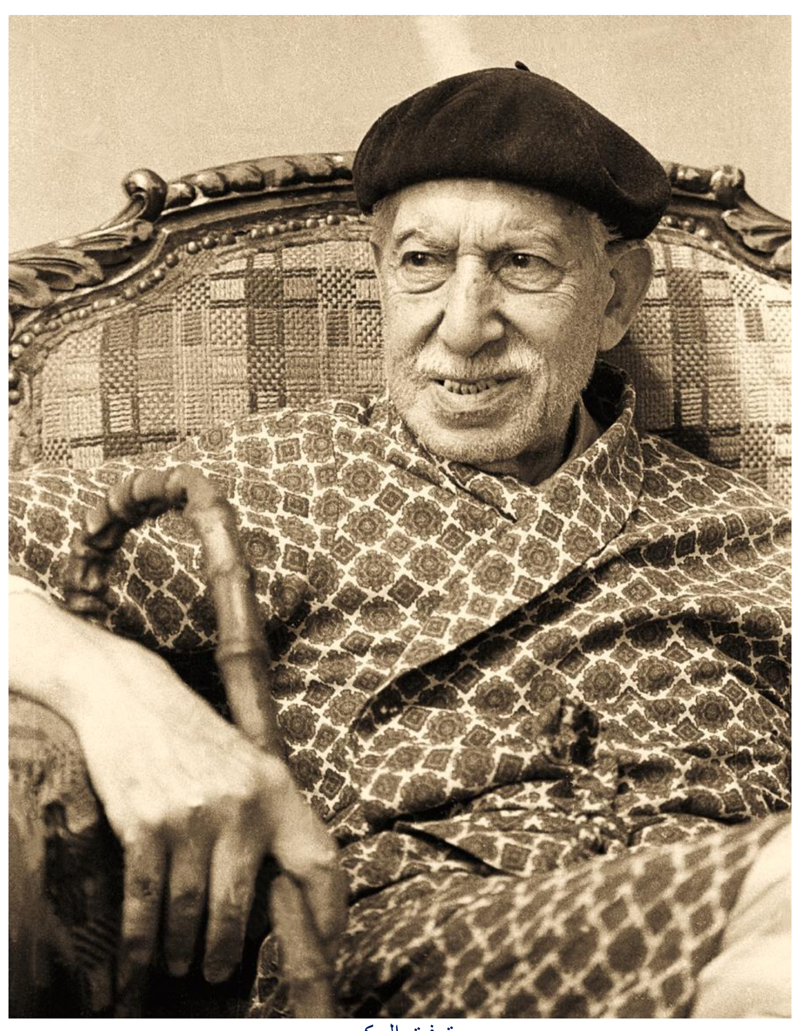
السيمفونية الثالثة، "إرويكا"، كانت دائما هي سيمفونيته المفضلة. كان مهتما بأحداث عصره. حبه لفلسفة أفلاطون، جعلته متحمسا لكل الأفكار التي جاءت في كتاب الجمهورية لأفلاطون. لذلك، كان معجبا بنابليون بونابرت وأفكار الثورة الفرنسية.

سيمفونيته، "إرويكا"، تبين النضال من أجل الحرية. ألفها تكريما لاسم "نابليون". قبل نشرها، علم أن نابليون أعلن نفسه امبراطورا على فرنسا. صعق "بيتهوفن" وشعر بخيبة أمل كبيرة. غير رأيه، وقرر إهداء السيمفونية إلى الأمير "لوبكوفيتز".

السمفونية الثالثة (إرويكا)، لبيتهوفن.
Beethoven: Symphony No 3 in E flat major, 'Eroica' - BBC Proms 2012 (Daniel Barenboim)

السيمفونية الخامسة، هي الأخرى تمثل نضال الإنسان من أجل الحرية، المتوج بالنصر في النهاية. كان الشاعر "جوته"، يتأثر بهذه السيمفونية أكثر من أي عمل آخر.

كاتبنا المسرحي العظيم، توفيق الحكيم، كان مغرما بهذه السيمفونية إلى درجة كبيرة، ويعتبرها من أحسن أعمال "بيتهوفن". اقتبس محمد عبد الوهاب جزءا منها في أغنيته، "أحب عيشة الحرية".



توفيق الحكيم

السيمفونية الخامسة لبيتهوفن.
Beethoven: Symphony no.5 - Heinrich Schiff conductor [HD]

عندما كتب "بيتهوفن" موسيقى السيمفونية السادسة (الريفية)، كان يستمد ألحانها من الطبيعة والمراعي والحقول، التي كان يحبها حبا جما.

غناء الطير وزقزقة العصافير، خرير المياة في الغدير، حفيف أوراق الشجر يداعبها النسيم، أشعة الشمس الذهبية، تتسلل بين الأغصان لكي تفرش أرض الغابة بالدنانير المضيئة، كما يقول شاعرنا الرائع المتنبي:

غَدَوْنَا تَنْفُضُ الأغْصَانُ فيهَا--- على أعْرافِهَا مِثْلَ الجُمَانِ
فسِرْتُ وَقَدْ حَجَبنَ الحَرّ عني--- وَجِئْنَ منَ الضّيَاءِ بمَا كَفَاني
وَألْقَى الشّرْقُ مِنْهَا في ثِيَابي--- دَنَانِيراً تَفِرّ مِنَ البَنَانِ



أوراق الشجر يداعبها النسيم

ثم يأتي الغيام والعاصفة والمطر، لكي تطل على المشهد. يتبعها الهدوء ورضاء الطبيعة وشروق الشمس الذهبية. المصحوب بالبهجة وأغاني الرعاة الجميلة.

إذا كنت حديث عهد بالموسيقى الكلاسيكية، فهذه هي السيمفونية التي تبدأ بها. جميلة ورقيقة ومهدئة للأعصاب. لا تحتاج لخبرة مسبقة لسماع الموسيقى الكلاسيكية. تصلح للعلاج النفسي والكآبة بعد سماع نشرات الأخبار هذه الأيام.

حاول تتبع آلة واحدة، ثم اثنتين، ثم ثلاثة، إلى أن تستطيع تتبع كل آلات الأوركسترا. لاحظ كل آلة، متى تعلو ومتى تنخفض، ومتى تسرع ومتى تبطئ، ومتى تبدأ ومتى تختفي، ليحل محلها أخرى من نوعها أو من نوع آخر.

حاول تتبع اللحن الأساسي، ومتى يتكرر في كل حركة. وما هي الألحان المساعدة. وكيف تتفاعل وتتعارض وتتحد. لاحظ المفاجآت، وقرعات الطبول، التي تمثل ضربات القدر والحرب، والنغمات الحادة التي تمثل الأنوثة، والغليظة التي تمثل الذكورة، وهكذا.

تذوق الموسيقى الكلاسيكية، يحتاج إلى تدريب وسنوات طويلة من الاستماع المركز. لا يشترط أن تكون عازفا أو دارسا للموسيقى، يكفي أن تكون مستمعا. لكن النتيجة مضمونة، آفاق جديد من المتعة والبهجة، بدون خروج على القانون أو أعراض جانبية.

السيمفونية السادسة (الريفية) ل"بيتهوفن".
Beethoven: Zesde symfonie/Symphony no. 6 - LIVE concert HD

الطريقة الوحيدة للتخلص من عبودية "النفس"، عند الفيلسوف "شوبنهاور"، هي الموسيقى. لكن الموسيقى أنواع. بالطبع لم يقصد "شوبنهاور" الموسيقى الشبابية. من نوع "بوس الواوا".

فقط الموسيقى بدون كلمات وبدون تصور، أي الموسيقى التأملية. الموسيقى التي تزهد في كل ما له علاقة بالواقع ورموزه. هذه هي الموسيقى التي تجعلك تهرب من آلام هذا العالم إلى النقاء والصفاء والنيرفانا. هدف كان يجاهد في تحقيقة أفلاطون وبوذا والصوفيون، منذ أمد بعيد.

السيمفونية السابعة، ألفها بيتهوفن وهو يعاني من ضعف السمع، وحالته تزداد سوءا يوما بعد يوم. نابليون في ذلك الوقت، كان يدفن قتلاه بالآلاف وهو يغزو روسيا. قال عنها فاجنر أنها سيمفونية تمجد الرقص، وخصوصا الحركة الثانية.

الحركة الاولى: بطيئة ثم مندفعة، تشبه تدفق الأنهار وتكسرها فوق الصخور.
الحركة الثانية: تجعلك تعيش فوق أجنحة النغم كما قال جوته عنها.

الحركة الثالثة: سريعة تدل على الإشراق وهي من أشهر ألحان بيتهوفن.
الحركة الرابعة: حركة سريعة راقصة ومرحة، تمجد الإيقاع كما قال عنها الموسيقار ليست.

سيمفونية بيتهوفن السابعة.
Beethoven: Symphony No. 7 - Royal Concertgebouw Orchestra & Iván

السيمفونية التاسعة (الكورالية)، من ناحية الصياغة، بلغت قمة التأليف الأوركسترالي. يبدو أنها سوف تظل كذلك بين كل روائع المؤلفات الموسيقية الكلاسيكية.

سيمفونية "بيتهوفن" التاسعة بقيادة "بيرنشتين". لاحظ حجم الأوركسترا الضخم.
Bernstein - Beethoven no. 9. - Berlin - Freedom concert

السيمفونية التاسة، هي صورة لحياة "بيتهوفن". آلامه وصراعة مع الحياة، أيام سعادته، آماله. يختتم هذا العمل الجبار بترنيمة شكر وتمجيد للرب الخالق، ليس لها مثيل في عالم الموسيقى الذي نعرفه.

عزفت أول مرة في فيينا عام 1821م. قام "بيتهوفن" بدعوة البلاط للحضور. كل فيينا كانت هناك. قام بقيادة الأوركسترا بنفسه. كان يلبس معطفا أخضر اللون لا يناسب جسمه، ولا يرقى للمناسبة.

المستمعون ينصتون لموسيقى لم ترد على أسماعهم من قبل. تأتي من السماء. بعد عزف آخر نوته في السيمفونية، كانت هناك عاصفة مجنونة من التصفيق.

لم يسمع "بيتهوفن" شيئا، وظل جالسا في مقعده، ظهره للجمهور. قام أحد العازفين بلمسه لكي يستدير ويرى بنفسه الوقوف والأيادي التي تلوح بالمناديل، والقبعات والمعاطف التي تطير في الهواء. فوقف وقام بتحيتهم بهدوء بإنحناءة منه.


الدوق ويلينجتون

يجب أن نذكر هنا أيضا سيمفونية المعركة. هي ليست ضمن السيمفونات التسع الموزيات ل"بيتهوفن". كتبت بمناسبة انتصار الدوق "ويلينجتون" على الفرنسيين في "فيتوريا".

سيمفونية المعركة ل"بيتهوفن".
Ludwig van Beethoven - La Victoria de Wellington (Sinfonía de Triunfo)

من أعماله الرائعة الأخرى:

كونشرتو الكمان ل"بيتهوفن"، عازف الكمان "أيزك برلمان"، عزف رائع ومقدرة فذة.
Giulini conducts Beethoven .Violin Concerto.Itzhak Perlman

كونشرتو البيانو رقم 5 (الإمبراطور)، ل"بيتهوفن"، عازف البيانو "أرثر روبنشتين"، عزف رائع ليس له مثيل.
Arthur Rubinstein Beethoven Piano Concerto No. 5

جاء مرة لكي يعزي أحد الصديقات، مات نجلها. قال لها: "اليوم سوف نتحدث بالموسيقى". ذهب إلى آلة البيانو، ظل يعزف لمدة طويلة. ثم نهض واقفا. ترك المنزل دون أن ينطق بكلمة واحدة. لقد واسى المرأة الحزينة بما هو أجل من كلمات العزاء.

كان "بيتهوفن"، عاشقا للطبيعة. يقول، لا أحد يحبها مثلي. كان يقضي نصف العام، يتجول بدون هدف في الغابات وبين التلال والأودية. يمر بالقرى والنجوع المحيطة بمدينة فيينا. هو مثل الشاعر "وردزورث"، معظم إلهاماته، أتت من خلال تنزهه وتجواله بين أحضان الطبيعة.



الشاعر وردزورث

كان يحمل كراسته. يدون بها خواطره التي غالبا ما تتحول إلى أعمال رائعة. بعد الأحيان يدون بها نوادر وأحداث يمر بها. انتقل إلى سكن جديد، كان قد استأجره صديق له.

سأل صاحب المسكن: "أين الأشجار؟". أجاب: "لا توجد أشجار هنا". قال "بيتهوفن": "إذن، لن أستأجر هذا المسكن. إنني أحب الأشجار أكثر من الناس".

لم يتزوج في حياته. لكن، كان له حنين لحب المرأة وحنانها. بالرغم من تركيزه على الموسيقى، كانت له صداقات نسائية رقيقة حانية. بعد إصابته بالصمم، أصبح يعتمد على خدمات أصدقائه أكثر. كانوا يقابلون هذا بود بالغ. يقدمون له أطباق الطعام الشهية، يرفون جواربه، ويحيكون ثيابه.

الكونتيسة "جولييت جويكاردي" و"تيريز دي برونزويك"، اسمان يرافقان اسمه. السيدة الأولى، أهداها سوناتا "ضوء القمر"، وأغنيته المشهورة "أديلادي". تزوجت من الكونت، لكن يقال أنها كانت دائما تحب "بيتهوفن".

Beethoven - Adelaide, Op 46

كونتيسة "برونزويك"، كانت هي بطلة أوبرا "فيديليو". أهداها السيمفونية الخامسة، وأعمالا أخرى. أرسل لها عدة رسائل غرامية. كانت تحفظها دائما في سلة. بعد موته، كانت تذهب إلى قبره كل عام، وتضع علية بعض من رسائلها.

بالنسبة لعالم الموسيقى، يقارن "بيتهوفن" ب:"هومير"، "دانتي"، "شيكسبير"، "ميلتون"، و"مايكل أنجلو". كريم ذو قلب رحيم. كاثوليكي متدين، متحفظ دائما بالنسبة للمواضيع الدينية.

مثل باقي مؤلفي الموسيقى العظام، لا يعرف إدارة شؤونه الاقتصادية. في بعض الأحيان، كان يقاوم بقسوة طغيان الفقر. بسبب إصابته بالصمم، كان يلقى معاملة سيئة من الخدم. في أحد الأيام، فقد أوراق نوته موسيقية لقداس جنائزي. بعد بحث شاق، تبين أن الطباخ، كان قد استخدمها ليفة لدعك الأواني في المطبخ.

في سنته الأخيرة، كانت صحته تتراجع باستمرار. لكنه كان يجد العزاء، في موسيقى "هايدن" وأغاني "شوبرت"، الذي كان يميل إلي موسيقاه أكثر.

أثناء مرضه الأخير، اشتدت أزمته المالية. فقبل عرضا من جمعية لندن الموسيقية، لشراء بعض أعماله بمبلغ 100 جنيه استرليني. في أثناء عودته من زيارة أخيه "جوهان"، أصيب بالبرد. مما تسبب في مرضه الذي لم يبرأ منه.

كان الشاب "فرانك شوبرت" وأصدقائه القدامى، بجواره حتى النهاية. في عام 1827م، عندما كان محمد على باشا الكبير يحكم مصر، فارقتنا روح العظيم "بيتهوفن"، وصعدت إلى بارئها في يوم ممطر عاصف. بكت الأمطار، وعبرت الغيوم وأصوات الرعد ووميض البرق وهبوب الريح عن غضبها وحزنها لفراق هذا العظيم الرائع.

حمل نعشه، ثمانية من مؤلفي الموسيقى إلى الكنيسة. يتبعهم 32 من حاملي الشعل. كان حاضرا، الملوك والأمراء والشعراء والموسيقيون وكل فيينا. 25 ألف شخص صاحبوا النعش لمثواه الأخير، حتى المقبرة في "وارنج". كتب على شاهد قبره كلمة واحدة: "بيتهوفن".

17

فيبر

"كارل فيبر" (1786-1826م)، مؤلف موسيقي عظيم. آخر العظماء السبعة الخالدين في عالم الموسيقى الكلاسيكية: "باخ"، هاندل"، "هايدن"، "جلوك"، "موزارت"، "بيتهوفن"، و"فيبر".



فيبر

الأب، من النبلاء، كان ثريا، لكنه بدد ثروته وثروة زوجته الأولى. أصبح بعد ذلك معدما قلقا، مبذرا، غريب الأطوار. توفت زوجته وتركت له عائلة كبيرة من الأطفال. كان يتجول من مكان لمكان، لا يستقر له حال.

كان يجيد العزف على آلة الكمان، يرأس فرقة متنقلة، يتجول بها بين البلاد. كل أولاده، كانوا ممثلين وموسيقيين، يعملون في فرقته. يحبون الموسيقى وحياة المسرح والتمثيل.

عندما بلغ الأب الخمسين من العمر، تزوج من فتاة لا تتعدى السادسة عشر من العمر. تزوجها، لأن صوتها جميل يفيد فرقته. "كارل ماريا"، بطل قصتنا، هو ابنها الوحيد. ولد في "يوتن-هولشتاين" عام 1786م.

كان عليلا، يشتكي طول عمره من مرض عضال في عظام الحوض، سبب له عرج دائم. أول معرفته بهذا العالم، كانت من خلال أنوار المسرح وملابس الممثلين وتبادل الأدوار. الأطفال الذين كان يلعب معهم، كانوا أطفال الممثلين، وفي بعض الأحيان، أطفال الغجر.

ما لاحظه أثناء طفولته، جعله يتقن، فيما بعد، حرفة عمل ديكورات المسرح وتصميم الملابس. من ثم، أصبح مدير مسرح ممتاز. زوجة "موزارت"، تنتسب إلى عائلة "فيبر". قصة زواجه منها، مذكورة في الباب السابق الخاص بحياة "موزارت".

حكاية الطفل العبقري المعجزة، كانت شائعة في كل أنحاء أوروبا في ذلك الوقت. لذلك، قرر الأب أن يكون ابنه "كارل"، أيضا معجزة موسيقية، مثل "موزارت" و"بيتهوفن". فقام بتدريبه على الغناء والعزف على البيانو حتى قبل أن يتقن الكلام.

في سن السادسة، أعطاه والده آلة كمان. لم يكن الطفل يتقدم في العزف كثيرا في بادئ الأمر. قال له أخوه الأكبر، إنك قد تستطيع أن تكون أي شئ، لكنك لن تستطيع أبدا أن تكون موسيقيا.

لكن الأب كان مصرا. سلمه لأساتذة موسيقى محترفين، لكنهم لم يستطيعوا مساعدته كثيرا. الطفل ضعيف البنية، ذو العينين الزرقاوتين الواسعتين والصوت المعبر الرقيق، كانت له أحلامه وأهواؤه الخاصة.

عندما بلغ كارل الثانية عشر، حزن حزنا بالغا لمرض والدته الطيبة، وابتعادها ببطء عن حياته. بعد فترة، قرر الأب، وقد تعب من التجول لزوم أكل العيش، أن يستقر أخيرا مع أسرته في مدينة "ميونخ".

هناك، تظاهر بأنه جنرال متقاعد. كان يصر على أن يدعى "الميجور فون فيبر". لكنه لم يستطع الاستقرار في عمل واحد. حاول عمل عدة أشغال ومشاريع، لكنه فشل فيها جميعا.

عندما بلغ "كارل" سن السابعة عشر، أُرسل إلى فيينا للدراسة. هناك، قابل "هايدن" و"بيتهوفن". وُضع تحت إشراف عازف الأورغن "آبي فوجلر". "فوجلر"، كان مدرسا ممتازا. رجل متعدد المواهب، واثق من نفسه.

هو أيضا أديب ورحالة. قام بعدة رحلات سفاري، إحداها رحلة إلى "جرينلاند". لكن الأمر كان صعبا على "كارل"، كي يستقر في عمل منتظم. لسوء الحظ، تعرف على عصابة ماجنة، عرّضته للعديد من التجاوزات.

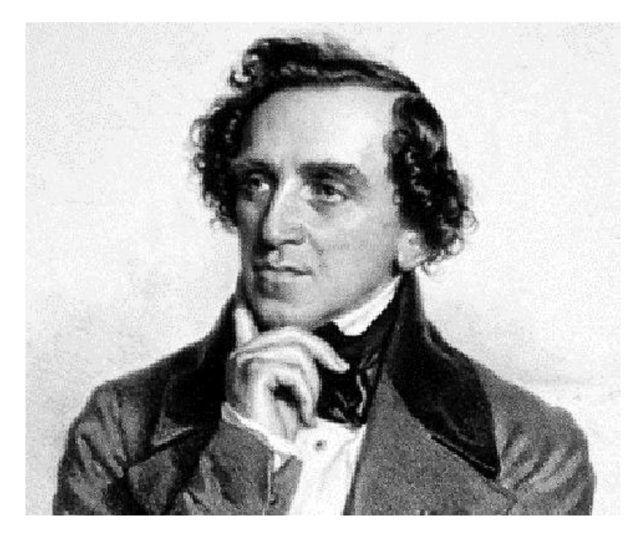
بعد أن ترك "فيبر" فيينا، أخذ يتنقل بين بلاط الأمراء مع والده، الذي كان في حاجة مالية بصفة دائمة. أخيرا، حصل كارل على وظيفة سكرتير خاص للأمير "لودفيج"، أخو ملك "فورتمبيرج"، وهي مقاطعة تقع جنوب غرب ألمانيا.

لم يكن هذا مكانا مناسبا للشاب "كارل". لأن الأمير كان رجلا مبذرا ومبددا. كان دائم الطلب والعون المادي من أخيه الملك، عن طريق سكرتيره.

مما جعل الأمر يزداد سوءا، تورط الأب في مشاكل مالية مع الأمير. لكن "كارل"، وقف إلى جوار والده، وهذا هو الواجب. إذ بالأب والأبن يختفيان فجأة من "فورتيمبرج".

بعد ذلك، استقر بهما المقام في "مانهايم". بعد الرعب الذي واجهه "كارل" ووالده، وهروبهما الكبير من "فورتيمبرج"، قرر "كارل" أن يأخذ الأمر بشئ من الجدية. في الواقع، بدأت هنا حياته الفنية.

كان له قبل ذلك عمل أوبرالي من فصل واحد بعنوان "أبو حسن"، يعتبر أول نجاح له.
MMF: Abu Hassan


ميربير

ذهب "كارل فيبر" إلى "دارمستادت" للدراسة ثانية مع "آبي فوجلر". قابل هناك الشاب "ميربير"، عازف البيانو الممتاز، الذي يبلغ من العمر 17 سنة.

نمت بينهما صداقة حميمة. كان "آبي فوجلر"، المدرس، سعيدا جدا بهذه الصداقة. كان يقول، سوف أكون حزينا جدا، إذا قدر لي مغادرت هذا العالم قبل أن أربط هذين الموهوبين بصداقة تقيدهما معا. هناك شئ بين جوانحي، أريد أن أنجزه ولكنني لا أستطيع إنجازه، لكن هذين الشابين سوف يفعلانه من أجلي.

في أحد الأيام، كان يبحث "كارل" مع الشاعر "كيند"، بين الكتب القديمة في مكتبته، عن نص يصلح لأوبرا جديدة، فوجدا مجموعة قصص عن العفاريت. بينها قصة أعجبتهما كثيرا.

هي أسطورة الصياد "بارتروش". قضى "كارل" والشاعر ليلة كاملة وهما يخططان لأوبرا جديدة. حدث هذا سنوات عديدة قبل ظهور أوبرا "دير فريشوتز" أو "الصياد".

بعد ذلك، ظل "فيبر" يقيم حفلات موسيقية في مدن مختلف لعدة سنوات. كان عازف بيانو ممتاز، بالرغم من كونه عصبي بعض الشئ بسبب مرضه الذي سبب له العرج. كان يخفف ألمه، استقبال الناس له وإعجابهم بأدائه.

هناك شئ واحد، ربما يكون أكثر من أي شئ آخر، جعل الشباب الألماني يحب ألحان "فيبر". وهو أغانيه الوطنية الملهمة. في ذلك الوقت، كان الشعور الوطني في تزايد مستمر.

باريس كانت قد سقطت، ونفي نابليون إلى جزيرة "إلبا" في إيطاليا. جو الحرب كان يخيم على كل البلاد.



نابليون بونابرت

كانت أشعار "كورنر" الغنائية، في كتابه "القيثارة والسيف"، تثير الحماس والإعجاب. كان "فيبر"، يقرأ ل "كورنر"، ويعيد قراءة أشعاره، مرات عديدة، ثم يحولها إلى موسيقى وأغاني وطنية، تؤرخ لما يحدث في هذا العهد.

لم يستقر ب"فيبر" المقام في مكان واحد، إلا بعد وفاة والده. قبِل بعد ذلك وظيفة مدير الموسيقى في "براغ". هناك، ألقى بثقله الموسيقي وخبرته لكي يرقى بالأوركسترا الذي يقوده إلى أعلى مستوى.

هنا، كون "فيبر" صداقات كثيرة. قام مع فرقته بعرض عدة أوبرات على المسرح. من بينها أوبرا "فيديليو" لبيتهوفن، المليئة بالروائع. كان يتعجب لكونها لم تلق ما تستحقه من حماس الجماهير.

لكن في ذلك الوقت، كانت أعمال "سبونتيني" الإيطالية، هي التي تلهب حماس الجماهير. لم يكن في استطاعة "فيبر" أن يجعل الألمان مغرمين بموسيقاهم الألمانية.

أثناء هذه السنوات، ألف "فيبر" مقطوعات "سوناتا" و"كونتاتا". "السوناتا" تكتب لآلة موسيقية واحدة أو أكثر، و"الكونتاتا" تكتب لآلات موسيقية مصاحبة لصوت واحد أو أكثر.

له "كونتاتا" مشهورة بعنوان "الكفاح والنصر"، للاحتفال بالنصر في موقعة "وترلو". أعجب بها الألمان، وأصبح لحنها معروفا في كل ألمانيا. لكنه لم يكن مرتاحا من منافسة مؤلفي الأوبرا الآخرين. فقام بالاستقالة من وظيفته عام 1816م.

في نفس العام، دعي إلى مدينة "درسدن" لكي يصبح قائد فرقة مصلى ملك ساكسون. الملك، بالرغم من حبه للأوبرا الإيطالية، إلا أنه كان يعتقد أن الوقت قد حان لتشجيع الأوبرا الألمانية.

وقع "فيبر" في غرام ممثلة شابة، "كارولين براندت". عندما كانت تلعب أحد الأدوار في أعماله المبكرة. بعد العرض، قامت بجذب الشاب الخجول إلى المسرح لكي ينحني تحية للجمهور. تزوجها "فيبر" وتركت مكانها على المسرح. بعد رحلة شهر عسل قصيرة، استقر العروسان في عش الزوجية السعيد.

بعد الزواج، جاءت فترة الإلهام والإنتاج. لحّن "دعوة إلى الرقص" وأهداه إلى زوجته، لحّن قداس جنائزي عظيم (Mass in E flat)، كونتاتا "جوبلي" للاحتفال بمرور 50 سنة على حكم ملك "ساكسونيا".

دعوة إلى الرقص، "كارل ماريا فون فيبر".
Invitation to the Dance (Le Spectre de la Rose) Carl Maria von Weber

كونتاتا "جوبلي"، ل"فيبر".
Carl Maria von Weber - Jubel Ouverture, Op. 59 (Giuseppe Sinopoli & Sächsische Staatskapelle)

هنا، فقد غريزة حب التنقل، التي ورثها عن والده. كان يتمتع بحياة الاستقرار التي وفرتها له زوجته، وبدأ يؤلف ألحانه. لكن المرض لعين، لا يترك أحدا لكي يرتاح.

أحد أعماله الأوبرالية الأساسية، "بريشيوسا". بنيت على حكايات "سيرفانتس"، أو "شرفنطح" كما نقول بالعامية. "بريشيوسا"، فتاة غجرية من مدريد. كانت في الأصل

طفلة ألمانية من عائلة محترمة، خطفها الغجر وقاموا بتربيتها. كانت تسحر القلوب بغنائها العذب.

وقع في غرامها نبيل إسباني شاب. تخفى في ملابس صياد، وتعقبها لكي يحظى بحبها. بمرور الوقت، عرفت حقيقة أصلها وعادت لعائلتها، وتم زواجها من النبيل المتخفي في صورة صياد.

افتتاحية "بريشيوسا" ل"فيبر".
Weber - Preciosa - Vienna / Böhm

منذ سنوات عديدة، و"فيبر" تدور في رأسه فكرة أسطورة شعرية خيالية. مبنية على حكاية قديمة لشيطان، أبدى استعداده لمنح قواه السحرية لصياد فقير، مقابل امتلاكه لروحه.

النص الشعري للأوبرا يتلخص في الآتي:

"ماكس"، صياد حيوانات شاب، يقع في غرام الغادة الجميلة الألمانية "أجاثي". قام بخطبتها. لكي يكون جديرا بحبها والزواج منها، عليه أن يثبت أنه صياد ماهر ويفوز في سباق الصيد. ظل طوال اليوم يبحث عن صيد ثمين، لكنه لم يفز في اليوم الأول للمسابقة.

"كاسبير"، الزميل الماكر، يغري "ماكس" بالذهاب إلى وادي الذئاب، لكي يأتي بالرصاصة المسحورة التي سوف تحل كل مشاكله. يذهب "ماكس" إلى هناك، فيسمع أصواتا مرعبة.

في نفس الوقت، تجلس خطيبته "أجاثي" في انتظاره في بيتها. عندما تأخر عنها، شعرت بالقلق والحزن الدفين، لا تدري ما قد حدث ل "ماكس". فتذهب لتبحث عنه.

يتجمع الناس لمشاهدة "ماكس". يظهر "ماكس" ويطلق رصاصته المسحورة. وإذا بها تصيب "كاسبير" وتقتله. يعترف "ماركس" بذنوبه، وتصلي "أجاثي" من أجله. ويحكم عليه بقضاء سنة تحت المراقبة، حتى يثبت أنه جدير بخطيبته.

ظهرت الأوبرا أول مرة في برلين عام 1821م، بمناسبة الذكرى السنوية لموقعة "ووترلو". المسرح كان ممتلئا بالجمهور المتحمس. عند دخول "فيبر" المسرح، هبت عاصفة من التصفيق.

كان عليه أن يترك عصاه ثلاث مرات قبل أن يبدأ في قيادة الأوركسترا. في نهاية المقدمة الموسيقية للأوبرا، وقف الجمهور لا يريد الجلوس قبل أن يعيد الماسترو عزف المقدمة مرة ثانية.

أروع أعمال "فيبر"، أوبرا الصياد، "دير فريشيتز".
Carl Maria von Weber Der Freischutz, Carlos Kleiber

افتتاحية أوبرا "فيبر"، تختلف عن افتتاحيات أوبرات من سبقوه. في كونها عبارة عن تلخيص لأحداث الأوبرا كلها. خلال لحن الأوبرا نفسه، نجد "رباعية آلة الهورن"، ونسمع صوت الغابة. نجد أيضا "أغنية الشراب"، و"أصوات الصيادين".

الموسيقى الكئيبة تصور وادي الذئاب، ثم تأخذك الموسيقى إلى ذروة النشوة. في النهاية، تدوي عاصفة من التصفيق. عبارات الإعجاب والإطراء، تنهال على "فيبر" كالمطر.

الأخبار السارة بنجاح "فيبر" بلغت طول البلاد وعرضها. ألحان أوبرا الصياد أصبحت تغنى وتعزف في كل مكان، حتى في المناطق الجبلية النائية.

أوبرا الصياد، بموسيقاها العاطفية الملتهبة، وضعت "فيبر" في مقدمة ملحني الأوبرا العظام. ولأنها أوبرا ألمانية صرفة، فهي قد مست شغاف قلب الألمان.

أعجب بها العظيم "بيتهوفن" وقال عنها: "لم أكن أتوقع أبدا عملا بهذه الجودة من فيبر. فيبر يجب أن يؤلف أوبرات فقط. أوبرا وراء أوبرا." وعندما زار "فيبر" "بيتهوفن"، قال له "بيتهوفن": "إنك زميل ماهر. ربنا معك".

بعد أوبرا الصياد بعامين، ظهرت أوبرا "يوريانثي" ل"فيبر" في فيينا. كانت هي الأوبرا المفضلة في ألمانيا، وكان يعتبرها "فيبر" من أحسن أعماله الموسيقية. لكنها تأثرت بضعف حبكتها الدرامية ونصها الشعري، الذي كتبته شاعرة عجوز.

افتتاحية أوبرا "يوريانثي" ل"فيبر".
Carl Maria von Weber - Euryanthe Overture (Janowski/SSD)
أوبرا الصياد، كانت مشهورة في إنجلترا. لذلك، دعاه "تشارلز كيمبل" لكي يلحن أوبرا إنجليزية، لعرضها في "كوفينت جاردن" بلندن. نصحه الأطباء بعدم الذهاب لأسباب صحية. لكن العرض كان مغريا ماديا، وهو يحتاج إلى المادة.

لذلك، لحن "فيبر" أوبرا "أوبيرون"، وجاء بها إلى إنجلترا. بنيت على أسطورة قديمة باسم "ويلاند". تبين الشجار بين الملك "أوبيرون" و زوجته الملكة "تيتانيا"، عن موضوع الرجل والمرأة وأيهما أشد إخلاصا من الآخر.



الرجل والمرأة

اشتد بهما الشجار إلى الدرجة التي قررا حسمها، عن طريق إرسال "بك"، لكي يبحث لهما عن، رجل وامرأة، مخلصان لبعضهما البعض، في كل الظروف وكل الأحوال. وقرر "أوبيرون" و"تيتانيا" الانفصال، إن لم يجدا هذين المخلصين.

بالرغم من العواصف الشديدة وغرق السفينة والرق، بقي الدوق "هيون"، وخطيبته الحبيبة مخلصين لبعضهما. بعد أن حسم الأمر، عاد الملك "أوبيرون" لزوجته الملكة "تيتانيا".

افتتاحية أوبرا "أوبيرون" ل"فيبر".
Carl Maria von Weber: Oberon

الأوبرا مليئة بالجان والجنيات والعفاريت، يرقصن في ضوء القمر. حوريات البحر، يسبحن بين الأمواج. بينهن العفريت "بك"، يمرح ويقضي وقتا سعيدا. الموسيقى ساحرة، مع أن "فيبر" كان يحتضر في ذلك الوقت.

لحن من أوبرا "أوبيرون" ل "فيبر".
Weber:Oberon - Fatime's aria Act 3; Julia Hamari.wmv

استقبلت الأوبرا استقبالا حسنا. قام "فيبر" بعرضها 12 مرة، لكن صحته كانت في النازل، إلى الأسوأ ثم الأسوأ. كانت له رغبة أخيرة في العودة لألمانيا.

بينما كان يستعد للعودة، فارق الحياة عام 1826م في لندن، في بيت الضيافة للسير "جورج سمارت". عُزف لحن القداس ل"موزارت" في جنازته. بعد ذلك ب 18 سنة، وبتأثير من "فاجنر"، نقل رفاته إلى مدينة "درسدن" بألمانيا.

بالنسبة لأعماله، فهي تصور في أوبراته البهجة والمرح، سواء كانت في عمق الغابة السوداء الألمانية، أو بين فرسان العصور الوسطى. الموسيقى الميلودي، مستوحاة من أغاني الفلكلور الألماني، التي أتقن أصولها "فاجنر" فيما بعد.



الغابة السوداء الألمانية

مثل "شوبرت"، لحن "فيبر" العديد من الأغاني والسوناتات للبيانو. ألحانه كلها، شعرية تصويرية. قال عنها "بيتهوفن" يوما: "إلى مثل هذه الموسيقى، يجب أن نستمع". وعندما يتكلم "بيتهوفن"، يجب أن نستمع.

كونشيرتو البيانو رقم 1، ل "فيبر".
Carl Maria von Weber Piano Concerto 1 in C Major

18

شوبرت

يتميز كل ملحن موسيقي بموهبة خاصة. "فرانز شوبرت" لا يشذ عنهم، وربما يفوقهم جميعا. لحسن الحظ، وجدت كلمات شيكسبير وجوته وريخت وهين، من يصوغها أغنيات عذبة، ويغلفها بألحان رقيقة، أمثال "شوبرت" و"شومان". ميزة "شوبرت" التي تفوق فيها على أقرانه، هي تلحين الأغنية. فقد لحن في حياته القصيرة، ما يزيد على 600 أغنية.


شوبرت

حياة "فرانز شوبرت" (1797-1828م)، ما هي إلا صراع ونضال، ممزوجان بالأمل والإلهام. لم ينتج عن هذه الحياة القصيرة البائسة، 31 سنة، سوى القليل من الشهرة أو الاعتراف بمكانة مرموقة في عالم الموسيقى، إلا بعد وفاته.

لم يتسن له العزف أو المثول بين يدي الملوك والأمراء العظام، ولم يتلق تكريما من الدول، أو إعجابا من الجماهير على أعماله. قصة حياته باهتة فاترة، خالية من كل الألوان والبريق واللمعان. لا تقارن بحياة عمالقة الموسيقى الذين ورد ذكرهم سابقا.

هو ابن ناظر مدرسة ابتدائية. كان يعيش في أحد ضواحي فيينا. ولد عام 1797م، أي قبل الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت على مصر بسنة واحدة.

التحق بمدرسة والده وعمره 5 سنوات. بعد ذلك بفترة قصيرة، اكتشف والده غرامه بالموسيقى. تولى أستاذ موسيقى تعليمه. كان يبدى تقدما ملحوظا.

كان يذهب، هو وصديق له، لمصنع آلات البيانو. يجلس على الكرسي، ورجلاه لا يكادان يلامسان الأرض، ليعزف ألحانه. صوته الجميل، وهو صبي، ساعده على الالتحاق بجوقة موسيقية، سمحت له بالعزف على الأورغن.

كان الأب يرغب في أن يلتحق ابنه "فرانز"، بجوقة الامبراطور. لذلك، عندما بلغ سن الحادية عشر، كان مستعدا لامتحان القبول بالجوقة. عندما ظهر أمام هيئة الممتحنين، ظل الصبية الآخرين يتهكمون علي ملابسه، ويسخرون من سمار بشرته وبريق عينيه وانتفاخ وجهه وقصر شعره.

كان "فرانز" يسمعهم يتهامسون، ولكن كل ذلك قد توقف بالكامل عندما بدأ يغني. التحق بالجوقة منذ ذلك الوقت، وبدأ يظهر مع الصبية الآخرين على المسرح، بملابس الجوقة القصيرة الرسمية المزينة بالحبال والأشرطة الدانتيل الذهبية.

سمح له بالالتحاق بمدرسة "ستادتكوفيكت". هناك، تيسر له دراسة كل أعمال عمالقة الموسيقى الكبار. كان يبذل كل جهد للاستذكار والتمرين، إلى الدرجة التي جعلت أحد أساتذته يقول عنه: "لقد تعلم كل شئ عن الموسيقى، ويبدو أن الرب كان مدرسه". كان عقله، حتى في صغره، يفيض بالموسيقى.

لم يكن في مقدوره، شراء كراسات الموسيقى الخاصة بالكتابة الموسيقية. كان أحد الأصدقاء الأثرياء، يشتريها له. وكان، لكي يقتصد في الثمن، يشتري الورق الأبيض العادي، ثم يقوم بتسطيره بالقلم الرصاص، لكي يصلح للكتابة الموسيقية.

ظل "فرانز شوبرت" ملتحقا بالجوقة حتى سن السادسة عشر. في سن المراهقة هذه، تتغير نبرات الصوت. لذلك، فقد وظيفته في الجوقة، وعاد لكي يساعد والده في إدارة المدرسة الابتدائية.

قضى ثلاث سنوات، يعلم الأطفال. لم يتوقف خلالها عن التأليف الموسيقي. ألف ألحانا لموسيقى الحجرة والسيمفونيات والأوبرا وأكثر من مئة أغنية في تلك الفترة. من بينها، أشهر أعماله: "واندرر" وتعني الهائم، و"إيرل كنج". الأخيرة، قام بتأليفها في أقل من ساعة زمنية. لابد أنها كانت ساعة تجلي أو إلهام شديد.

الهائم، "واندرر"، ل "فرانز شوبرت".
Kempff plays Schubert, Wanderer Fantasy

"آفي ماريا"، أداء رائع ل "ميلوسيا لورسي"، لحن "شوبرت".
André Rieu & Mirusia - Ave Maria (New High Quality Video)

في ساعة عصرية، بعد أن ترك العمل بالمدرسة مبكرا، أخذ قطعة شعرية ل"جوته"، وأخذ يقرأها مرارا وتكرارا. بينما كان يقرأ، كان يتخيل أمامه رعب الغابة، وأنين الرياح وصرير الهوام.

رأى أيضا الأب والطفل، على صهوة جواده، يركض في جنح الليل البهيم، يسوقهما الخوف والوجل. فقام شوبرت بترجمة شعورة وخياله الجامح، إلى ميلودي وأنغام موسيقية.

عندما أنتهى "شوبرت" من تلحين "إيرل كنج"، عاد إلى المدرسة، وأخذ يغني ألحانها مع تلاميذه. سمعه ناظر المدرسة، فأعجب بها وأثنى على لحنها. لو لم يلحن "شوبرت" غيرها، لكان لحنها كفيلا بجعله مشهورا في عالم الموسيقى. هو الآن، سنوات عديدة قبل ان يعرف لحنها المغنون.

"إيرل كنج"، شعر جوته ولحن "شوبرت.
Schubert_ Der Erlkönig (D328) - subtitled in English

ل"شوبرت" صديق ثري، "فرانز فون شوبر"، كان يلح عيله ويرجوه بصفة دائمة لكي يترك التدريس المرهق، ويذهب للعيش معه في قصره.

أخيرا رضخ "شوبرت"، وذهب لكي يعيش كفرد من عائلة "شوبر". يؤلف الموسيقى في الصباح، ويستمتع بالتريض وقت العصاري. هنا، بقي "شوبرت" مدة سنتين.

في عام 1818م، قبل وظيفة في بلاط الكونت "استرهازي"، الذي ينتمي إلى أسرة عريقة محبة للموسيقى. هناك، قضى صيفا في مقاطعة الكونت في المجر.

كان شوبرت خلال هذا الشهر منبهرا ومأخوذا بالميلودي المجرية الساحرة، التي يشوبها شئ من الغرابة والغموض. هذه الأنغام والميلودي الساحرة، أعطته الكثير من الأفكار والاقتراحات التي قام باستخدامها في ألحان أغانيه.

قام "شوبرت" أيضا، بتعليم الموسيقى لبنات الكونت. في وقت قصير، وقع "شوبرت" في غرام الكونتيسة "كاثرين" الشابة. التي كانت في الواقع، منبهرة بعبقريته الموسيقية، وكانت تعامله بقدر إعجابها بفنه.

في أحد الأيام، قامت بلومه، لعدم تكريس أيا من مؤلفاته لها، فأجابها بقلب ملئ بالحب: "ما الفائدة، لقد أخذتي كل أعمالي". لكنه لم يكن يجرؤ على طلب يدها. بسبب حدوتة كل الأزمان وكل البلدان، السيدة العريقة صاحبة الثروة والجاه، والحسب والنسب والألقاب، و الموسيقي الشاب الفقير، اللي على باب اللّه.

لم يكن "شوبرت"، يعرف الكثير من النساء في حياته. قد نجد من الغرابة بما كان، أن ملحن أغاني الحب العذبة هذه، له حظ قليل من العلاقات النسائية. في الواقع، كان يسخر من أحاسيس أصدقائه العاطفية، ويدعي أمامهم أنه عدو المرأة.

لم يرقص أبدا، لكنه كان يرتجل وقت المرح، لمدة ساعات، موسيقى راقصة لكي يرقص علي أنغامها الآخرون. موسيقى "الفالس"، التي أتت من "تيروليز" شمال إيطاليا، بدأت تنتشر في أوروبا، وتأخذ مكان موسيقى الرقصات الكلاسيكية (مينيوت).

موسيقى الفالس ل"شوبرت"، عازف البيانو "باولو بردوني".
Paolo Bordoni plays Schubert, Valses Sentimentales D 779, from Vinyl EMI 1977


جوهان شتراوس

كان "شوبرت" من أوائل الموسيقيين الذين قاموا بتطوير موسيقى "الفالس". ثم يأتي "شتراوس" فيما بعد، لكي يبلغ بموسيقى الفالس حد الكمال.

فالس "الدانوب الأزرق" ل "جوهان شتراوس".
Johann Strauss II - The Blue Danube Waltz

كان "شوبرت" خجولا. لكن عندما يلتف حوله المعجبون به، لكي يغنون ويعزفون موسيقاه، كان يندمج معهم، وينسى حكاية الخجل هذه. كان إلى حد ما كسولا. لا يعرف كيف يقدم نفسه للمجتمعات الراقية، ولا كيف يجعل موسيقاه تنال ما تستحق من الشهرة.

قضى "شوبرت" معظم حياته، حالما، هائما. حاول دائما الحصول على وظيفة ثابتة. لم تكن له مهارة "موزارت" أو "بيتهوفن" في العزف على الآلات الموسيقية. إنما كان يعزف على البيانو، مصاحبا لأغانيه، بجودة عالية إلى حد ما.

كانت تمر عليه فترات اكتئاب، وفترات بهجة. يتمتع بطبيعة خجولة رقيقة ودماثة خلق، لم يتعود الشكوى إلى أحد.

إلى جانب رفاقه الطيبين، كان له الكثير من الأصدقاء أصحاب النفوذ، الذين كانوا يتوقعون نجاحه. من بين هؤلاء، "فوجل" المطرب المشهور، الذي لم يدخر وسعا في غناء ألحانه على الدوام التي بلغت 600 أغنية.

بعد رفض لحن "إيرل كنج"، لشوبرت، من اثنين من الناشرين، قام أصدقاؤه بشراء لحنها مساهمة فيما بينهم. منذ تلك اللحظة، بدأت تعرف أعماله. لكن، ما حصل عليه من ثمن بيعها، كان زهيدا للغاية.

الغريب أنه كان يجد سهولة بالغة في التلحين وسط الزحام والضوضاء، أو بين صخب الأصدقاء. لحنان ساحران من ألحانه، "سيرينادة" وأغنية من "سيمبلين"، كتبا بينما كان محاطا بالأصدقاء، يقضون جميعا وقتا ممتعا في أحد المقاهي.

لحن "سيرينادة" ل"شوبرت".
SCHUBERT - SERENADE Performed by Itzhak Perlman

أحد الأصدقاء كان معه كتاب صغير ل"شيكسبير". سقط الكتاب على الأرض، فانحنى "شوبرت" والتقطه، وقرأ بعضا من شعر "شيكسبير". بينما كان يقرأ، كانت الكلمات تتحول في الحال إلى ألحان أغنية. أخذ يبحث عن ورقة لكي يكتب فيها اللحن.

أخذ يصرخ قائلا: "عندى لحن ميلودي جميل في رأسي يناسب هذا الشعر. لو كنت فقط أجد بعض الورق". أحد الأصدقاء لم يجد إلا فاتورة بيع معه، فأعطاها ل"شوبرت". الذي قام على الفور بكتابة اللحن على ظهرها.

الكثير من أغانيه، يمكن مقارنة ألحانها بلوحات الفنانين الهولنديين. لأن كلاهما، يصور مشاهدا من الحياة اليومية. هذا يعبر عنها في لوحته، وذاك يضعها في أنغامه.

"أغنية النائم"، الأم تهدهد طفلها لكي ينام. في مشاهد أخرى، الطفل يلعب بلعبته، والصبي صائد الأسماك يغني في قاربه، الذي يطفوا على سطح البحيرة وقت العصاري. الصبّية تجلس أمام بيتها تغزل بمغزالها. يتوهج شعرها الذهبي بضياء شمس الأصيل. صدي الأنغام يردد هذه اللحظات الأبدية، أبد الآبدين.

"أغنية النائم" ل"شوبرت".
Slumber Song Schubert

أوبرات "شوبرت" مليئة بالجمل اللحنية الممتعة، لكنها ككل، ينقصها الوحدة الدرامية، لذلك يطويها عالم النسيان اليوم. لأن عبقرية "شوبرت" تتجلى في التعبير عن العواطف المتقلبة التي تظهر في الأغاني القصيرة، أكثر من الأعمال الطويلة الكبيرة. إلا أنه لحن الكثير منها أيضا. مثل: القداس والسوناتا والرباعية والسيمفونية.

السيمفونية التاسعة (C major)، المشهورة ب (The Great)، ألفها في أواخر أيامه. كانت تعتبر في وقتها، سيمفونية طويلة صعبة الفهم. لكن، بعد ذلك عندما سمعها الموسيقار "شومان"، تكلم عنها بحماس بالغ. ووصفها بأنها لحن سماوي لا يجب أن ينتهي.

السيمفونية التاسعة (The Great)، ل"شوبرت"، لحن سماوي لا يجب أن ينتهي.
Schubert Symphony.9 Sawallisch／Wiener Philharmoniker

السيمفونية الثامنة ل"شوبرت" تسمى "السيمفونية الناقصة". لأنها تتكون من حركتين فقط، معظم السيمفونيات يتكون من ثلاثة أو أربع حركات أو أكثر.

بعض النوت الموسيقية التي تركها "شوبرت"، تدل على أنه كان عاقدا العزم والنية على إكمالها إلى أربع حركات. لكنه لم يفعل لمدة 6 سنوات قبل وفاته. وتركها حركتين كاملتين فقط.

السيمفونية الناقصة ل"شوبرت".
Schubert, Symphonie Nr 8 h Moll 'Unvollendete' Georg Solti, Chicago Symphony Orchestra

كتب "شوبرت" السيمفونية الناقصة لجمعية "جراز" الموسيقية، وأعطى نوتها الموسيقية إلى صديقه "أنسيلم هوتينبرنر". لكن "هوتينبرنر" لم يعرضها على الجمعية في ذلك الوقت، ولم يُعلِم أحدا بأنه يمتلك النوت الموسيقية، بعد وفاة "شوبرت" عام 1828م، ظل محتفظا بها مدة 37 سنة.

في عام 1865م، عندما بلغ من العمر 76 سنة، أظهر "هوتينبرينر" أخيرا النوت الموسيقية وعرضها على الماسترو "جوهان فون هيربك"، الذي قام بدوره بقيادة عزفها في نفس العام في فيينا، مضيفا إلى حركتيها اليتيمتين، الحركة الأخيرة من السيمفونية الثالثة ل"شوبرت".

يقول مؤرخي الموسيقى الكلاسيكية، أن السيمفونية الثامنة ل"شوبرت"، لا تحتاج إلى هذه الإضافة. فهي كاملة بحركتيها كما هي. في الواقع، هي في صيغتها هذه، أصبحت أشهر عمل موسيقي في القرن التاسع عشر. وظلت إلى يومنا هذا، أشهر أعمال "شوبرت".

مثل "شوبرت" الأعلى في الموسيقى ثلاثة أعلام. "هايدن"، "موزارت"، والعظيم "بيتهوفن". أسلوبه في التأليف لآلة البيانو، يتبع نمط "بيتهوفن".

بينما كان العظيم "بيتهوفن" يرقد على فراش الموت، كان يستمتع بقراءة النوت الموسيقية ل"شوبرت". يبدوا أن أغاني شوبرت، كانت قد أثرت في "بيتهوفن" جدا، لدرجة جعلته يقول: "شوبرت يمتلك روحي في التلحين".

"شوبرت" كان يقف إلى جواره عند وفاته، وكان أحد حاملي الشعل في جنازته. وعندما عاد إلى منزله، أحيا مع أصدقائه ذكراه. وكما هي العادة، شربوا نخب من سوف يقع عليه الدور لكي يموت بعد "بيتهوفن"، فوقع الدور على "شوبرت".

لقد كان "شوبرت" صغير السن. بسبب مرضه، ربما فيروس في الدم، أصيب جسمه بهزال، وكان يعلم أنه سيموت قريبا. توفي في العام التالي، سنة 1828م، عن عمر 31 سنة، قضى 15 سنة منها في التأليف الموسيقي.

طلب أن يدفن بجوار "بيتهوفن" في مقبرة "واهرنج". بذلك، يرقد ملك الأغنية ، "شوبرت"، إلى جوار ملك السيمفونية "بيتهوفن".

هنا، تنتهي قصة حياة قصيرة، مليئة بالسحر والإلهام. في البداية، لم يكن "شوبرت" معروفا، شهرته جاءت بالتدريج، إلى أن أصبحت كاملة بعد وفاته. اليوم، الكثيرون يحبون أغاني "شوبرت" أكثر من أي عمل موسيقي آخر.

أعمال أخرى رائعة وخالدة ل"شوبرت":

ZAGREB KOM 3 • F. Schubert: Quintet in C, D 956 - 2. Adagio

Shafran plays Schubert - 'Arpeggione' Sonata, Second and Third Movements [Part 2/2]

Franz Schubert: Heidenröslein D.257 (1815) - Fernanda Ohara & Fabio Costa

Schubert's String Quintet in C Major, performed by The Afiara Quartet with Joel Krosnick.

Franz Schubert - String Quartet No.14 in D minor, D.810 (Alban Berg Quartett)

Schubert:Das Forellen Quintett/Trout Quintet D.667 Op114 from Esbjerg EnergiMetropol

Franz Schubert: Fantasy In F Minor, D940 - Louis Lortie And Hélène Mercier, Piano 4-Hands

19

شومان

ولد "روبرت ألكساندر شومان" عام 1810م، في مدينة "تسفيكاو" بولاية "ساكسونيا". والده، بائع كتب. كان ضعيف البنية غريب الأطوار. حالم له خيال جامح. حساس إلى درجة، جعلت أبويه يحتارا في كيفية تعليمه. إلا أنهما اكتشفا مبكرا ميله الطبيعي للموسيقى.



شومان

مدينة "تسفيكاو"، لا يوجد بها موسيقيون سوى عازفي الأورغن والبوق بالكنيسة.
عندما بلغ "روبرت" سن السادسة، سُمح له بأخذ دروس في الموسيقى على يدي عازف الأورغن.

لم يمض وقت طويل، قبل أن يجعل "روبرت" البيانو يتكلم ويزغرد بلمسات أنامله. كان أصدقاؤه الصغار، يتجمعون حوله وهو يعزف تنويعات مختلفة، وسط إعجابهم واستغرابهم الشديدين.

عندما بلغ العاشرة من عمره، أقام فريق أوركسترا صغيرا. يشمل 2 كمان، 2 فلوت، 1 كلارينت، 2 بوق، وكان هو المايسترو. عندما كان لا يجد موسيقى تروق له، كان يرتجل. إلى جانب ذلك، كان مغرما بآلة البيانو.

كان "شومان" قارئا ممتازا. يقضي العديد من الساعات يطالع في دكان والده. لم يكن يقرأ الكتب التي يقرأها الأطفال عادة، إنما كان يختار منها الكتب الجادة، مثل أعمال "بيرون" و"هاينه" و"ريختر". "ريختر"، كان كاتبه المفضل.



ريختر، كاتب رومانسي

عندما بلغ سن الرابعة عشر، بدأ في كتابة المقالات القصيرة. كان يعطيها لوالدته، التي كان يسميها "القارئ اللطيف". كان شومان صاحب فكر. من الطبيعي أن يرغب أبواه في أن يصبح محاميا. لذلك، أُرسل إلى "ليبزيغ" في ولاية "ساكسونيا" للدراسة.

هناك، قابل عازف البيانو الشهير "ويك" وشبان آخرين موهوبين. كان "شومان" يُدعى كثيرا إلى منزل "ويك" للمساعدة في إقامة عروض موسيقية، والعزف على آلة البيانو. كان يجد في ذلك متعة كبيرة، تفوق بالطبع دراسته للقانون ولباقي مواد الدراسة الجافة.

كان "شومان" في سن السادسة عشر، عندما توفى والده. الآن أصبحت أمه أكثر إصرارا على أن يصبح ابنها محاميا مرموقا. كان في الواقع، يريد تلبية رغبتها، بالرغم من كرهه لدراسة القانون.

ذهب "شومان" إلى "هيدلبيرج"، لكي يحاول مرة أخرى تحقيق رغبة والدته. هناك، كانت نافذة غرفته الجميلة، تطل على مناظر طبيعية خلابة، تشمل القلعة القديمة من بعيد. كان يقول بأن المنظر من النافذة، يناسب الأمراء، وهم لن يجدوا أجمل من هذا المنظر.

هنا، بدأنا نسمع القليل عن مواد القانون، والكثير عن الموسيقى. كان "شومان" يحتفظ في غرفته ببيانو صغير. يعزف عليه باستمرار. لم يستطع "شومان" تحمل أكثر من ذلك، فأرسل خطابا إلى والدته، يرجوها فيه، السماح له بدراسة الموسيقى بدلا من القانون. لم تجد الأم بدا من الموافقة على مضض، والسماح لابنها بدراسة الشئ الوحيد الذي يحبه ويملأ عقله. الموسيقى.

بعد موافقة الأم، أصبح كل شئ من السهل تدبيره. بدأ شومان بالذهاب إلى "ليبزيك" للدراسة على يدي "ويك". مكث سنة كاملة، مارس خلالها الدراسة نظريا وعمليا.

إلا أنه وجد فجأة صعوبة في تحريك اصبع الوسط في يده اليمنى، مما جعل يده اليمنى عديمة الفائدة. هذا يعني شيئا واحدا، هو تبخر حلمه في أن يكون عازف بيانو.

أصيب شومان، وهذا شئ غير مستغرب، بخيبة أمل كبيرة. الأمل الباقي له، هو محاولة أن يكون مؤلف موسيقي، لا عازف بيانو. "كلارا"، ابنة الأستاذ "ويك"، طيبت خاطره، وشجعته قائلة: "ولا يهمنك. أنت تؤلف الموسيقى، وأنا أعزفها لك".

بدأ "شومان" يتصل ببعض الشبان البوهيميين الموهوبين مثله. كونوا جمعية فيما بينهم تحت اسم "دافيدز بيندلر". الإسم مستوحى من قصة "دافيد وجوليات"، التي جاءت بالعهد القديم.

دافيد هنا يمثل المعارضة لما هو سائد. قاموا أيضا بإصدار جريدة موسيقية. عن طريقها نشروا أفكارهم وأسلوبهم الجديد، المبني على أساس موسيقى "بيتهوفن" و"شوبرت" الرومانسية. "شومان" كان هو رئيس التحرير، وكان يستخدم قلمه بمهارة.

مع مرور الأيام، بات "شومان" مغرما بالرقيقة الجميلة "كلارا ويك". لكن الأب لم يوافق على هذه العلاقة. إلا أن عدم موافقة الأب، لم تغير من الأمر شيئا. وقاما الحبيبان بالزواج عام 1840م.

كان زواج "شومان" و"كلارا" زواجا ناجحا. عاشا معا وعملا معا. كانت قصة حبهما، قصة رائعة تتحدث بها الركبان. تضيف بهجة وانشراحا لتاريخ الموسيقى المدون.

كانت "كلارا"، عازفة بيانو ساحرة. متعتها في الحياة، هي عزف موسيقى زوجها على البيانو. السنة التي أعقبت زواج "شومان"، هي "سنة الأغنية". لأنها السنة التي لحن فيها شومان أجمل الأغاني. 150 لحنا تمثل أجمل ما أبدعه من ألحان موسيقية، ظهرت خلال هذه السنة.

بيت "شومان" في "ليبزيك"، كان مركزا للبهجة والذكريات الجميلة. لم يكن "شومان" يعاني من الفاقة والعوز. كانت له علاقات جيدة، كما يتضح من خطاباته المتبادلة، بكبار رجال الدولة في عصره.

ساعد "مندلسون" في شهرة "شومان" في "ليبزيك". وكان "شومان" دائم الإطراء والمديح والإعجاب ب"مندلسون". قال عنه يوما: "مندلسون هو الآن أعظم موسيقي في العالم".

اكتشف "شومان" موسيقى "شوبرت". بذل كل ما في وسعه لكي يجعل موسيقى "شوبرت" معروفه للعالم. يمكننا تتبع تأثير "شوبرت" في أغاني "شومان"، لكن "شومان" فاقه في تصوير الأحلام والأساطير. كلاهما لهما رقة وعذوبة الجنس اللطيف. هذا خير ما يمثل المدرسة الرومانسية.

"تروميري" ل"شومان"، فيينا عام 2010م.

"Träumerei" Robert Schumann VIENNA 2010

لحن شومان أوبرا وحيدة، هي "جينوفيفا". لحن أيضا "أوراتوريو"، وهي أعمال شبيهة بالأوبرا لكنها دينية. منها "فوست" و "مانفريد". كلاهما أعمال درامية. لحن أيضا "باراديز وبيري". وألف سوناتات وألحان دينية ورباعيات وترية، نالت إعجاب عشاق موسيقى الحجرة.

"جينوفيفا" لشومان، المقدمة:
Franz Konwitschny "Overture to Genoveva" Schumann

"فوست" لشومان:
Robert Schumann ~ Alles Vergängliche - Faust ~ Murnau.

"مانفريد" لشومان، المقدمة:
Franz Konwitschny "Overture to Manfred" Schumann

ألف شومان سيمفونيات، أشهرها السيمفونية الأولى (B Flat).
Schumann: Symphony No.1 in B flat major - Luisi / Wiener Symphoniker

رباعية بيانو والوتريات، لشومان:
Robert Schumann .Quatuor pour piano, violon, alto et violoncelle op. 47 en mi b.majeur.

البيانو والأوركسترا، لشومان:
Schumann: Klavierkonzert · hr-Sinfonieorchester · Khatia Buniatishvili · Paavo Järvi

سمفونية "شومان" الأولى، كتبها بعد زواجه مباشرة، لذلك نجدها مليئة بالسرور والبهجة. قال عنها أنها كتبت في وقت نشوة وسعادة. الريشة التي كتبها بها، كان قد وجدها بالقرب من قبر شوبرت وبيتهوفن.

السيمفونية الثالثة (Renish)، المسماه على نهر الراين، تصف احتفالا كان قد حضره في كاتيدرائية "كولونيا".

السيمفونية الثالثة لشومان:
ROBERT SCHUMANN 1810-1856 - SYMFONI NO 3 - DRSO - THOMAS DAUSGAARD

ترك "شومان" أيضا أعمالا كثيرة للبيانو. موسيقاه تتسم بالدسامة والغموض المبهر. ليس من السهل فهمها. لكن جمله الموسيقية القصيرة، وصيغه الميلودية العذبة، وخياله الجامح، هي متعة محبي الموسيقى الكلاسيكية في العالم اليوم.

مرت ب"شومان" أيام قلق واكتئاب، كان يختبئ خلالها عن العالم الخارجي. كانت زوجته الرقيقة الحبيبة، "كلارا"، تقف بجواره في أصعب أوقاته. كانت تدعو إلى بيتها أصدقاء زوجها، "شوبان" و"برامز" وآخرين، لكي تخرج زوجها من حالة الكآبة التي كان يمر بها.

كانت "كلارا" تشجعهم على القيام بعمل حفلات موسيقية بالاشتراك مع زوجها في عدة عواصم أوروبية. كانت هذه الحفلات تُستقبل بحفاوة بالغة، خصوصا في بلاط قيصر "سانت بيترزبورج". كان القيصر وزوجته، منبهران بموسيقى شومان وعزف "كلارا" زوجته.

لكن، بالرغم من صحبة الخلان والسفر بين العواصم الأوروبية، كانت صحة "شومان" النفسية في النازل باستمرار. عندئذ، نصحه الطبيب بالانتقال إلى مدينة "دريسدن".

هناك، وجد شومان نفسه بعيدا عن الأصدقاء والموسيقى. لم يجد بجانبه سوى زوجته الوفية. بدأت صحته تتحسن تدريجيا. لكن للأسف، بعد سنتين، بدأ المرض العصبي والاكتئاب ينتابه من جديد.

كان "شومان" يرى في المنام أرواحا موسيقية، في صورة "شوبرت" و"بيتهوفن"، تزوره وتهمس في أذنيه بألحان موسيقية. فينهض من نومه ويهرع لكتابة هذه الألحان. كانت زوجته الوفية تقف بالقرب منه وهي تحاول أن تخفف عنه آلامه.

أخيرا، في عام 1856م، توفى "شومان" في مصحة عقلية خاصة في بون. في جنازته، قامت مجموعة من الفتيات العذارى بتغطية قبره بكمية كبيرة من الزهور.

ماذا فعلت "كلارا شومان" وأطفالها الصغار بعد وفاة "شومان"، وهي شابة في عمر 37 سنة؟ كرست حياتها المديدة لإقامة الحفلات الموسيقية في العواصم الأوروبية، لكي تجعل العالم أجمع يتعرف على موسيقى زوجها المرحوم.

كانت تفعل ذلك بحرِفية وقدرة نادرة، جعلت الناس تتساءل، لماذا لم تكن تسمع هذه الموسيقى من قبل؟ الآن، عندما تغنّ ألحان شومان، أو تعزف رباعياته الوترية، يجب أن نرجع الفضل، لا إلى "شومان" وحده، وإنما ل"كلارا"، زوجته الوفية، أيضا.

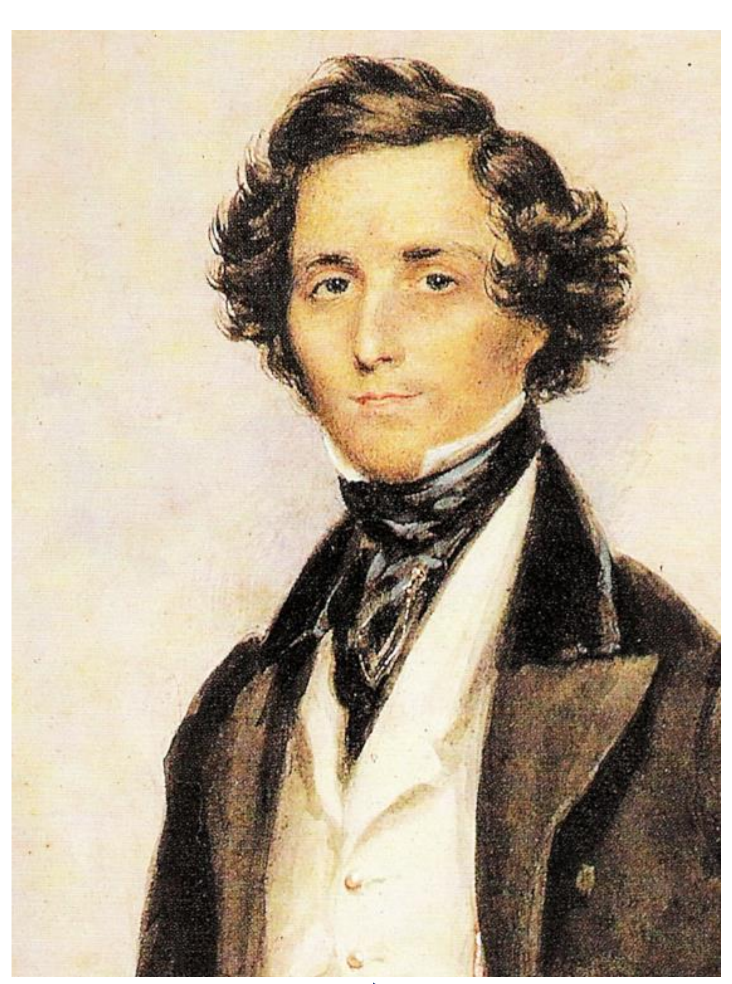
فيلم "أغنية حب"، يصور قصة حياة "شومان" وزوجته "كلارا". الفيلم أنتج سنة 1947م، تمثيل "كاثرين هيبورن" و "بول ريد".
Schumann's Song of Love (1947)

20

مندلسون

" الفن، طريقة جميلة لفعل الأشياء." جوته

يعد، "جاكوب لودفيج فيلكس ماندلسون"، من عظماء مؤلفي الموسيقى الكلاسيكية في القرن التاسع عشر. من عائلة عريقة، معروفة لعدة قرون في الأوساط الاجتماعية والأدبية.



مندلسون

جده، فيلسوف مشهور. والده، من رجال البنوك والاقتصاد. "فيلكس" نفسه، عازف بيانو وأورغن وقائد أوركسترا ومؤلف موسيقي، طبقت شهرته الآفاق. كان والده يقول عن نفسه، أنه ابن لأب موهوب، وأب لابن موهوب.

عندما نتحدث عن "مندلسون"، فإننا نكون قد تركنا قصص المؤلفين الذين عاشوا يكابدون شظف العيش والفاقة. نحن الآن أمام حالة من حالات رغد العيش والثراء المنعم. أمام فنان، وهبه الله كل ما يطلبه ويتمناه إنسان. حتى اسمه، "فيلكس"، يعني الحياة السعيدة.

ولد "فيلكس" في مدينة "هامبورج" بألمانيا عام 1809م، عندما كان محمد علي باشا الكبير يحكم مصر منذ أربع سنوات. في ذلك الوقت، كانت أسرته، تترك الديانة اليهودية، وتعتنق الديانة البروتستانتية.

عندما دخل الجيش الفرنسي مدينة "هامبورج"، فرت عائلة "مندلسون" إلى مدينة "برلين" واستقرت بها. أطفال العائلة هم حسب الأعمار: "فاني"، "فيلكس"، "ريبيكا"، "بول". كانت أمهم الموهوبة تعلمهم الموسيقى.

كانت الحصة في البداية لا تزيد عن الخمس دقائق، حتى لا يتعب الأطفال ويملوا الدرس. كانت تجلس على البيانو، بينما كانت الأطفال تعزف دروسها الموسيقية. كل أسبوعين، كان أحد الأطفال يقود الأوركسترا المكون من باقي أفراد الأسرة.

كان الأطفال دائما مشغولين بدروسهم الخصوصية في كل المواد. المدرسون يأتونهم كل يوم. يستيقظون في الخامسة صباحا، فيما عدا يوم الأحد، للاستذكار وعمل الواجب. وقت اللعب، تجدهم في الحديقة يلعبون فوق النجيل الأخضر، يتسابقون في الجري، أو يتسلقون الأشجار.



أطفال تلعب فوق النجيل الأخضر

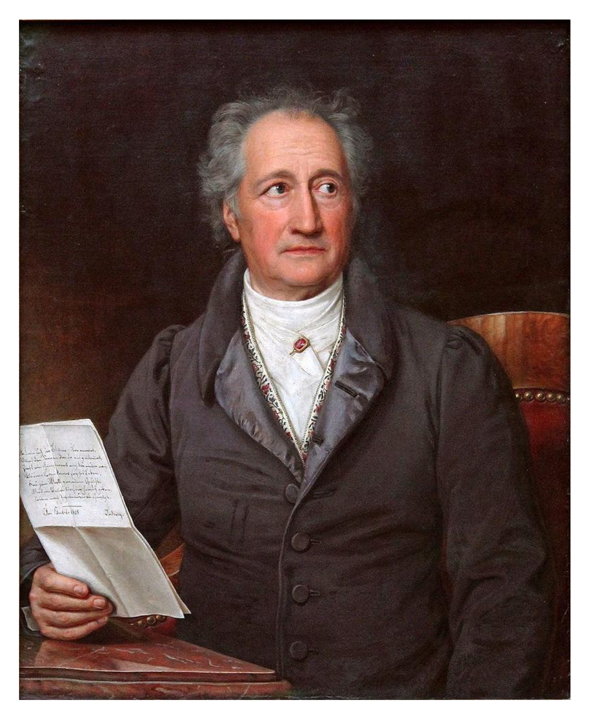
"فاني"، كانت تكبر "فيلكس" بثلاث سنوات. وكانت "فاني" و"فيلكس" لا يفترقان. كان "فيلكس" يهتم برأي أخته "فاني" أكثر من أي شئ آخر.

بالرغم من أن "فاني" كانت تجيد العزف هي الأخرى، إلا أنها كانت من أشد المعجبين بموسيقى "فيلكس". كان "فيلكس" يذهب إلى الغابة للتريض.

عندما يعود، يجلس أمام آلة البيانو لكي يخبر "فاني" بكل ما رأى وسمع، لا بالكلام، ولكن بالموسيقى. كانت "فاني" تتساءل، هل الطيور تغني اليوم هكذا؟

كان "فيلكس" صبيا متميز المظهر، جميل الوجه، عينان عسليتان، وشعر مجدل في ضفيرتين، مسترخيان على صدره. كان مظهره، جاذبا للنظر أينما يذهب. إلى جانب حبه للموسيقى، كان مواظبا على الرياضة البدنية، يجيد السباحة والرقص.

عندما بلغ سن العاشرة، كان يستطيع عزف أشهر أعمال المؤلفين الكبار. بدأ يدرس على يدي مدرسين عظام. مثل "زيلتر"، الذي كان يدرس الموسيقى النظرية ل"فيلكس"، وغليون التبغ لا يفارق فمه.

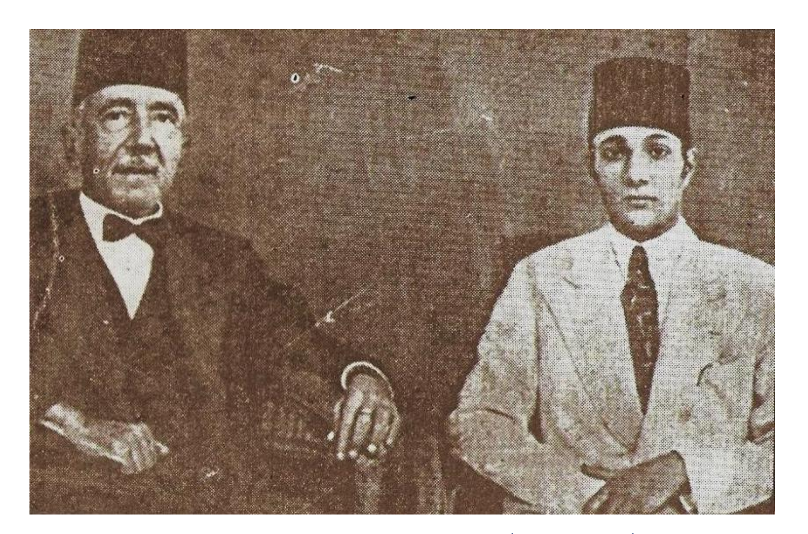

الشاعر جوته

كان "زيلتر" معجبا جدا بالصبي "فيلكس"، إلى الدرجة التي جعلته يطلب من صديقه الشاعر جوته أن يراه. الشاعر جوته كان يبلغ من العمر في ذلك الوقت 73 سنة.

قام "جوته" مشكورا باستقبال الصبي طويل القامة "فيلكس"، الذي كان يبلغ من العمر 13 سنة في ذلك الوقت. أخذ "مندلسون" يعزف على البيانو قطعة وراء قطعة، بدون أي خطأ يذكر.

كانت نصائح الأب إلى ولده "فيلكس" كالآتي: "راقب سلوكك، وأسلوبك عند تناول الطعام. تكلم بوضوح وباختصار. استخدم الكلمات الصحيحة التي تؤدي المعنى بدقة."

سرعان ما قامت صداقة حميمة بين الشاعر العجوز "جوته" والصبي "فيلكس"، كالصداقة التي كانت بين أمير الشعراء أحمد شوقي والمطرب محمد عبد الوهاب.



أمير الشعراء أحمد شوقي والمطرب محمد عبد الوهاب

كان يقوم "فيلكس مندلسون" بزيارته مرارا وتكرارا. في أحد المرات، فتح "جوته" آلة البيانو أمام "فيلكس" وقال له:

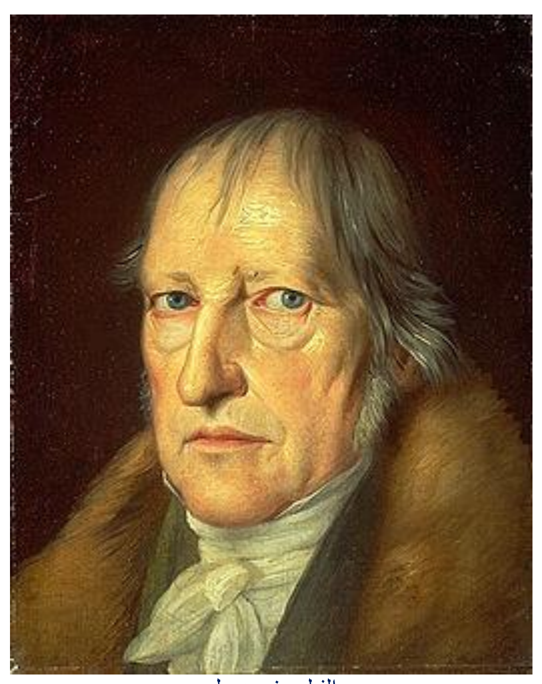
"تعالى وأيقظ داخلي، الأرواح المجنحة التي ترقد متعثرة منذ أمد بعيد. عندما أكون مريضا أو تعيسا، عليك أن تمحو هذه الكوابيس بعزفك الساحر."

هذه الصداقة لم تنقطع إلا بموت "جوته" عام 1832م. بعد زيارة "فيلكس" الأولى للشاعر "جوته"، ذهب "فيلكس" إلى فرانكفورت لكي يحضر اجتماع جمعية "سيسيليا". هناك، أبهر الموسيقيين الكبار بعزفه لمقطوعات من موسيقى "باخ".

بعد أن قضت أسرة "مندلسون" بعض الوقت في "برلين"، انتقلت إلى منزل جديد، كان يسمى "البيت ذو الحدائق الكثيرة". هناك كان يحلو السمر في ضوء القمر، والنزهة بين الزهور والورود الكثيرة، وأشجار الكستناء (أبو فروة).

غرفة العشاء الصيفية في المنزل الكبير، كانت معدة كقاعة موسيقى فاخرة. كان من عادة فناني برلين، أن يحضروا إلى هذه القاعة لسماع "فيلكس" و"فاني"، وفي بعض الأحيان، سماع أعمال مؤلفين آخرين.

في هذه القاعة، يمكنك مقابلة كبار المفكرين، فلاسفة وأدباء وشعراء وسياسيين. أمثال: الجغرافي والمستكشف "همبولدت"، الفيلسوف "هيجل"، الشاعر "هاينه"، والكنتيسة متعددة المواهب "بتينا".


الفيلسوف هيجل

الكونتيسة الشابة "بتينا برينتانو"، كانت تتواجد في كل مكان. لأنها كانت ناشطة اجتماعية، فضلا عن كونها أديبة وناشرة ومؤلفة موسيقى ومغنية ورسامة. فيا لها من امرأة.

عندما كان المؤلف الموسيقي الموهوب "موشيليس"، يحيي حفلا موسيقيا في مدينة برلين، لاحظ بين جمهوره، شاب صغير وسيم.

في نهاية الحفل الموسيقي، تقدم الشاب إلى "موشيليس" لكي يشد على يده، ويقوم بدعوته للعشاء في منزله. هناك استمع الموسيقي المخضرم إلى أسرة "مندلسون". صارت منذ ذلك الحين، بينه وبين "فيلكس" صداقة، استمرت طوال حياة "مندلسون".

كان "فيلكس" دائم التأليف الموسيقي لمثل هذه المناسبات. في بعض الأحيان، كان يؤلف أوبرات من فصل واحد. استمع إلى مقدمة العفاريت في "حلم ليلة صيف"،

التي قدمت أول مرة في القاعة الموسيقية الملحقة بمنزل "مندلسون". منذ ذلك التاريخ، لم تفقد شيئا من نضارتها وحيوتها.

"حلم ليلة صيف" ل"مندلسون".
Mendelssohn: Ein Sommernachtstraum (Auszüge der Bühnenmusik) · hr-Sinfonieorchester · Paavo Järvi

بينما كان "فيلكس" و أخته "فاني" يجلسان على النجيل الأخصر في حديقة المنزل، يطالعان مسرحية لشيكسبير بنفس الاسم، كانا يتخيلان أثناء المطالعة صور الجان والعفاريت التي تسكن الغابات. كانت تخيلاتهما، بقدر ما تسمح به دنيا الخيال.

لم يجد "فيلكس" مكانا جميلا موحيا، يستطيع فيه أن يترجم خياله وتصوراته إلى جمل موسيقية وألحان ساحرة مثل هذا المكان الرائع.

بعد أن قضى "فيلكس" عامين في جامعة برلين، ذهب في صحبة والده لكي يرى المؤلف الموسيقي العظيم "شيروبيني". لكي يستشيره فيما إذا كان يحمل من مواهب موسيقية، تسمح له بتكريس وقته وجهده لاحتراف التأليف الموسيقي؟

جاءت كلمات الإطراء من "شيروبيني" مشجعة للغاية، جعلته يسلك هذا الطريق. في نفس الوقت، عندما عرضت أوبرا "عرس كامانشو" ل"مندلسون" على المسرح الملكي ببرلين، أعجب بها "سبونتيني".

"سبونتيني" هو الآخر أحد أساطين مؤلفي الأوبرا العظام. قال للشاب المؤلف الصغير الذي يبلغ من العمر 16 سنة، وهو يشير بيده إلى مبنى الكنيسة المرتفع: "اطلب العلياء دائما".

بالرغم من أن أوبرا "مندلسون" حازت إعجاب العامة، إلا أنها واجهت نقدا لاذعا من النقاد. أصيب "مندلس" بخيبة أمل كبيرة، لكنه لم يستسلم.

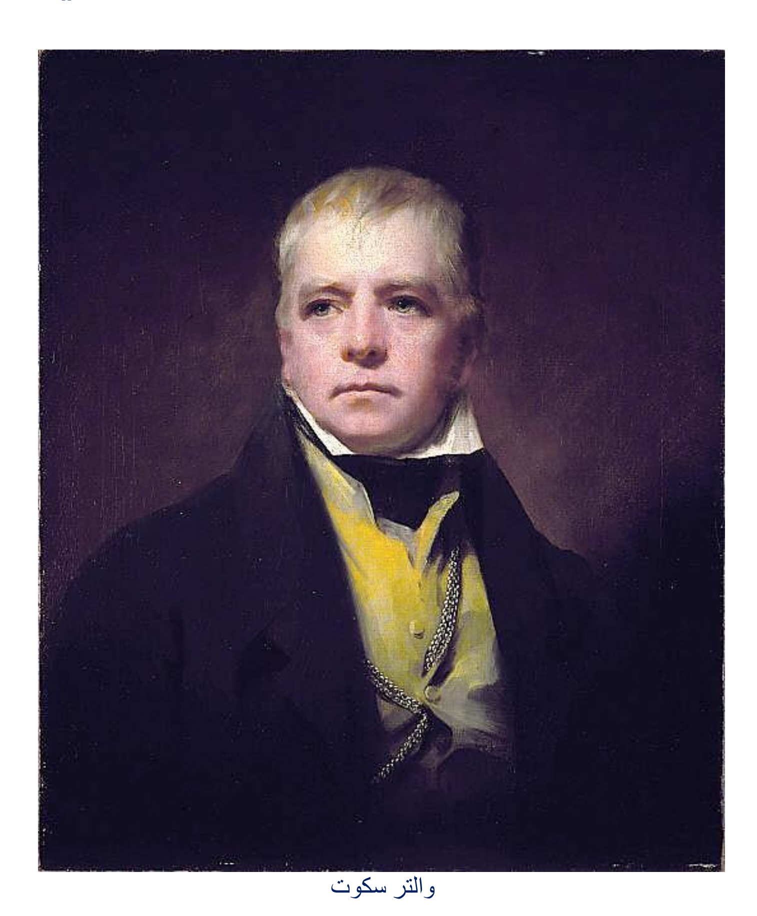
كرس "مندلسون" جهده بعد ذلك لإحياء موسيقى "باخ" العاطفية. لأنه كان معجبا أشد الإعجاب بالعظيم "باخ". قام بإحياء موسيقاه، بعد أن طواها النسيان لمدة قرن من الزمان.

قام "مندلسون" بتدريب جوقة موسيقية. كان يقيم حفلا موسيقيا بعد الآخر. بعد ذلك بمدة قصيرة، تمت خطبة أخته "فاني" إلى الرسام "هنسل".

عندما وجد "فيلكس" نفسه وحيدا بعد زواج اخته، أبحر لزيارة إنجلترا عام 1829م. استقبل هناك استقبالا حسنا. قام بقيادة جوقة الجمعية الفلهارمونية، لعزف عملين من أعماله. استقبلهما الجمهور بحماس شديد يشبه الهستيريا، وكان الكل يتحدث عن موسيقاه.

أصل "مندلسون" العريق، وشخصيته الساحرة، وسلوكه الراقي، فتح أمامه معظم الدوائر الاجتماعية المغلقة. كانت لندن بالنسبة له، مدينة عملاقة. كان يصفها بأنها أعظم المدن وأعقدها على وجه الأرض.

بعد أن ترك "مندلسون" لندن، ذهب لزيارة اسكتلاندة. لأنه كان يحب قراءة أعمال الأديب "والتر سكوت". كان يريد رؤية وطن "ساحر الشمال"، وهي سيرة ذاتية للأديب.



والتر سكوت

استمتع "مندلسون" بالجو البارد وبرؤية السماء الملبدة بالغيوم، والجبال والشطآن وأشجار الصنوبر. كان يصف البلاد بأنها "سيمفونية اسكتلندية"، في بهجتها وعنفها وشجنها.


اسكتلندا

لكن الذي بهره أكثر من أي شئ آخر، هو كهف "فينجال" الذي قام بزيارته بعد عاصفة هوجاء. وجد "فيلكس" الكهف شديد العتمة، ملئ بالصدى الصوتي. الأمواج تئن وتبكي وهي ترتضم بشدة بقباب الكهف وأعمدته.


كهف فينجال باسكتلندا

عندما سألته أخته "فاني" عما رآه، قال: "هذا شئ لا يمكن وصفه إلا بالموسيقى". ثم جلس على البيانو، وبدأت "فاني" تسمع تنهد الريح والأمواج وهي تضرب بعنف الحوائط الصخرية للكهف. أصبحت فيما بعد المقدمة الموسيقية ل "هيبريدز"، أو "كهف فينجال".

المقدمة الموسيقية ل"كهف فينجال" ل "مندلسون".
Mendelssohn: Fingal's Cave Overture (The Hebrides)

بعد ذلك، ذهب "مندلسون" إلى إيطاليا. هناك شئ ساحر تحت السماء الصافية، أيقظ داخله حبه الجم لكل ما هو جميل. لقد وجد التأليف الموسيقي في إيطاليا أسهل من أي مكان آخر. فقام بوضع موسيقى "ليلة بورجيس الأولى" ل"جوته"، وتأليف السيمفونية الإيطالية، وبعض الرباعيات الوترية التي كان يسميها الزوابع الصغيرة.

"ليلة بورجيس الأولى" ل "مندلسون":
Mendelssohn: Die erste Walpurgisnacht · hr-Sinfonieorchester · Andrés Orozco-Estrada

السيمفونية الإيطالية ل "مندلسون":
Mendelssohn: Symphony No. 4 'Italian' - Harnoncourt / Chamber Orchestra of Europe

رباعية وترية "لمندلسون" تسجيل رائع:
Mendelssohn - String Quartet No. 6, Op. 80 (FULL)

أثناء رحلته إلى الشمال، قضى "مندلسون" بعض الوقت في سويسرا وباريس، ثم ذهب إلى لندن. في يوم من الأيام، ذهب خفية لكي يستمع إلى فرقة موسيقية كانت تتدرب على عمل جديد.

تعرف عليه أحد العازفين فصرخ قائلا: "هذا هو مندلسون". إذا بالفرقة تتوقف عن العزف، وتقوم هي وباقي الحاضرين بالتصفيق والهتاف للضيف العظيم. لقد كان "مندلسون" يحب انجلترا، وانجلترا تحبه.

هذه كانت سنوات مزدحمة في حياة "مندلسون". كان مشغولا، يقيم الحفلات الموسيقية، ويحي الأعياد، ويعرض الأوبرات. وكان إلى جانب ذلك، يقوم بالتأليف الموسيقي ويواظب على مراسلة الأصدقاء.

في عام 1835م، أحيا ذكرى "بيتهوفن" بإقامة حفل في كولونيا. كان يقود الأوركسترا وهي تعزف السيمفونية الثامنة ل"بيتهوفن" باقتدار وحرفية نادرة.

كان "مندلسون" فخورا بفرقته الموسيقية، إلى الدرجة التي جعلته يترك عصاه ويجلس لكي يصنت لجلال الموسيقى والعزف. كان يود أن يكون معهم "بيتهوفن" لكي يصنت هو الآخر إلى موسيقاه.

السيمفونية الثامنة ل"بيتهوفن"، رائعة من روائع الموسيقى الكلاسيكية.
Beethoven - Sinfonia N. 8 in Fa Maggiore - Christian Thielemann - Filarmonica di Vienna

كتذكار بهذه المناسبة، أهدته المدينة مجموعة من أعمال "هاندل"، 32 كراسة موسيقية مغلفة بجلد أخضر سميك.

في نفس العام، دعي مندلسون لكي يقود الأوركسترا في "ليبسيك"، وهي وظيفة كان يشغلها "باخ" منذ 100 سنة مضت. هناك، خصص له منزلا جميلا. كان يقابل فيه "موشيليس"، "شوبان"، "شومان"، وآخرين من أساطين الموسيقى.

في هذه الأثناء، توفي والده. أثناء حزنه العميق، قام بالعمل على إكمال الأوراتوريو (الأوبرا الدينية)، "سانت بول"، التي كان والده في آخر خطاب له يرجوه إكمالها.

أول عرض ل "سانت بول"، كان عام 1836م، في مدينة "دوسلدروف". قاد "مندلسون" الأوركسترا الضخم. الكورس كان مكونا من 200 صوت.

كان "مندلسون" يقف على ما يشبه المنبر، المزين بقيثارة ذهبية. في نهاية العرض، أمطرته العذارى الفاتنات بوابل من الزهور والورود. "سانت بول" عمل موسيقي غنائي رائع.

أوراتوريو "سانت بول" ل "مندلسون".

Felix Mendelssohn-Bartholdy: Paulus op.36 aus dem Katharinensaal der HMT-Rostock

بينما كان "مندلسون" في "فرانكفورت" في صيف عام 1836م، قابل أرملة قس فرنسي وابنتيها. وقع في غرام إحداهما، الرقيقة "سيسيل". تزوجها وهو لم يكن قد بلغ التاسعة عشر من العمر. بعد الزواج، أخذت أعماله تنمو وتزداد قوة وجمالا.

في عام 1841م، دعاه ملك بروسيا إلى برلين، لكي يقود القسم الموسيقي بأكاديمية الفنون. أول خطاب له موجه للبلاط الملكي، كان يستشهد فيه بجمل من مسرحية "أنتيجون"، ل "سوفوكليس".

بعد ذلك بفترة صغيرة، ألف "مندلسون"، "ترنيمة الحمد"، لكي يمجد بها ذكرى مرور 400 سنة على اختراع الطباعة. عرضت في "ليبسيك" و "بيرمنجهام".

"ترنيمة الحمد" ل "مندلسون".
Mendelssohn Hymn of Praise

لكن خيال "مندلسون" بلغ الذروة في الأوراتوريو "إليجا". الموضوع كان قد خطر على باله بينما كان يقرأ في الإنجيل. أتم "مندلسون" العمل، وقام بعرضه في احتفال في "برمنجهام" عام 1846م. حضره الألوف من عشاق موسيقى "مندلسون".

أوراتيريو "إليجا" ل "مندلسون".
Mendelssohn's 'Elijah', conducted by Ann Howard Jones

كان "فيلكس" يقوم بتدريب أعضاء الأوركسترا تدريبا راقيا. كانت بينهم أصوات جديدة عظيمة، وجوقات غنائية بارعة الأداء. لذلك جاء العمل على أحسن ما يرام، يثبت أن "مندلسون" مؤلف موسيقي رائع.

في نهاية العرض، هبت عاصفة من التصفيق والهتاف، مئات السيدات يقمن بإلقاء باقات الزهور على المؤلف، وهو بدوره يقوم بإلقائها على أعضاء الأوركسترا. ثم اندفعت الجماهير تحاول لمس يديه.

من الروائع التي جاءت بأوراتيريو "إليجا"، أربع أغنيات للملائكة التي ظهرت ل"إليجا" تحت شجرة العرعر، أدعية عبّاد الإله "بعل" على قمة جبل "كارمل"، وأغاني مثل: "حينئذ، سوف يسطع نورك".

عندما عرضت "إليجا" في قاعة "إكستر"، كان من بين الحضور الملكة "فيكتوريا و "جيني لند"، مطربة الأوبرا المعروفة بالعندليب السويدي. كان "مندلسون" يحرص أشد الحرص على أن ينول رضاهما معا. هذا ما حدث بالفعل، فقد كانتا سعيدتين بهذا العمل الرائع.



الملكة فيكتوريا ملكة انجلترا

دُعِي "مندلسون" لمقابلة الملكة "فيكتوريا" والأمير "ألبرت". كنوع من تكريم الضيف، كان الحديث باللغة الألمانية. اعتذرت الملكة عن عدم ترتيب غرفة الرسم، فقام "مندلسون" بالمساعدة في ترتيبها، وإخراج أقفاص طيور الزينة إلى الخارج.

ثم قامت الملكة و"مندلسون" بالعزف والغناء سويا. كانت الملكة تؤكد له أنها تستطيع الغناء أفضل من ذلك، إذا زال خوفها من الغناء أمامه. كانت الملكة فيكتوريا تقول عن "مندلسون" أنه "صديقها العزيز". ثم تناولا مشروب الشاي معا.

بعد زيارة "مندلسون" الأخيرة هذه لإنجلترا، عاد إلى زوجته وأطفاله في "فرانكفورت". وجد نفسه مجهدا على غير العادة. بعد تدريبات شاقة، استغرقت ساعات عديدة، زادت من شعوره بالتعب.

ذهب إلى الريف للراحة عدة أيام. كان يستلقي في الظل تحت شجر التفاح. لكنه فجع بالأخبار الحزينة. أخبار موت أخته الحبيبة "فاني". هذه أخبار لم يكن في مقدوره تحملها.

تغلب الحزن وسيطرت الكآبة على "مندلسون"، إلى الدرجة التي جعلت زوجته تقلق على صحته. فأخذته إلى سويسرا كمحاولة للهرب من الأحزان.

عندما تحسنت حالته النفسية والصحية، وأصبح قادرا على التأليف، عاد إلى "ليبسيك". لكنه لم يبرأ أبدا من صدمة موت أخته "فاني".

أخيرا، بدأت نوبات السكته الدماغية تنتابه من حين لآخر. التي قضت عليه في عام 1847م، وهو في الثامنة والثلاثين من العمر. لقد مات "مندلسون" وهو في أوج مجده وقمة نشاطه الموسيقي.

كل سكان "ليبسيك" وكل العالم، حزن لفقد مؤلف الموسيقى المثقف، "مندلسون". كل الأصدقاء جاءوا بالزهور النادرة الجميلة، لكي يضعوها على نعشه.

آلاف المشيعين ساروا في الجنازة خلف النعش في شوارع "ليبسيك" إلى كنيسة الجامعة، حيث أقيم قداس على روحه. الجنازة كانت تشبه جنازة ملك. بعد ذلك، أخذ جثمانه للدفن في برلين.

كان "مندلسن" مؤلف موسيقي رائع بالنسبة لعصره. كان يدرس النوت الموسيقية، يصحح ويبدل أجزاءها. يؤخذ كل المسؤولية في اختيار الصيغ والشروح المناسبة للعمل الموسيقي قبل أن يوزعه على أعضاء الأوركسترا.

لم يفقد أبدا سيطرته على أعصابه. كان أعضاء فرقته مستعدون لفعل أي شئ لإرضائه. حدث أكثر من مرة أن فقد جزءا من النوته الموسيقية قبل العرض مباشرة. فكان يتحكم "مندلسون" في أعصابه، ويقوم بالارتجال أو بالعزف من الذاكرة لتعويض الجزء المفقود.

كان "مندلسون" متعاطفا مع "باخ" و"هاندل". أحيا العديد من أعمالهما التي كانت منسية منذ قرن من الزمان. موسيقى "مندلسون" نفسها، مليئة بالعواطف والمشاعر والميلودي والصور الموسيقية. أعماله مثل "سانت بول" و "إليجا" تقف إلى جانب أعمال "هاندل" في شهرتها وجودتها. أشهر أعماله "أغاني بدون كلمات". وهي تنويعات موسيقية بديعة.

"أغاني بدون كلمات" ل "مندلسون".
Mendelssohn - Songs Without Words (complete set) - Rena Kyriakou

لم يكتب "مندلسون" من الأوبرات سوى أوبرا "عرس كامانشو". لأنه لم يجد نصا شعريا يعجبه. كانت شخصيته تتميز بالقوة وجمال الوجه والبدن والأخلاق. كتب مرة يقول:
"اعشق الجمال
اطلب الصدق
افعل الخير
تنال كل ما تطلب"

وكان يؤمن بمقولة: "ما يجب بذل الجهد فيه، يستحق بعناية أن نؤديه".

مارش العرس، من "حلم ليلة صيف" ل"مندلسون".
Mendelssohn A Midsummer Night's Dream - Wedding March

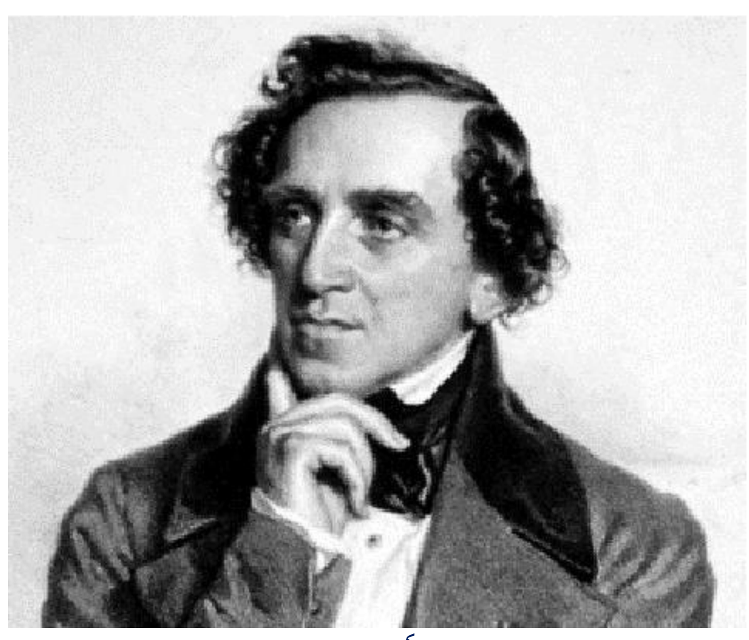
21

ميربير-ليست-برامز

من بين الموسيقيين الألمان، هناك سبعة أو ثمانية، لهم مكانة بارزة. الآخرون، هم عظماء أيضا، لكن لضيق المساحة، يمكن تجاهلهم في هذه الدراسة، أو ذكرهم وذكر أعمالهم في عجالة.

لذلك، سوف نتجاهل ذكر الكثيرين من الموسيقيين الألمان المشهورين، فيما عدا ثلاثة، سوف نذكرهم هنا في عجالة. هم: "جيوكومو ميربير" (1791-1864م)، "فرانز ليست" (1811-1886م)، "جوهانس برامز" (1833-1897م).

لماذا "جيوكومو ميربير"؟ لأنه مشهور بأعماله الموسيقية التاريخية. ابن رجل بنوك يهودي غني، في برلين. كان اسمه "جاكوب بير".



جيوكومو ميربير

عندما ورث ثروة هائلة عن عمه، غير اسمه إلى "ميربير". وبعد نجاحه الموسيقي الأول في إيطاليا، غير اسمه الأول من "جاكوب" إلى "جيوكومو".

كان "ميربير" طفلا معجزة. في سن السابعة، كان يعزف كونشيرتات "موزارت". لم يكن بطبعه يميل للامتثال. لذلك، مر وقت طويل، قبل أن يقرر الدراسة في مدينة "دارمستادت" على يدي "أبي فوجلر".



فيبر

هناك، قابل "فيبر"، وصارت بين الشابين صداقة لمدة طويلة منذ ذلك الحين.

هناك أيضا، التزم "ميربير" بالكفاح والصبر. كان يستغرق في عمله ويختفي عن الناس عدة أيام مثل الزهاد. عادة اختفائه عن أصدقائه بعض الوقت، ظلت تلازمه طيلة حياته.

عندما ذهب إلى مدينة "فيينا"، قرر أن يبني شهرته كعازف بيانو. لكنه، عندما استمع إلى عزف "هوميل"، عرف أن عليه المواظبة على المران مدة أطول.

في "فيينا" أيضا، شاهد أحد أوبرات "روسيني". سحرته ألحان الأوبرا، فقرر زيارة بلد "روسيني" وموطن إلهامه، إيطاليا. هناك، شاهد المزيد من أوبرات "روسيني"، التي سيطرت على قلبه وعقله. إلى الدرجة التي جعلته يؤلف أوبرات، الواحدة تلو الأخرى، كلها على نمط أوبرات "روسيني".



روسيني

عندما عاد "ميربير" إلى ألمانيا، لامه "فيبر" وطلب منه أن يعمل في بلده ويترك إيطاليا. لكن "ميربير"، كان رجلا عنيدا، ليس من السهل إقناعه. يبدو أنه لم يكن يهيم بالموسيقى الألمانية. لم يظهر تأثيره في عالم الموسيقى إلا بعد ذلك.

حقيقة، أنه فعل القليل بالنسبة للموسيقى الألمانية، لكنه أدخل الأوبرات الرومانسية إلى فرنسا. عندما عرض في باريس أوبرا "روبرت ديابل".

أوبرا "روبرت ديابل" ل "ميربير".
Giacomo Meyerbeer - Robert le Diable (Complete opera)

أحداث الأوبرا تقع في جزيرة صقلية. حيث يقوم "روبرت"، دوق "نورماندي"، بالتنافس لنيل يد الأميرة "إيزابيلا". الدوق كان تحت تأثير نفوذ والده الشرير.

لكن في لحظة، وهنت فيها قوى الشر هذه، تمكن الدوق من الزواج من الأميرة الجميلة. استقبلت باريس ألحان أوبرا "روبرت" البراقة ببهجة وسرور.

بعد ذلك، في أوبرا "ذي هوجونوتز"، وتعني "البروتستانت"، اختار "ميربير" مشاهد دموية جريئة، وصور موسيقية صادمة، لكي يظهر الاضطهاد الديني الذي كان سائدا في القرن السادس عشر. خصوصا في مشهد مذبحة "سانت بارثولوميو".

أوبرا "لو هوجونوتز" ل "ميربير".
Giacomo Meyerbeer - Les Huguenots (1836)


كاثرين دي ميديشي

في الأوبرا، نجد الفارس الشاب "راؤول" البروتستانتي مع خادمه القوي "مارسيل" في جانب. بينما يقف في الجانب الآخر المعادي، "سانت بريس" الكاثوليكي وآخرين. الكل يعمل في خدمة "كاثرين دي ميديشي" زوجة ملك فرنسا، هنري الثاني.

"مارجريت" ملكة نافاري، التي توقعت عنف الأحداث، حاولت التوفيق بين الأعداء. عن طريق زواج "راؤول" البروتستنتي من "فالنتين" الكاثوليكية.

ليلة المذبحة الرهيبة، قبلت "فالانتين" الزواج من الحبيب البروتستنتي، ثم اختفيا معا. بالرغم من عنف باقي الأحداث، الموسيقى التي عبرت عن مشهد الحب هذا، جاءت رقيقة هادئة، مثل موسيقى الأوبرا السابقة "روبرت لو ديابل".

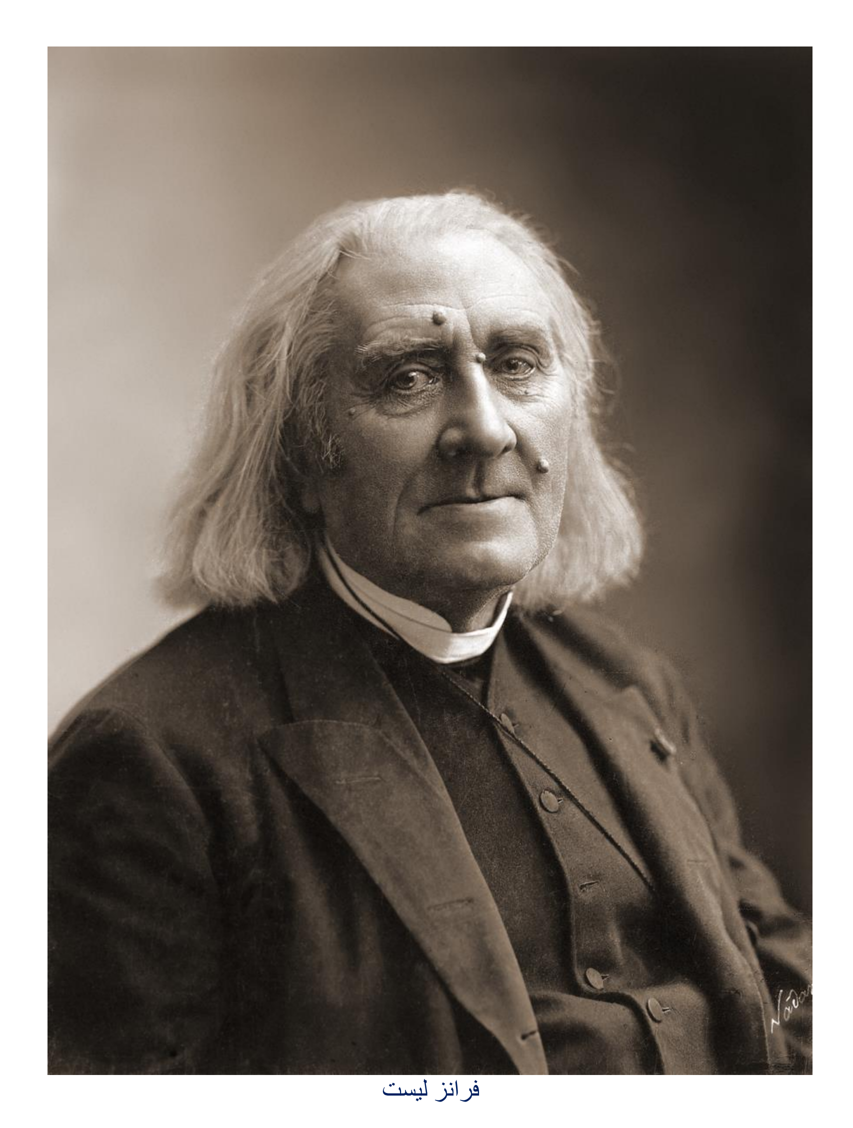
بين أوبراته الأخرى، "ميربير" كان يفضل أوبرا "الأفريقي". لأنها تصور قصة حب البحار الشهير "فيسكو دي جاما"، كما إنها آخر أوبراته التي لم يقدر له مشاهدتها حية على المسرح.


فيسكو دي جاما

أوبرا "الأفريقي"، ل "ميربير".
l'Africaine : Stella - Nicolov - Rinaldi - Protti - Capuana

ترك "ميربير" تأثيرا كبيرا في الكثير من مؤلفي الموسيقى الكلاسيكية، الذين أتوا بعده.

ثاني الموسيقيين الثلاثة، الذين نستعرض موسيقاهم في عجالة، هو "فرانز ليست". طفل المجر، المعجزة. المجر، هي أرض موسيقى الغجر الميلودية الساحرة.



فرانز ليست

"فرانز ليست" من أسرة عتيقة، لكنها فقيرة. ولد عام 1811م، وهي السنة التي ظهر فيها المذنب، الذي ظل ظاهرا للعيان مدة 260 يوما. يبدو أن المذنب، أحضر معه السعد. لأن "فرانز ليست" أصبح فيما بعد ثريا جدا.

كان والده محبا للموسيقى. فعل ما في وسعه، لكي ينمي موهبة ابنه المعجزة. لكنه كان موظفا صغيرا لدى عائلة الأمير "إيسترهازي". هذا يعني، أنه لم يكن في مقدوره فعل الكثير.

"فرانز" الصغير، كان رقيقا حالما عطوفا. يشبه الغجر ، الذين كان يغني ويلعب ويرقص معهم. في الواقع، كان "فرانز" يحب حرية الغجر وحياتهم البرية.

كان لا يفارق آلة البيانو. في بدايته، كان عندما لا تسعفه أصابعه الصغيرة في الوصول إلى مفاتيح البيانو في آن واحد، كان يستخدم أنفه في العزف.

عندما سأله أبوه وهو في سن الخامسة، ماذا يفضل أن يكون عندما يكبر؟ أجاب بأنه يريد أن يكون موسيقيا مثل "بيتهوفن". في سن الثامنة، كان يعزف أمام الكونت "إسترهازي" وبعض النبلاء الأخرين.

كانوا مسرورين من الطفل المعجزة، إلى درجة أنهم خصصوا لوالده منحة مالية، تساعده على أخذ ابنه "فرانز" إلى فيينا. من ثم، انتقلت العائلة إلى هناك.

جاءت سيدة عجوز لتودع العائلة قبل رحيلها، وتنبأت بأن "فرانز" سوف يعود في يوم من الأيام، في عربة فاخرة تجرها الخيول المطهمة.


عربة فاخرة تجرها الخيول المطهمة

حضرت العائلة إلى فيينا، لكي يكمل الطفل "فرانز ليست" تعليمه. في ذلك الوقت، كان أستاذ الموسيقى "تشيرني"، في قمة شهرته.

كان "تشيرني" مسحورا بالصغير "فرانز"، إلى درجة أنه رفض أخذ أجر نظير تعليمه. ظل "فرانز" يحمل لهذا الأستاذ الجليل، كل تقدير واحترام طيلة حياته.

لم يمض وقت طويل قبل أن يفاجئ "ليست" فيينا بموسيقاه. ولم يكف أهل فيينا عن الحديث عن هذا الصبي المعجزة. كان في سن الثانية عشر، ليس له نظير في العالم كله.

عزف يوما أمام العملاق الموسيقي "بيتهوفن"، وأبدع في حضرته. وسط التصفيق الحاد في نهاية العزف، جاء "بيتهوفن" الذي لم يكن قد أعجب بعازف من قبل، حضن الصبي بين ذراعيه وقبله قبلة، لم ينسها "فرانز" بقية حياته.



بيتهوفن

بعد ذلك، قام "ليست" بجولة، زار فيها كبرى المدن الأوروبية، لإقامة حفلات موسيقية كلاسيكية. من هذه المدن، مدينة لندن، حيث يوجد الملك "جورج الرابع" الأبهة، الذي كان معجبا بالشاب المعجزة "موزارت".


جورج الرابع، ملك المملكة المتحدة وراعي الفنون والآداب

أراد "ليست" أن يلتحق بالكونسرفاتوار بباريس. لكنه أصيب بخيبة أمل كبيرة، عندما رفض "شيروبيني" طلبه، بحجة أنه أجنبي. تلى ذلك، حزن عميق وهو في سن السادسة عشر، لوفاة والده.

الآن، كان على "ليست" أن يعول والدته. لذلك، أخذها لكي تعيش معه في باريس. لم يمض وقت طويل، قبل أن يصبح مشهورا في باريس، كما كان معروفا في فيينا.

ربما كانت قُبلة "بيتهوفن" للصبي "ليست"، هي أول دافع وإلهام له. ثاني دافع وجده في باريس، عندما استمع إلى "بجانيني" وهو يعزف على آلة الكمان. كان يتمنى معرفة الكثير عن آلة الكمان وحياة الموهوب "بجانيني" الرومانسية.



بجانيني عازف الكمان الأسطوري

عندما سمع "لست" عزف "بجانيني"، قال: "يا له من رجل. ويا لها من آلة. ويا له من فنان. السماوات! المعاناة! الشقاء! العذاب! كلها تقع كامنة في هذه الأوتار الأربعة."

"بجانيني"، "هرقل" آلة الكمان، و"فرانز ليست" على آلة البيانو، سحرا كل أوروبا في ذلك الوقت، كل على حدة. أينما كان يحل أيا منهما، يتم استقباله رسميا، ويقابل بحفاوة وترحيب بالغين من الجماهير.

كان "بجانيني"، يضع بعزفه المستمعين في حالة إملاء وامتثال عجيبتين. كان يصور بموسيقاه بسهولة بالغة، صوت العاصفة وغناء الطير. كان "ليست" نفسه، يحرص على الاستماع لعزفه، لكي يستمد منه المدد والإلهام.

باجانيني، كونشيرتو الكمان رقم 1، أوركسترا "شلومو مينفز".
Paganini, Concerto per Violino e Orchestra n.1, Shlomo Mintz.
24
"باجانيني" "كابريسي" وتعني أهواء. عزف "نيكولاي مادويان".
Paganini 24 caprices played live in one concert (without interval)!

"ليست"، كان شخصية غريبة نوعا ما. يحمل عواطف متضاربة، تتصارع داخله نحو المجد. في أيام الثورة الفرنسية عام 1830م، كان يرغب في أن يتطوع في الجيش. بعد ذلك، انضم إلى الاشتراكيين. كانت حياته يسيطر عليها التدين.

في أحد خطاباته، كتب لنا ما يلي:

"لعدة أسابيع، يظل عقلي وأصابعي تعمل مثل الأرواح. "هومير"، الإنجيل، "أفلاطون"، "لوك"، "بيرون"، "هوجو"، "لامارتين"، "شاتوبرياند"، "بيتهوفن"، "باخ"،"هومل"، "موزارت"، "فيبر"، كل هؤلاء أجدهم حولي. أقوم بدراستهم، أتأمل أعمالهم، ألتهمهم بعنف. بجانب ذلك، أقوم بالمران أربع أو خمس ساعات يوميا."

عندما بلغ "ليست" سن 27 سنة، شعر بالحنين لأصدقائه الغجر. لذلك، شد الرحال إلى منزله القديم. حيث استقبل بحفاوة بالغة.

هناك، قام باللعب والغناء والرقص معهم. كان يسهر على ضوء الشعلات حتى وقت متأخر من الليل أو حتى السحر. هذه الرحلة أنعشته وجددت من نشاطه.

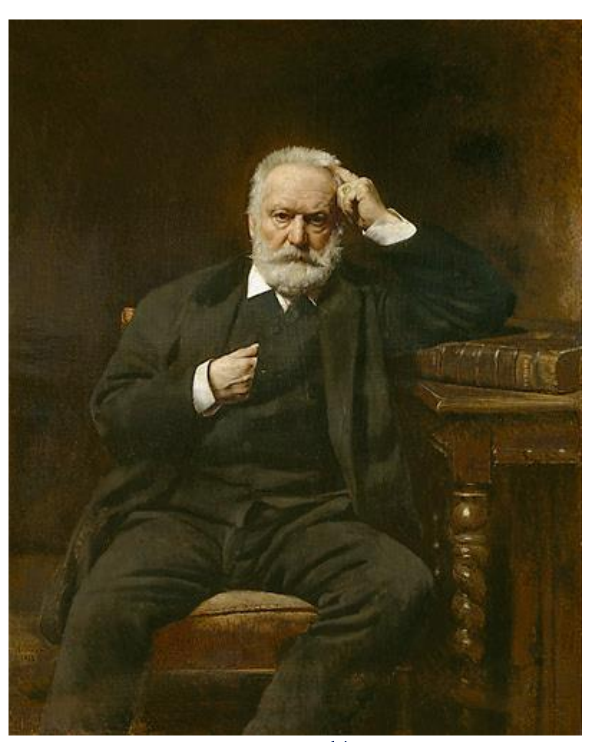
"رهابسوديس المجرية"، عمل موسيقي من أعمال "ليست"، وضع فيه ألحان الغجر التي أحيتها زيارته هذه. كان يحلو له تسميتها "الطفل الهائم".

"رهابسوديس المجرية"، ل "ليست" كاملة.
Liszt - Complete Hungarian Rhapsodies

أكثر سنوات "ليست" نشاطا، هي السنوات التي قضاها في "فايمار"، يعمل كقائد للأوركسترا في مسرح المدينة. نجح في أن يجعل المدينة، كعبة للمؤلفين الموسيقيين.

كان معجبا بأعمال: "جوته"، "شيللر"، "ويلاند"، وآخرين. وكان يسميهم "الفايماريون"، نسبة إلى المدينة "فايمار". كانت المدينة معجبة جدا ب"ليست". كان في حياته، محاطا بمجموعة ساحرة من الرجال والنساء.

كانت تربطه صداقة حميمة بالشاعر النمساوي "فرانز فون شوبار". وكان على علاقة بالأديب الفرنسي "فيكتور هيجو"، صاحب رواية البؤساء، والشاعر الألماني "هينه"، والموسيقار "ميربير". وأيضا، على علاقة بالموسيقيين، "بيرليوز" و"شومان" و"شوبان".



فيكتور هيجو

كان دائم المساعدة للغير، الأقل حظا منه في مجال الموسيقى. هو أول من اكتشف عبقرية "فاجنر"، وقام بتشجيعه. قال "فاجنر" يوما: "صديقي العزيز "ليست"، جعلني أومن بأعمالي، عندما لم يكن يشعر بي أحد".

كان "ليست" يحب عمل حفلات موسيقية في العواصم الأوروبية المختلفة، وخصوصا التي أقامها في روسيا عام 1840م. كان يستقبل هناك استقبالا حافلا. في أحد الأمسيات، حصل على ما يعادل عشرة آلاف دولار.

كان يزور إيطاليا باستمرار. لأنه كان يحب الفن الإيطالي والكنائس الإيطالية. البابا "بيوس التاسع"، كان يكرس وقته لسماعه، ويدعوه ب "ابني العزيز". في أحد المرات، أعطاه تمثالا صغيرا للمادونا.



البابا بيوس التاسع

موهبة "ليست" تقع أيضا في قدرته الفائقة على العزف على آلة البيانو. يداه الرقيقتان، لا يجدان أية صعوبة في عزف أية جملة موسيقية مهما كان تعقيدها. مفاتيح آلة البيانو تأتي طيعة تحت إمرته بدون مشقة.

كان يركز فكره على التعبير. كانت له مقدرة هائلة على عزف موسيقى المؤلفين الآخرين، وجعل أعمالهم تنبض بالحياة. قال "فاجنر"، عندما قام "ليست" بعزف مقطوعة من تأليف "فاجنر"، أنه يشعر أنه هو الذي يجلس على البيانو ويقوم بالعزف.

قال لعازفة بيانو ذات مرة، عندما كانت تسرع في العزف، يجب أن تنتظري برهة قبل أن تضغطي على مفاتيح البيانو، حتى تستجمعي كل أفكارك. كان هذا هو أسلوب "ليست" في العزف.

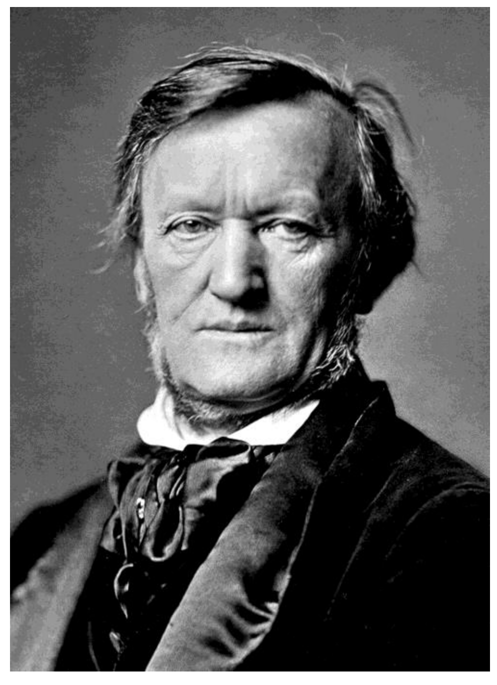
كمؤلف موسيقي، لم يكن "ليست" معروفا للكثيرين. أهم أعماله: أوراتوريو "أسطورة القديسة إليزابيث"، موسيقى القداس، سيمفونية "فاوست"، سيمفونية "دانتي"، وأشعاره السيمفونية.

أوراتوريو القديسة إليزابث ل "ليست".
Franz Liszt: Die Legende von der heiligen Elisabeth

سيمفونية "فاوست" ل "ليست".
Liszt: Faust Symphony

سيمفونية "دانتي" ل"ليست".
LISZT~Dante Symphony S.109 HD Complete *ft. Gustave Doré Scenic Storyline* Complete

حياة "ليست" الخاصة، مليئة بالرومانسية والإثارة. لذلك لن نفاجأ بتحوله إلى درويش، والذهاب إلى روما لكي يصبح "الأب ليست". يقول في ذلك: " لقد بلغت من العمر، ما يجعلني أستعد لنهاية سعيدة".


فاجنر

قضى "ليست" و"فاجنر" سويا أياما مجيدة. بعد وفاة "فاجنر"، ذهب "ليست" إلى مدينة "بايروث" لكي يحي ذكرى "فاجنر"، الذي كان يصفه بأنه "الموسيقي العبقري الوحيد الحقيقي في عصره".

في "بايروث" أيضا، عام 1886م، توفى "ليست" فجأة، ودفن في مقبرة المدينة. لا يبعد كثيرا عن مدفن "فاجنر" بمدينة "وانفريد".

بالرغم من صداقة "ليست" لكثير من الأرستوقراط، إلا أنه كان محبا للعامة. كان يقول: "أنا أعزف للناس في الصالة، لكي يحصلوا على شئ نظير ما دفعوه من نقود".

كان معجبا بالمغنية "جيني لند". وكان يقول: "ما الفائدة في كل هذا، الأوركسترا والمغنين والتدريبات والتحضير والبرامج، إذا كان الجميع يأتون لسماع "لند" فقط.

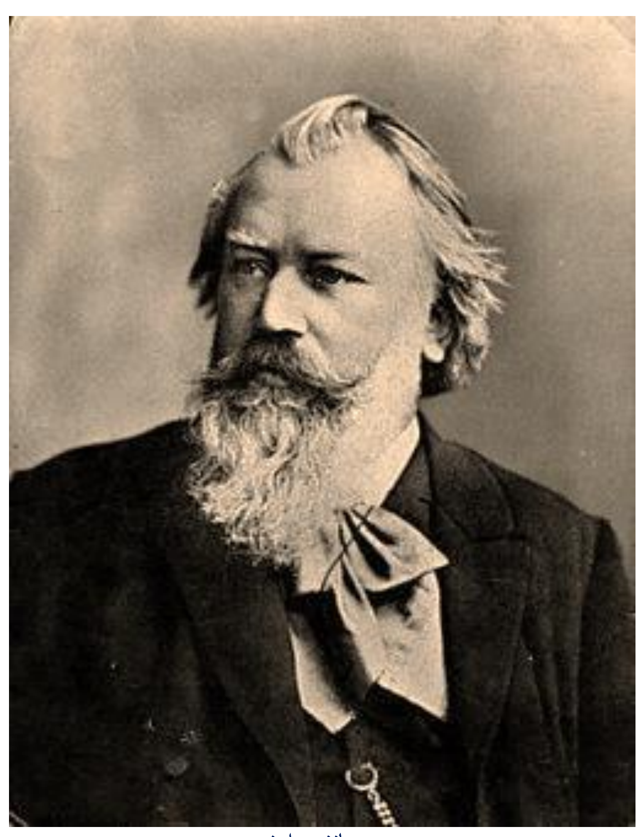
في أحد المناسبات، نصحته سيدة أمريكية بالذهاب إلى أمريكا حتى يكوّن ثروة كبيرة، وهي لا تعرف أنه كان ثريا جدا في ذلك الوقت. أجابها "ليست" قائلا: "لو كنت يا سيدتي في حاجة لمثل هذه الثروة الكبيرة، لما ترددت لحظة في الذهاب إلى هناك".

في أحد جولات "ليست" في سويسرا، دعي إلى حفلة تنكرية في الخلاء، الكل يتنكر في ملابس الفلاحين. كان "ليست" يعزف على ناي من البوص.

فجأة هبت عاصفة هوجاء، جعلت الجميع يهرول إلى مبنى الكنيسة. هناك، جلس "ليست" على الأورغن وبدأ يعزف. سمعه الكاهن، فجرى خارج الدير وهو يصيح مناديا أهل القرية للحضور على عجل، لسماع الملاك جبريل وهو يعزف على الأورغن متخفيا في زي فلاح.

حضر أهل القرية، جثوا على ركبهم، كانت الدموع تنهمر من عيونهم وهم يستمعون لموسيقى "ليست" الساحرة. مثل هذه الموسيقى، لم تسمع بها هذه القرية السويسرية من قبل.

نترك الآن الرومانسي العاطفي "ليست"، لنتحث عن المثقف "برامز". مؤلف موسيقى، لم تكن حياته زاهية مثل حياة طفل المجر المعجزة، "ليست". لكن، كانت له مكانة كبيرة في عالم الموسيقى الكلاسيكية.


جوهانز برامز

ولد "جوهانز برامز" في "هامبورج" عام 1833م. كان تعليمه راقيا. في سن الرابعة عشر، بدأت شهرته كعازف بيانو.

نجح في بداية دراسته للموسيقى مع "شومان". كان "شومان" يرى موهبته المبكرة ونبوغه. وكان "برامز" يكن لأستاذه كل الاحترام والتبجيل.


شومان

كان برامز الشاب، مثقفا رجل فكر. لكنه فضل أن يكون مؤلفا للموسيقى. كان دقيقا في كل ما ألف من موسيقى. له عناية خاصة بالصيغ الفنية والقواعد الموسيقية. على عكس "موزارت" على سبيل المثال. لذلك، تعتبر مؤلفات "برامز"، في بعض الأحيان، جافة باردة. تخلو من الرومانسية والألوان والميلودي.

ذهب "برامز"، كغيره من مؤلفي الموسيقى الكبار، إلى فيينا لكي يستقر هناك. لم يكن يحب الاتصال بالناس وقبول دعواتهم. كان يفضل العمل في هدوء ، عاما بعد عام.

ألف كل أنواع الموسيقى، فيما عدا الأوبرا. ألف موسيقى قداس، يصور قِصر الحياة، ويأمل في الخلود. هذا القداس كان سبب شهرته.

قداس "برامز".
Brahms - Ein Deutsches Requiem 1869 - DRSO - Herbert Blomstedt

بعد هذا العمل الكبير، قام "برامز" بالتأليف لموسيقى الحجرة، ومقطوعات "كونتاتا"، موسيقى كورال، سيمفونيات، العديد من الأغاني. كان يحب الموسيقى الشعبية القديمة. أكثر أعماله حيوية، "رقصات مجرية".

رقصات مجرية، ل"برامز".
Johannes Brahms: Hungarian Dances - Wiener Philharmoniker, Claudio Abbado (Audio video)

سيمفونيات "برامز" ساحرة. تبين أكثر من أي شئ آخر، فنه وعظمته. في كل أعماله، نجد تأثير "باخ" و"بيتهوفن" واضحا.

سيمفونية رقم 2، ل"برامز". بقيادة "كورت ماسور".
Johannes Brahms - Symphony No. 2 in D major, Op. 73 (Kurt Masur, Gewandhausorchester Leipzig)

سيمفونية رقم 4، ل"برامز". بقيادت "كاراجان".
Brahms, Symphony No 4 - Berliner Philharmoniker - Herbert von Karajan


يوهان شتراوس

كان "برامز" إنسانا متواضعا دمث الخلق. في أحد الأيام، كان ضيفا لعائلة "شتراوس" مؤلف موسيقى الفالس الشهير. طلبت زوجة "شترواس" من المدعويين، ومعظمهم موسيقيين، أن يكتبوا شيئا على مروحتها كأورتوجراف للذكرى.

عندما جاء الدور على "برامز"، كتب "برامز" أول جملة موسيقية من الدانوب الأزرق، أشهر أعمال زوجها " يوهان شتراوس". ثم كتب أسفل الجملة: "إنها للأسف ليست من تأليف، المخلص جوهانز برامز".

كل الشباب والشيوخ، كانوا يحبون "برامز". وكان له تاثير على معاصريه ومن أتوا بعده. وبات محبوبا أكثر وأكثر، عندما أصبحت موسيقاه مفهومة. توفى في فيينا ودفن في مقبرة "وارنج"، بالقرب من مقبرتي "بيتهوفن" و"شوبرت".

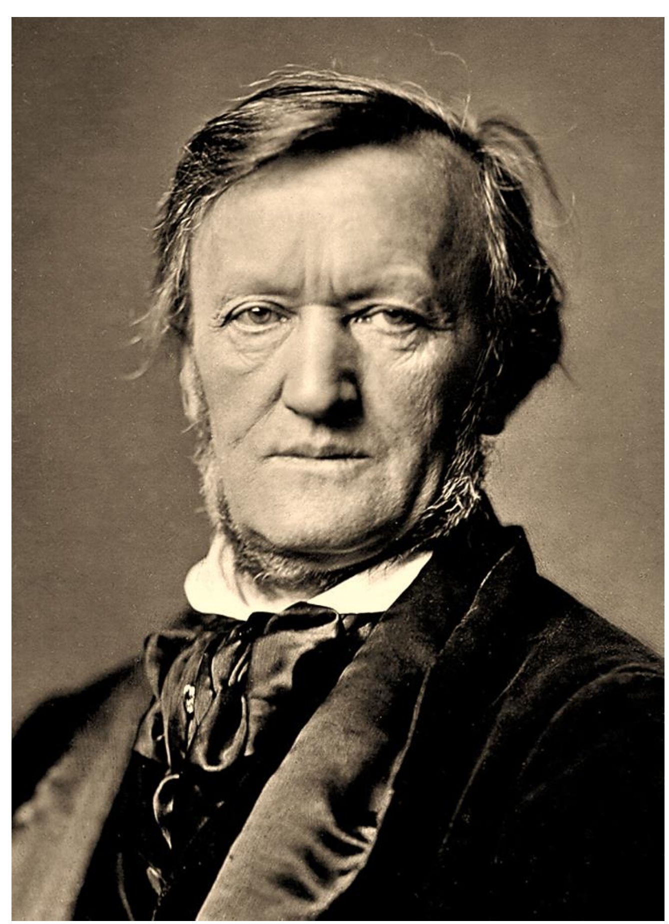
موسيقى "ميربير" الدرامية، "ليست" الرومانسية، و"برامز" الكلاسيكية، كل بدوره، أدت دورها في تطوير الموسيقى وإتقانها إلى الدرجة التي وصلت إليها اليوم.

22

فاجنر

"علينا أن نستمع إلى الموسيقى الإيطالية وسط الإيطاليين. لكن الموسيقى الألمانية، يمكن أن نستمع إليها في أي مكان تحت الشمس." شومان

"فيلهم ريتشارد فاجنر"، هو أصغر أخواته. ولد في "ليبسيك" عام 1813م. عندما كانت تدور رحى الحرب الطاحنة بين جند "نابليون" والحلفاء الأوربيين، توفى والده بسبب حمى كانت منتشرة في المدينة. الوالد كان يعمل موظفا حكوميا.



فاجنر

والدته، كانت سيدة مدبرة. عاشت هي وأولادها الكثر بالكاد على معاش حكومي متواضع. ابنها الأكبر، لم يكن يتخطى سن الرابعة عشر. تزوجت من "غيير"، وهو ممثل وكاتب ورسام. أثبت أنه زوج صالح وأب حقيقي للأم وأطفالها.

بسبب تأثير زوج الأم، أصبح عدد من الأبناء الكبار ممثلين بالمسرح. هذا يعني أن "ريتشارد فاجنر"، بطل قصتنا هذه، كان يسمع منذ نعومة أظافره الكثير عن المسرح.

كان زوج الأم مهتما أيضا بالصغير "ريتشارد، لكنه لم يكن يدري ماذا يفعل به. لأن "ريتشارد"، كان طفلا عصيا. لا يستذكر دروسه، ولا يحب الرسم، أو العزف على البيانو.

لكنه كان يحب التنزه في الغابة برفقه زوج الأم "غيير". الذي كان يحبه حبا جما. وكان يفضل أن يدعى "رتشارد غيير"، إلى أن بلغ سن الحادية والعشرين.

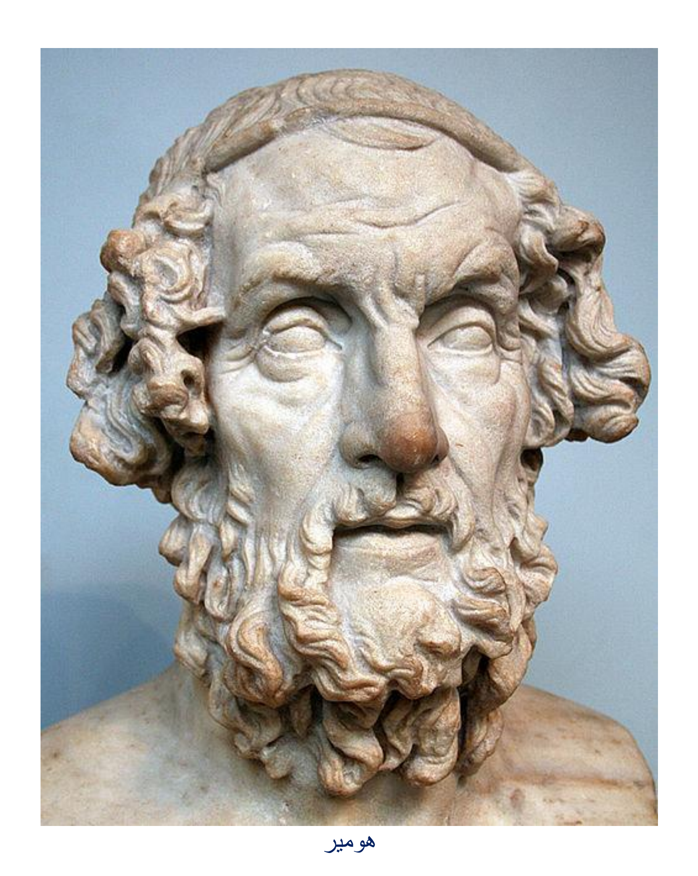
كانت ل"ريتشارد" هواية غريبة. إنه يحب تأليف قصص العفاريت والأشباح. كانت تساعده أخته الغير شقيقة، "سيسيليا". ليلة بعد أخرى، كل أنواع المخلوقات الشيطانية والعفاريت، كان يتخيلها وهي تتكلم وتمثل.

أثناء مرض زوج الأم "غيير" الأخير، سمع "ريتشارد" وهو يحاول العزف على البيانو. ثم خاطب زوجته متسائلا: "هل يمكن أن يكون ريتشارد موهوبا؟"

بعد وفاة "غيير"، كانت الأم تحاول تشجيع ابنها قائلة: "إنه كان يحاول أن يجعل منك شيئا". لكن "ريتشارد" كان حالة مستعصية. فلم يكن يجيد العزف على أية آلة موسيقية.

أُرسل "ريتشارد فاجنر" إلى مدرسة في مدينة "درسدن"، ومكث بها 5 سنوات. عندما انتقلت العائلة إلى "ليبسيك"، التحق بالجامعة هناك. كانت متعته هي دراسة: "شكسبير"، التاريخ، الأساطير القديمة، والحضارة الإغريقية.

في سن الثانية عشر، قام بترجمة 12 جزءا من ملحمة "الأوديسة"، للشاعر الإغريقي "هومير". ثم قام في نفس الوقت بتأليف مسرحية ملفتة للنظر.



هومير

أثناء أحداث المسرحية، يموت عشرات الشخصيات، إلا شخصية واحدة. ثم يعودون للظهور كأشباح شفافة في الفصل الأخير. هذه التراجيديا، حفزته على دراسة الموسيقى الهارمونية، التي أعجبته كثيرا.

أول اهتمام بالموسيقى، جاء عن طريق "فيبر". كان يعتقد "فاجنر" أن "فيبر" هو أعظم موسيقى على وجه البسيطة، وأن أوبرا "دير فريشييتز" ل"فيبر"، هي أعظم الأوبرات.

"دير فريشييتز"، ل"فيبر".
Carl Maria von Weber Der Freischutz, Carlos Kleiber

بعد ذلك، استمع "فاجنر" إلى سيمفونيات "بيتهوفن". سيطرت موسيقى بيتهوفن على عقله وقلبه وأصبح مثله الأعلى. "بيتهوفن" جعل "فاجنر" يزهد في كل شئ، فيما عدا موسيقاه.

تفرغ "فاجنر" لدراسة نوت "بيتهوفن" الموسيقية. كان يدندن ويغني ألحانه ليل نهار. عندما بلغ سن الثامنة عشر، لم يكن أحد في سنه، ملما بأعمال الأستاذ العظيم "بيتهوفن"، مثل "ريتشارد فاجنر".

لم يكن "فاجنر" محبا للحياة الدراسية والتلمذة التقليدية. مع مرور الوقت، بدأ فكره يتحول إلى عالم الموسيقى. إليها كان المنتهى والدراسة الجادة، لمعرفة أصولها وأسرارها وخباياها.

الحفلات الموسيقية التي كانت تقام في مدينة "ليبسيك"، ساعدته كثيرا. أعطته الفرصة للتركيز على الأوركسترا، وعلى كيفية قيادته. أول عمل موسيقي له، كان مكتوبا لكي يعزف بأوركسترا من الحجم الكبير.

عندما قُدِّم العمل على المسرح أول مرة، قوبل بصيحات وقهقهات الحاضرين. لأن الموسيقى كانت مليئة بضربات الطبول والإيقاعات المرتفعة المستمرة.

لكي يعول "فاجنر" نفسه، كان يتجول بين المدن المختلفة. في بعض الأحيان، كان يرأس الجوقات الغنائية. في أحيان أخرى، كان يكتب الأوبرات التي لم تكتب لها الشهرة.

في هذه الأثناء، قابل تحت ضوء الشموع الخافتة، ممثلة مغمورة اسمها "ويلهلمينا بلانر". ثم تسللا سويا في ضوء القمر لكي يعقدا قرانهما.

لم تكن ممثلة موهوبة وكانت زوجة عادية. كان "فاجنر" يدافع عنها قائلا: "إنها تحيا حياتها وتفعل ما في وسعها. تعبر عما يجول بخاطرها. فماذا نستطيع أن نفعله؟".

وجد "فاجنر" وزوجته، وظيفتين في مسرح "ريجا". هناك كتب أول أعماله الهامة "رينزي". كان شغوفا بقراءة قصة الأديب والسياسي "لايتون" بعنوان "رينزي".



الأديب والسياسي لايتون، مؤلف رواية رينزي

هي قصة تدور أحداثها في القرن الرابع عشر. بطل القصة "رينزي"، عالم حالم، حاول إيقاظ شعبه، لكي يقوم بتحرير روما من قبضة نبلائها الطواغيت العتاة.

أوبرا "رينزي"، ل"فاجنر".
Wagner - Rienzi der Letzte der Tribunen (Rienzi, the Last of the Tribunes) Full

كتب فاجنر جزءا من لحنها في مدينة "ريجا". عندما تيقن أن الأوبرا تستحق الإنتاج، أخذها إلى باريس لكي يعرضها هناك. لذلك، أبحر هو وزوجته وكلبه الضخم، متوجهين إلى لندن.

يبدو أن بحر الشمال كان غاضبا، فقد السيطرة على أعصابه. لأنهم واجهوا عاصفة عاتية، أوشكت على تدمير المركب. أثناء الرحلة، كان البحارة يرفهون عن الركاب ويقصون عليهم حكاية "الهولندي الطائر". الذي كان يصر على الإبحار عن طريق رأس الرجاء الصالح، مهما كانت المخاطر والصعاب.


سفينة الهولندي الطائر

أخبر البحارة "فاجنر"، كيف نُسِجت لعنة مدمرة حول الهولندي الطائر، بسبب تجديفه وسبه لروح المحيط الشرسة الشريرة. لقد حُكِم عليه بأن يظل هائما على وجهه إلى الأبد بدون هادي أو معين، إلى أن يجد إمرأة، تخلص لحبيبها حتى الممات.

لكي يجدها، سمح له بأن يرسو بسفينته على البر مرة كل سبع سنوات. بعد الفشل عدة مرات، قابل كابتن نرويجي فقير، كان مستعدا لبيع ابنته "سينتا".

منحت "سينتا" كل حبها للهولندي الطائر، وأخلصت له على الدوام. فأبطل حبها وإخلاصها الخالد، اللعنة الواقعة على الهولندي. ثم غرقت السفينة المعلونة، ونجا الحبيبان إلى الأبد.

كان ظهر السفينة التي يركبها "فاجنر" وزوجته وكلبه، خير مكان يمكن أن يسمع فيه مثل هذه الحكايات. لكن الأسطورة والموسيقى المصاحبة لها، كانت لها تأثير طاغي على "فاجنر".

بعد هذه الرحل العاصفة، التي استمرت ثلاثة أسابيع، وصلوا إلى لندن. ثم أبحروا ثانية إلى "بولونيا". هناك، قابلوا "ميربير"، مؤلف الأوبرا المشهور. فقام "فاجنر" بعرض نوتة أوبرا "رينزي" الموسيقية عليه.

أظهر "ميربير" اهتماما بالأوبرا، ثم أعطى "فاجنر" بعض التعليمات، التي يمكن أن تساعده في باريس. لكن لخيبة أمل "فاجنر الكبيرة"، عندما وصل إلى المدينة العظيمة، لم يجد من يقبل إنتاج الأوبرا وعرضها. خلال الثلاث سنوات التي قضاها "فاجنر" هناك، لم يجد مساعدة تستحق الذكر من الباريسيين.

كان يسكن فاجنر في كوخ صغير في أحد أحياء باريس. وكان يؤجر بيانو. خلال سبعة أسابيع، أتم "فاجنر" تلحين أوبرا "الهولندي الطائر". طعمها ببعض أغاني البحارة التي سمعها أثناء رحلته.

أوبرا "الهولندي الطائر" كاملة مع ترجمة بالإنجليزية، ل "فاجنر".
Richard Wagner - Der Fliegende Holländer - Sir Georg Solti

ألف "فاجنر" أعمالا موسيقية أخرى، منها "الجازيت"، وكان يفعل ما في وسعه لكي يقيم أوده. لكنه كان يحصل على القليل نظير جهوده هذه.

بعد أن تملكه اليأس وخيبة الرجاء، قرر مغادرة باريس. في هذه الأثناء، جاءته الأخبار بأن أوبرا "رينزي" لاقت القبول في مدينة "درسدن". عاد مسرعا إلى بلاده، لكي يساعد في إخراجها للمسرح.

تم إخراج "رينزي" بطريقة عظيمة، وقوبلت بحماس شديد. أخيرا، بعد جهد شاق ومعاناة عظيمة، سمح ل"فاجنر" أن يستمتع قليلا بأول ثمار نجاح.

تم تعيين "فاجنر" قائد أوبرا في "درسدن". هناك، قام بعرض أوبرا وراء أوبرا من تأليف موسيقيين آخرين. بعضها كان من تأليفه هو.

منها أوبرا "الهولندي الطائر". التي لم تستقبل بحفاوة مثل اختها أوبرا "رينزي". لأن "الهولندي الطائر"، بها أصالة لم يكن من الممكن استيعابها وتقديرها من أول وهلة.

أوبرا "تانهويزر"، كانت التالية في أعمال "فاجنر" على المسرح. القصة تتمركز حول مباراة في الأغاني، أقيمت في قلعة "وارتبورغ"، أيام زمان. الجائزة، هي يد "القديسة إليزابث".

كان الفائز هو "تانهويزر"، بعد ذلك مباشرة اختفى ثم ذهب للحج. موسيقى "المارش" في الأوبرا، التي تصور موكب الحجاج، وصلاوات "القديسة إليزابث"، سحرت المستمعين منذ ذلك الحين وإلى وقتنا هذا.

أوبرا "تانهويزر" ل"فاجنر:
Richard Wagner – Tannhauser HQ

هذه الأوبرا، تنبأت بظهور مؤلف موسيقي عظيم. لكن "الهولندي الطائر"، لم تكن مفهومة. الذين اشتركوا في عرضها، كانوا يقولون إن ألحانها من الصعب غنائها.

فشل "الهولندي الطائر" كان ضربة قاصمة ل"فاجنر". عندما أكمل أوبرا "لوهنجرين"، الفارس المتخفي في صورة بجعة، الذي يقوم بإنقاذ "إليز" من الوصي الشرير، لم يكن لها مكانا للعرض على المسرح. اليوم، هي أشهر أوبرات "فاجنر".

أوبرا "لوهنجرين" ل"فاجنر".
Lohengrin, Scala 2012 (Barenboim, Kaufmann, Pape)

أثناء وجود "فاجنر" في "درسدن"، جاء "سبونتيني" لكي يعرض أوبرا "لا فيستالي" من تأليفه. سرعان ما تعارفا وأصبحا صديقين حميمين. نصح "سبونتيني" "فاجنر"، بترك التأليف الموسيقي الأوبرالي. كانت تبدو نصيحة جيدة في ذلك الوقت، لكن لحسن حظ عشاق الموسيقى الكلاسيكية اليوم، لم يأخذ "فاجنر" بهذه النصيحة.

لم نسمع الكثير عن "فاجنر" في السنوات التي تلت تلك النصيحة الهباب. لأنه كان ثائرا سياسيا، ومتمردا على الأوضاع الدينية. أثناء قلاقل عامي 1847 و1848م، كانت خطبه النارية تدفع السلطات للقبض عليه. لذلك، كان عليه الهرب من ألمانيا.

ظل هاربا خارج ألمانيا عدة سنوات. معظم الوقت، كان متواجدا في سويسرا. هذه الفترة من حياته، كانت تسمى فترة الحرية.

كان يدرّس ويكتب المقالات في موضوعات مختلفة. كان أيضا يؤلف الموسيقى، منها عمله العملاق "خاتم نيوبلونجز"، أو "خاتم اللورد"، أو "الخاتم".

كان الألمان فخورين بهذا العمل الضخم، "خاتم نيوبلونجز"، كما كان الإغريق فخورين بالإلياذة والأوديسة للشاعر هومير. لأنها كانت مليئة بقصص الأبطال الألمان، منهم الفارس "سيغفريد" والبطلة "برونهيلدي".

"خاتم نيوبلونجز"، تتكون من أربع أوبرات، هي: "ذهب الراين"، "فالكيري"، "سيغفريد"، "شفق الآلهة".

"ذهب الراين" ل"فاجنر".
Wagner - El oro del Rhin (Sawallisch, 1989

"فالكيري" ل "فاجنر".
Richard Wagner - Die Walküre - Live - Subtitles - 2016 - Dutch National Opera

"سيغفريد" ل"فاجنر".
Wagner - Siegfried Full

"شفق الآلهة" ل"فاجنر".
Wagner, Götterdämmerung, Boulez, Bayreuth '79

"خاتم اللورد"، مع موسيقى "فاجنر".
The Lord of the Rings - Symphony Soundtrack HQ - Complete Album HQ

قصة "خاتم نيوبلونجز" بنيت حول ملكية خاتم سحري، مثل خاتم سليمان. الكل يطلبه، لكنه مصحوب بلعنة تحل على من يملكه. كنز الذهب، الذي صنع منه الخاتم، كان مملوكا لعذارى نهر الراين. ثم سرقه قزم شرير.

بعد أن تناولت ملكية الخاتم أيادي كثيرة، وقع في يد الفارس "سيغفريد" بعد أن قتل التنين. في أحد المغامرات، عبر "سيغفريد" حائط اللهب، لكي ينقذ "برونهيلدي" من السجن الصخري. أعطاها الخاتم، فقامت بإبطال لعنته، وأعادته لعذارى نهر الراين.

الأوبرات تحتوي على أساطير وحكايات متنوعة كثيرة. كل العواطف والانفعالات الإنسانية، تجدها معبّرة بالموسيقى. كما أن مشاهدتها على المسرح، يزيد من سحرها وجلالها. لا شئ يعادل مشاهدة هذا العمل الرائع حيا على المسرح.

يصف "فاجنر" موسيقاه التي وضعها في هذا العمل الجبار، بأنها موسيقى المستقبل. استغرق تأليفها 20 سنة من عمر "فاجنر" بالتمام والكمال.

لم يكن يؤلف باستمرار. لأنه لم يكن هناك ما يشجع على التأليف. فلم تكن لديه بارقة أمل في عرض ملحمته العظيمة هذه على العالم الخارجي.

بينما كان "فاجنر" يؤلف رباعيته "خاتم نيوبلونجز"، بات شغوفا بأسطورة "تريستان وأيزولدة". فقام، بناء على هذه الأسطورة، بتلحين أوبرا عظيمة بنفس الإسم.

"تريستان وأيزولدة" ل"فاجنر".
Wagner - Tristan und Isolde (Barenboim, Ponnelle, 1983) (complet - ST de-fr-eng-esp)

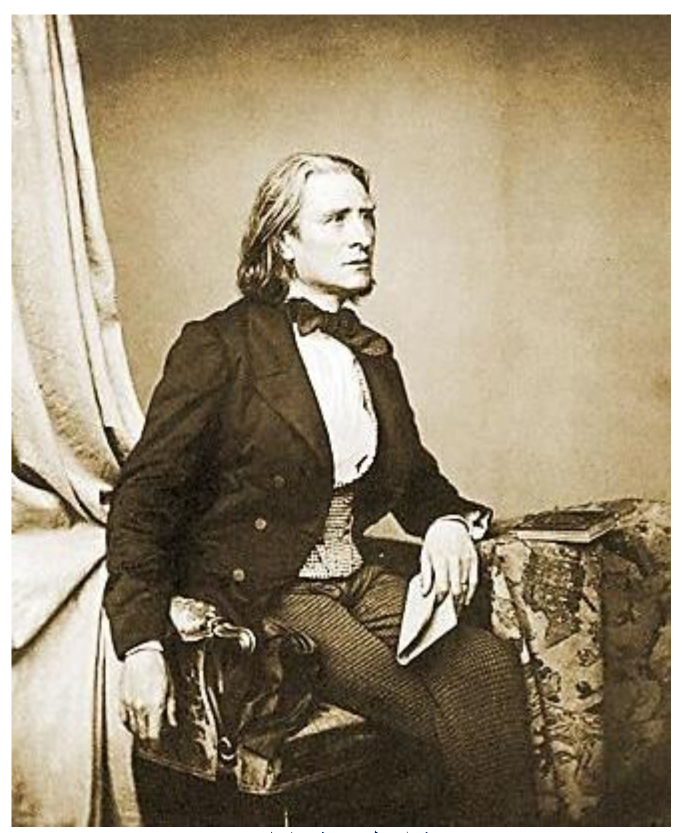
حب البطل للبطلة العذراء، ظهر في موسيقى الحب، التي تعتبر من أجمل ما عرض على مسارح الأوبرا في تاريخها.

مشاهد حب مع موسيقى "ترستان وأيزولدة" ل"فاجنر".
Wagner 'Love Music' (Tristan and Isolde) - Stokowski / Philadelphia Orchestra

بينما كان "فاجنر" هاربا في سويسرا، نمت صداقته مع "ليست". هو الذي ساعده على الهرب، وكان دائم الزيارة له. كانا يقومان بالرحلات عبر الجبال سويا.

بعد ذلك بعدة سنوات، أثناء مأدبة عشاء في ميونخ، أقيمت لتكريم "فاجنر"، قال "ليست": "تكريم فاجنر هو كل ما أبغي. فأنا لا أطمع في شئ لي أو لأعمالي".

كان "فرانز ليست" هو الصديق الوفي ل"فاجنر". كان يعزف موسيقاه، وعيناه مغرورقتان بالدموع. كان يعرف قيمة موسيقى "فاجنر" الفريدة الآتية من عالم آخر، بينما العالم الذي نعيش فيه، كان في شك وحيرة من أمره.


فرانز ليست في شبابه

في عام 1850م، عرض "ليست" أوبرا "لوهينغرين"، في "فايمار". أصيب بالأسى، عندما لم يستقبلها الجمهور بالحماس الذي تستحقه. مضت سنوات عديدة قبل أن يشاهدها "فاجنر" نفسه على المسرح. وكان يقول: "تقريبا كل الألمان شاهدوها إلا أنا".

لكن "فاجنر"، قوبل بكل الود في إنجلترا. في عام 1855م، قاد الأوركسترا الفيلهارموني هناك. لكن مواطنوه وأهله وعشيرته الألمان، لم يعجبوا بموسيقاه إلا في وقت متأخر من حياته.

مع مرور الوقت، بدأت "لوهينغرين" تكسب معجبين. من بينهم، وأكثرهم حماسا، "لودفيج" الشاب ملك "بافاريا". كان يتخفى في ملابس الفارس البجعة، ويركب قاربا في شكل بجعة لعدة ساعات.

عندما علم بإحباط "فاجنر"، قرر أن يكون راعيه، ثم استدعى "فاجنر" لبلاطه بمدينة ميونخ. سر الملك لاستقباله. أعطاه منزلا وراتبا سنويا.

في عام 1865م، تم عرض "ترستان وأيزولدة" على مسرح البلاط الملكي. لكن الحساد تدخلوا في عمله. لذلك قرر الذهاب إلى "لوسيرين" لكي يعيش ويعمل هناك لخدمة راعيه الملك.

هناك قام بتلحين "ماسترسينجرز"، وهي أوبرا فكاهية، تصور الحياة المرحة أيام زمان. عندما كان ثمن الفوز بالحب أغنية، "ماسترسونج".

أوبرا "ماسترسينجرز" ل"فاجنر".
Richard Wagner - Die Meistersinger von Nürnberg

في قصة الأوبرا، الفارس النبيل "والتر"، جاء إلى "نوريمبورج"، لخطبة الرقيقة "إيفا". أوحت له الطيور بلحن غنائي. لكن كيف يتسنى له النجاح، في مباراة غنائية، يكون الحكم فيها على مدى الالتزام بالقواعد والأصول الموسيقية؟ لكنه في النهاية، يفوز بيد حبيبته، بأغنية عفوية.

عرضت أوبرا "ماسترسنجرز" في ميونخ عام 1868م. بعد ذلك، أضحى الألمان الآن متحمسين لأوبرات "فاجنر". كانت زوجته قد توفيت منذ عدة سنوات مضت.

في عام 1870م، تزوج "فاجنر" من "فراو"، أرملة الموسيقي "بولو"، وابنة "فرانز ليست". يقال أنه كانت بينهما علاقة غرامية أثناء زواجها السابق.

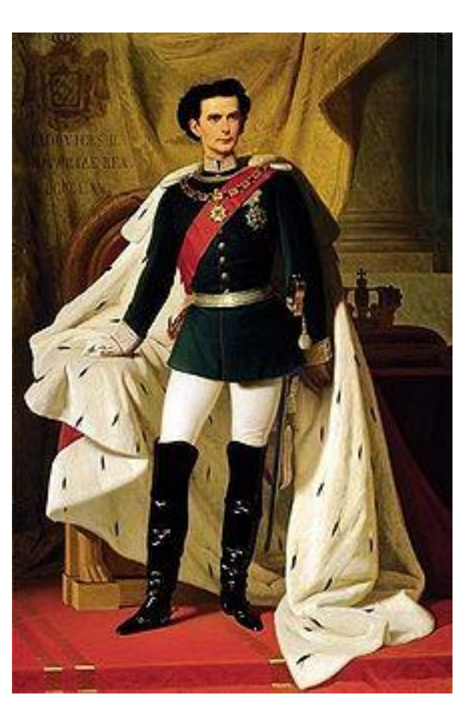
بعد أن أكمل "فاجنر" ملحمته، "الخاتم"، قرر أن يعرضها في مكان يناسبها. لذلك وجه نداءً إلى العالم أجمع، لكي يساعده في بناء دار أوبرا، اختار مكانها مدينة "بايرويت".

في عام 1872م، وضع حجر الأساس في احتفال كبير، عرضت فيه سيمفونية "بيتهوفن التاسعة". كان تصميم دار الأوبرا، بحيث تكون صفوف المقاعد، صف أعلى من صف.

حتى يرى الجميع العرض بوضوح. بها أيضا قاعة لعرض الصور، ومكان خفي للأوركسترا.



دار الأوبرا التي بناها فاجنر في مدينة بايرويت



لودفيج الثاني

عندما تم بناؤها عام 1876م، أصبحت هدفا لكل عشاق الموسيقى من كل أرجاء العالم. يأتون إليها، لكي يشاهدوا العرض الأول ل أوبرا "الخاتم". حتى امبراطور بافاريا (ألمانيا)، "لودفيج الثاني"، كان حاضرا.

قام "فاجنر" بنفسه بوضع كل التفاصيل الدقيقة الخاصة بالتمرين والملابس واللوحات. كان الأوركسترا، يتبع إشاراته وإيماءاته ونظراته، كذلك المغنيين والممثلين وراقصي الباليه، بدقة متناهية. كان هذا العرض، هو أول نصر عظيم ل"فاجنر". توج بالفخار وأكاليل الغار. منذ ذلك الحين، بدأت شهرته تتزايد، يوما بعد يوم.

آخر عمل ل"فاجنر"، كان أوبرا "بارسيفال". تمت عام 1882م. عمل ديني عن "الكأس المقدس". وهي أصعب أعماله فهما. النص يعتمد على أسطورة مسيحية من القرن الثالث عشر، عن مغامرات فارس بهذا الاسم.

الأوبرا تصور الصراع بين المسيحية والوثنية، بين الخير والشر، بين النور والظلام. لذلك، اعتبرها الفيلسوف نيتشة عملا خبيثا. جعلت "فاجنر" من وجهة نظر "نيتشة"، يسقط في أحضان الفكر الظلامي الديني. بعد أن كان يعتبره رمزا للتحرر والثورة على الظلم والعبودية.

في مدينة "بايرويت"، بنى "فاجنر" لنفسه بيتا جميلا، سماه "وينفريد". كتب عنه يقول: "هنا، حيث ترقد أحلامي في سلام، أسمي منزلي، سلام الأحلام". في هذا المنزل، كانت زوجته "فراو" وأولاده والموسيقى.

أطلق اسم "سيغفريد" على ابنه الأكبر. وهو اسم البطل الأسطوري المفضل عند "فاجنر". في عام 1882م، مع بداية المشاكل الصحية، كان مضطرا للذهاب إلى أيطاليا للحياة هناك.

أقامت أسرة "فاجنر" في البندقية. هناك، كان "فاجنر" معبود الجماهير، ثريها وفقيرها. هناك، توفى فجأة عام 1883م. لم تر إيطاليا حزنا لوفاة عزيز مثل هذا الحزن، منذ وفاة البطل القومي "غاريبالدي".

حُمل جثمان "فاجنر" عائدا إلى "بايرويت"، لكي يدفن في قبو بحديقة منزله. مع عزف موسيقى المارش الجنائزي من أوبرا "سيغفريد".

وضع حجر يبين مكان دفنه. بجواره علامة أخرى تبين مكان دفن كلبه العزيز، مكتوبا عليها: "هنا يرقد في سلام الحارس الأمين والصديق الوفي، مارك".

عبقرية "فاجنر" الطاغية، لازالت تحلق في سماء "بايرويت". حيث توجد دار الأوبرا، التي هي بمثابة معبد موسيقى المستقبل. في كل احتفالية، يتجمع محبو الموسيقى من كل أنحاء العالم. فتتزين المدينة بأبهى حليها، لكي تحتفل بضيوفها الكرام.

كان "فاجنر" مثابرا صبورا شجاعا. قضى معظم وقته في محاولة جعل العالم يفهمه ويعترف به. كان يعتقد في البداية أنه شاعر، ثم تحول للموسيقى يكتب بها الشعر.

كتب عدة أعمال أدبية. هو أعظم عبقري موسيقي ظهر بعد "بيتهوفن". كان يؤمن بأن المسرح، مكان للأعمال الفكرية، لا التافهة.

لكي نفهم موسيقى "فاجنر"، يجب أن نستمع إليها مرارا وتكرارا. أوبراه لا تعتمد على الأغاني والدويتو، ملضومة بخيط السرد والكلام. لكنه يستخدم أسلوب الدافع الرئيسي. بمعنى أنه يعطي لكل شخصية، اللحن المناسب.

في الواقع، هناك لحن لكل مناسبة عاطفية وكل خلجة أو شجن. هناك ظلال بدرجات متفاوتة لكل لحن. كانت له قدرة عجيبة على اللعب بهذه الألحان ومزجها في ميلودي لا تنتهي. الأوركسترا، صادقة، تعكس كل صغيرة وكبيرة تحدث على المسرح.

كل تغيير للمشهد، كل إيماءة أو التفاتة، لها صداها الموسيقي. مزج بخياله المتقد، الشعر والموسيقى والحركة والإيماءات. لكي يأتي بتعبيرات مختلفة تخدم العمل الدرامي. رفع الدراما الغنائية إلى مستوى السيمفونية.

حدث في عصره جدل كبير حول موسيقاه. لكن، أليس كل إصلاح وتطوير يصاحبه جدل ورفض؟ عظمة "فاجنر" تتجلى أكثر فأكثر، لدى هؤلاء، الذين يعطون أنفسهم إجازة من جمال أغاني الأوبرا الميلودية.

لكي يستمتعوا بجلال الميلودي التي لا تنتهي. بمعنى، أنه بدلا من التمتع بجزر منعزلة من الأغاني الفردية والجماعية، كما هو الحال بالنسبة للأوبرا الإيطالية، المتعة تكون أكبر بتذوق العمل كله كوحدة متكاملة.

23

الموسيقى الكلاسيكية الحديثة
ديفورجاك-تشايكوفسكي- آخرون

هناك أعداد أخري لا تحصى من مؤلفي الموسيقى الكلاسيكية، عبر القرون والأزمان لم نتطرق لهم في قصتنا هذه عن الموسيقى الكلاسيكية الغربية. مؤلفون هم أيضا ساهموا بقدر ما في صناعة المستقبل. سوف نستعرض حياة وأعمال بعضهم في عجالة. لعلنا نلمس عن طريقهم روح العصر الذي نعيش فيه.

سوف نبدأ بالموسيقي الدينماركي "نيلز جيد" (1817-1890م)، في القرن التاسع عشر.



نيلز جيد

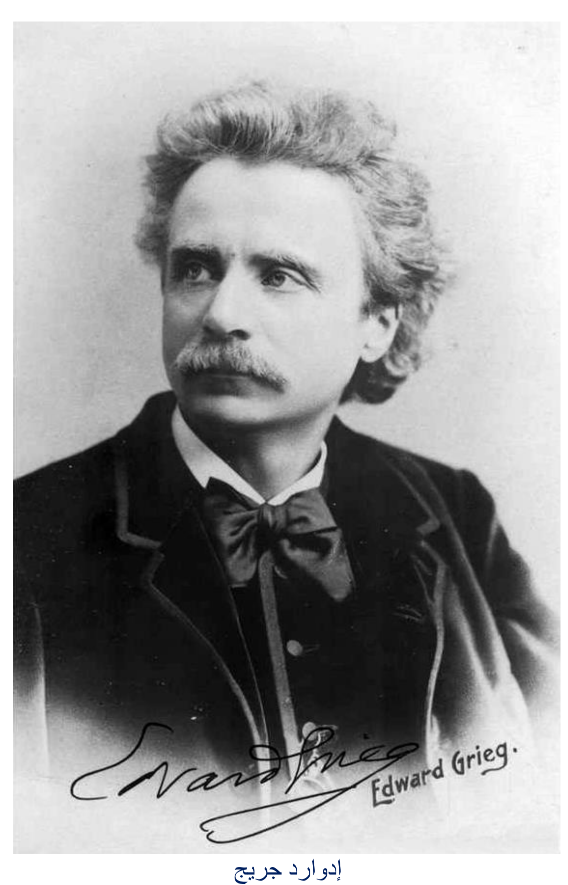
يتميز بالإسراف في التلوين الموسيقي الذي يظهر في ألحانه الشعبية. أعماله مليئة بالوطنية، كما أنها لا ينقصها الصقل والسحر.

له موسيقى حجرة، ومقطوعات للبيانو، وسيمفونيات وأغاني بهيجة، جعلته مشهورا ومألوفا. أحب المؤلفون الألمان أعماله، خصوصا "شومان" و"مندلسون". من تلاميذه في "كوبنهاجن"، النرويجي "جريج".

كونشيرتو الكمان رقم 2 ل"جيد".
Axel Gade - Violin Concerto No.2 in F-major, Op.10 (1899)

سيمفونية رقم 4 ل "جيد".
N. Gade - Sinfonia n. 4 Op. 20

"إيدوارد جريج" (1843-1907م)، عن طريق دروس "جيد" الموسيقية وتشجيع عازف الكمان النرويجي "أولي بول"، شق طريقه بشجاعة في عالم التأليف الموسيقي.



إدوارد جريج

إذا كان هناك من يحب وطنه، أو من يحب تصوير الحياة اليومية في النرويج بموسيقى زاهية الألوان، فهو "إيدوارد جريج". أغانيه الشعبية، يبدو أنها كانت ترن في أذنه طول الوقت.

أغاني المضايق المهجورة والأنهار الجليدية، أو أغاني المروج المضيئة بأشعة الشمس الذهبية، وصيادي الأسماك في قواربهم. كئيبة كانت أم بهيجة، أغانيه مكتوبة بحرفية وفن بديع. لذلك، يستحق مكانا بين مؤلفي الموسيقى وملحني الأغاني العظام، المعدودين على الأصابع.



بلاد النرويج

كان يسافر "جريج" في أوقات مختلفة إلى العديد من الدول الأوربية. وكان يستقبل بحفاوة وتكريم. كان مخلصا لوطنه وموسيقاه. قضى سنواته الأخيرة في منزله بالقرب من "بيرجين"، وكان معبود مواطنيه.

كل محبي الموسيقى، يألفون موسيقى "جريج" الميلودي والهارموني. كل عازفي البيانو، يعزفون موسيقاه. كل عازفي الكمان، على علم بسوناتات "جريج". كل الفرق الموسيقية، تقوم بعزف عمله الأوركسترالي الزاهي الصورة، "بير جينت".

بيانو كونشرتو ل"جريج".
Edvard Grieg - Piano Concerto in A minor Op. 16 (complete)

"بير جينت" ل "جريج"، مع مناظر طبيعية بديعة.
Edvard Grieg: Peer Gynt Suite No.1

رقصات سيمفونية ل"جريج".
Edvard Grieg - Symphonic Dances / Danses Symphoniques

ألحان شعبية ل"جريج".
Grieg - Op.17 - 25 Norwegian Dances and Folk Songs

سوناتا الكمان رقم 2 ل "جريج".
Grieg - Violin sonata n°2 - Oistrakh / Yampolsky

موسيقي آخر حديث، هو "أنتونين دفورجاك". فخر بوهيميا (جزء من جمهورية التشيك)، مثلما كان "جيد" فخر الدينمارك و"جريج" فخر النرويج. والده كان جزارا، يرفض بشدة أن يكون ابنه غير ذلك.



دفورجاك

لحسن الحظ، كان "دفورجاك" يعيش في وسط موسيقي. لأنه في بوهيميا، كل الناس تحب الموسيقى. تعلم الغناء والعزف على الكمان في المدرسة. في سن الثانية عشر، تعلم العزف على الأورغن.

بالإضافة إلى بعض الدروس العادية في المدرسة في براغ، كان وقته الباقي يقضيه في عزف الموسيقى في الحفلات أو في المطاعم أو في الكنيسة، حينما تحين الفرصة.

لم تكن لديه كتب معرفة، أو نقود يشتري بها نوت موسيقية. لكنه قام بدراسة الأوركسترا، إلى الدرجة التي أذهلت العالم، خصوصا أعماله الأخيرة. سمع مرة أوبرا "ماسترسنجرز" ل"فاجنر"، فأصبح فاجنر معبوده في عالم الموسيقى.

أخيرا، حصل "دفورجاك" على وظيفة عازف أورغن في كنيسة بمرتب قدره 72 دولار في السنة. ثم بدأ في دراسة النوتة الموسيقية والتأليف الموسيقي. لكنه في البداية، كان يحرق كل شئ يكتبه.

قام بتأليف "رقصات سلافية"، وضعته في دائرة الضوء وأظهرته للعالم فجأة. بدأ المنتجون يبحثون عنه. بعد ذلك أصبح معروفا في كل أنحاء أوروبا وأمريكا بسبب أصالة أعماله وجمالها ورقتها.

"رقصات سلافية" ل"دفورجاك".
Antonin Dvorak - Slavonic Dances [Op. 46 & Op. 72]

مؤلفه الديني "ستابات ماتر"، من أجمل المؤلفات الموسيقية الحديثة. أدخل إلى سيمفونياته المشهورة صيغ جديدة. عمله بعنوان "سبكتر بريد"، الذي كتبه بمناسبة احتفالية بيرمنجهام، بالإضافة إلى عمله السابق "ستابات ماتر"، جعلاه ذائع السيط في إنجلترا. أوبراته التي كتبها بلغة بلاده، غير معروفة إلا داخل وطنه.

"ستابات ماتر" ل "دفورجاك".
Antonín Dvořák - Stabat Mater (Harnoncourt)

"سبكتر بريد" ل"دفورجاك"، غناء رائع ل"أيزوبل بايلي".
Isobel Baillie Dvorak The Spectre's Bride Where Art Thou

كانت ل"دفورجاك" نظرية تقول، إن الأغاني الشعبية، يمكن أن يحولها مؤلفوا الموسيقى العظام إلى أعمال رائعة ومدارس موسيقية وطنية. لذلك، جاء إلى الولايات المتحدة لكي يختبر هذه النظرية.

ذهب إلى المزارع يبحث عن أغاني وميلودي المزارعين من أصل أفريقي. نسجها في عمل رائع باسم سيمفونية "العالم الجديد". ألف أيضا مقطوعة بعنوان "العَلم الأمريكي".

سيمفونية "العالم الجديد" ل "دفورجاك".
Dvořák: Symphony No. 9 "From The New World" / Karajan · Vienna Philarmonic

"العلم الأمريكي" ل"دفورجاك".
Dvořák's "American Flag" cantata - part I of II
Dvořák's "American Flag" cantata - part II of II

أمضى "دفورجاك" سنواته الأخيرة في براغ. كرس وقته كله لتأليف السيمفونيات والكنتاتا. كان دائما في بساطة الفلاحين. توج أثناء حياته بالكثير من الفخار وأكاليل الغار.

شيللو كونشيرتو ل"دفورجاك".
Gautier Capuçon | Dvořák: Cello Concerto

أبو بكر خيرت، مؤلف الموسيقى الكلاسيكية المصري العظيم، هو أيضا له عمل هام، "السيمفونية الشعبية". بناه على أساس ألحان شعبية مصرية. للأسف أعماله الكاملة ليست موجودة على شبكة الإنترنت. الموجود أجزاء صغيرة بتسجيلات رديئة.

السيمفونية الشعبية لأبي بكر خيرت.

من أهم المؤلفين الرومانسيين المحدثين، "جوستاف مالر" (1860-1911م). ولد في "بوهيميا" ومات في "فيينا". ألف العديد من الأغاني وعشر سيمفونيات بديعة.

السيمفونية الأولى ل"مالر".
Gustav Mahler - Symphony No. 1 - Bernstein · Vienna Philharmonic Orchestra

تركنا الموسيقى الروسية إلى آخر باب في هذه الدراسة. لأن الروس تقدموا في الموسيقى الكلاسيكية في القرن التاسع عشر تقدما كبيرا.

لا يوجد شعب، له هذا الكم الهائل والثراء بدون حدود من الأغاني الشعبية، مثل الشعب السلافي. بينما كانوا مكبوتين ومطهدين في أمور كثيرة، كانوا يجدون منفثا في الأغاني الشعبية. عاما بعد عام، تسربت هذه الأغاني إلى الفلاحين الروس، لكي تخفف عنهم وحدتهم وبرودة جوهم القاسي.

الكنيسة اليونانية في روسيا، كانت تحرّم المعازف واستخدام آلات الطرب، مثل إخواننا السلفيين. لذلك، كان الاعتماد على الأصوات هو البديل. من ثم، أصبح المغنيون الروس هم أعظم المطربين وأقدرهم على الأداء الصوتي، وطبقت شهرتهم الآفاق.

في عصر "كاثرين الثانية"، تكونت فرقة طقوس دينية. بدأت تنمو وتتطور عاما بعد عام.



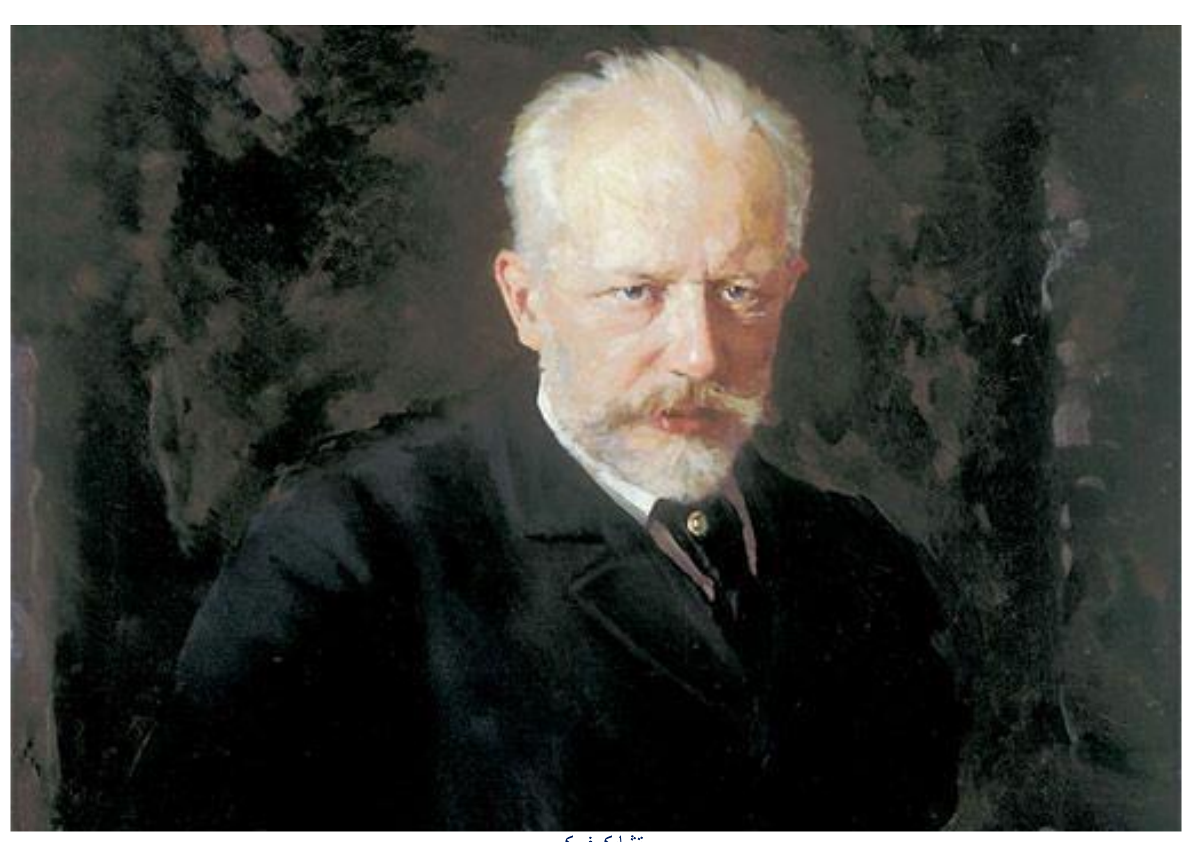
كاثرين الثانية

الروس، مثل غيرهم من الشعوب، قبلوا الأوبرا الإيطالية. "ميخائيل جلينكا" (1804-1857م)، في القرن التاسع عشر، حاول فطم مواطنيه، وتحريرهم من سيطرة الأوبرا الإيطالية. أعطاهم أوبرات محلية، جعلته يتميز بين المؤلفين أقرانه الروس. أوبرا "الحياة لقيصر"، سرّت وأسعدت الجماهير.

أوبرا "الحياة لقيصر"، ل"جلينكا".
A Life for the Tsar. М.И.Глинка опера "Жизнь за царя" ("Иван Сусанин")

أحداثها حقيقية، وقعت عام 1613م، عندما أنقذ الفلاحين قيصر من أعدائه البولنديين. الأوبرا مليئة بالأغاني الميلودي.

"تشايكوفسكي" (1840-1893م)، هو أكثر المؤلفين الروس شهرة في الغرب. مثل "برامز" في ألمانيا، حاول "تشايكوفسكي" السير على نمط "باخ" و"بيتهوفن". بعض الروس يعتبرونه ألماني أكثر منه روسي.



تشايكوفسكي

عندما كان تشايكوفسكي شابا يافعا، كان يعمل تحت إشراف مدرسه الموهوب "روبنشتاين" ليل نهار. كان "تشايكوفسكي" وطني، يحب وطنه والألحان الميلودي. تعبر موسيقاه عن عواطف جياشة.

رائع، موسيقاه زاهية عذبة. عبقري، تسطع موسيقاه بالميلودي، كما يظهر ذلك من مؤلفاته: السوناتا والكونشيرتو والسيمفونيات والأغاني والأوبرا. سيمفونيته السادسة (Pathetic)، أكثر سيمفونياته شهرة.

السيمفونية السادسة ل"تشايكوفسكي".
Tchaikovsky Symphony NO.6 (Full Length) : Seoul Phil Orchestra

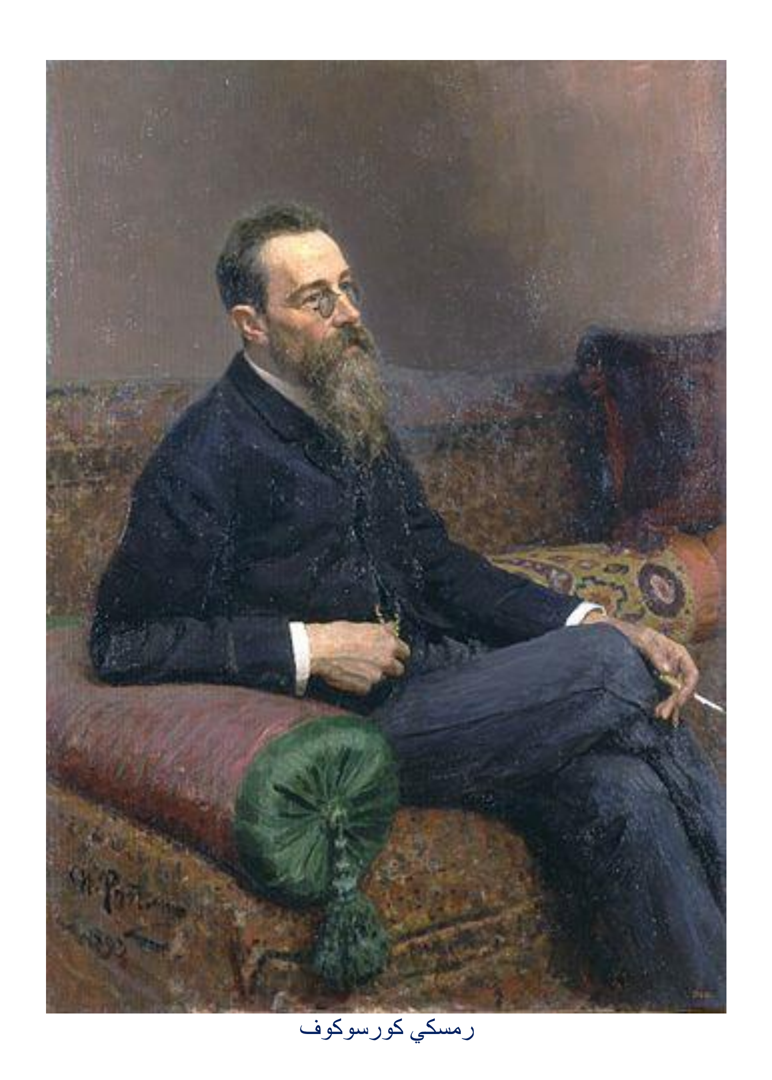
من أعماله أيضا المشهورة:

باليه بحيرة البجع ل"تشايكوفسكي".
Tchaikovsky: Swan Lake - The Kirov Ballet

باليه كسارة البندق ل"تشايكوفسكي".
Piotr Tchaikovsky: The Nutcracker - Ballet in two acts (HD 1080p)

"تشايكوفسكي" مقدمة 1812.
Tchaikovsky - 1812 Overture (Full with Cannons)

"نيكولاي رمسكي كورسوكوف" (1844-1908م)، كتب الكثير من الأوبرات الجميلة والسيمفونيات، والكثير من موسيقى الحجرة. في أغانيه الشعبية والموسيقى الراقصة، أدخل العذوبة والتلوين. هو صاحب المتتابعات السيمفونية المشهورة "شهرزاد".


رمسكي كورسوكوف

"شهرزاد" ل"رمسكي كورسوكوف".
Rimsky-Korsakov: Scheherazade - op.35

هناك الكثيرون من المؤلفين الروس المشهورين في الغرب، والذين تمتاز موسيقاهم بالعزوبة والرقة.

منهم "سيرجي رحمانينوف" (1873-1943م)،



رحمانينوف

"بروكوفييف" (1891- 1953م)،



بروكوفييف

"شوستاكوفتش" (1906-1975م)،



شوستاكوفتش

"آرام خاتشاتوريان" (1903-1978م)،



خاتشاتوريان

"إيجور سترافنسكي" (1882-1971م)، وغيرهم.



سترافنسكي

كونشيرتو البيانو رقم 2 ل"رحمانينوف"، عزف "آنا فيدوروفا".
Rachmaninoff: Piano Concerto no.2 op.18 - Anna Fedorova - Complete Live Concert – HD

بيانو كونشيرتو رقم 2 ل بروكوفييف:
Yuja Wang plays Prokofiev : Piano Concerto No. 2 in G minor, Opus 16

بيانو كونشيرتو ل شوستاكوفيتش:
Shostakovich Plays Shostakovich - Piano Concerto No. 2 in F major, Op. 102

باليه "سبرتاكوس" على مسرح البولشوي، ل"خاتشاتوريان".
Aram Khachaturian - SPARTACUS - Ballet

"طائر النار" ل "سترافنسكي"، هو نفسه يقود الأوركسترا، تسجيل تاريخي في اليابان عام 1959م.
Stravinsky Conducts The Firebird Suite, Japan 1959

في عام 1818م، تنبأ مؤلف موسيقي بريطاني، بتأثير الموسيقى الروسية وانتشارها في جميع أنحاء العالم. تحققت النبوءة، وتقدمت الموسيقى الروسية خلال القرون الأخيرة، فهل تقود عالم الموسيقى في المستقبل؟

24

خاتمة

هذه هي "قصة الموسيقى الكلاسيكية الغربية". أرجو أن تكون قد أعجبتكم. تؤرخ للموسيقى الغربية والمؤلفين الكبار وتاريخ أوروبا. فأرجوا أن تقوموا بإنزال كل الأعمال الموسيقية المذكورة من اليوتيوب والاحتفاظ بها كمرجع.

هذه الدراسة المتواضعة كتبت لغير المتخصصين. لن تجدوا مثلها في أي مكان، في اكتمالها وسهولتها وبساطتها وثراء الأمثلة والقطع الموسيقية المصاحبة لها. ولن تندموا على الوقت الذي قضيتموه في قراءتها والاستماع والاستمتاع بموسيقاها الرائعة. وكما قال نيتشة، العالم بدون موسيقى، خطيئة لا تغتفر.

الفهرس

تعريف بالمؤلف



الاسم: محمد زكريا توفيق

المؤهلات: ماجستير في الرياضة البحتة من كلية الهندسة جامعة نيويورك 1973م

ماجستير في علوم الكمبيوتر من كلية العلوم جامعة نيويورك 1983م

دراسات في الرياضيات التطبيقية تعادل الدكتوراه من معهد كورانت بجامعة نيويورك

الخبرة: أكثر من 40 سنة في مجال الكمبيوتر حيث كان يعمل مديرا للتخطيط والبرمجة في عدة بنوك أمريكية منها البنك الفدرالى الأمريكي.

نشرت له العديد من المقالات العلمية والثقافية والسياسية في صحافة مصر والخارج

يعيش الآن في مدينة نيويورك